جوامع الكلم

شيخ المتألهين الأوحد

الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي

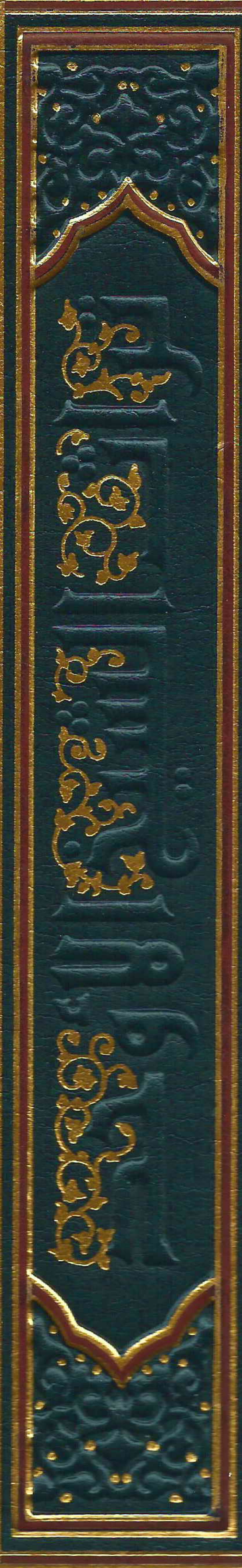
أعلى الله تعالى مقامه

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

الجزء الثامن

مؤسسة الإحقاقي



تراث الشيخ الأوحد ١٨

جوامع الكلم

شيخ المتألهين الأوحد
الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي
أعلى الله تعالى مقامه

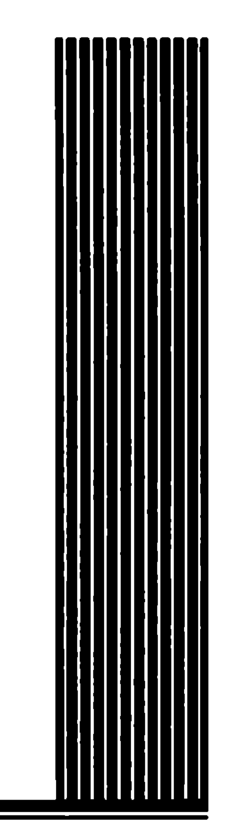
تقديم
توفيق ناصر البوعلي

الجزء الثامن

الغدير

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



هويـــة الكتـــاب

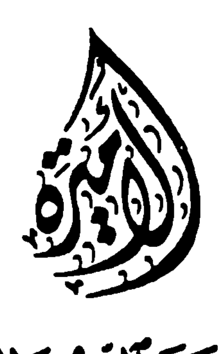
اسم الكتـاب: جـوامـع الكـــلم

المؤلـــف : الشيخ احمد الأحسائي

تقــديم: توفيق ناصـر البوعلي

الناشـــر: مؤسسة الإحقــاقي

عني بطباعـته: الأميرة للطباعة والنشر



للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧١٩٨٨
http://www.Dar-Alamira.com
e-mail:zakariachahbour@hotmail.com

مؤسسة الإحقاقي
للتحقيق والطباعة
والنشر
alehqaqe@hotmail.com

رسالة في جواب
الشيخ أحمد بن صالح بن طوق
عن خمس عشرة مسألة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أمّا بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدّين : إن الأكرم الأرشد الأسعد جناب مولانا الشيخ أحمد ابن المرحوم الصالح الشيخ صالح بن طوق بلّغه الله خيرات [خير] الدّارين أنّه قد أرسل إليّ بمسائل على حال منّي ليس محلاً للجواب لكثرة الأمراض المتصلة بحيث لا أقدر على مراجعة كتاب ، ولكن لأجل مقام السائل عندي في نفسي وقلبي ، عزمت على الإتيان من الجواب بما يخطر على بالي ، ويحضرني من الجواب إذ لا أقدر على أزيد منه مع اشتغالي بشرح العرشيّة للملا صدرا في المبدأ والمعاد وكثرة الطّالبين لها مني ولكن لاهتمامي بإنجاز [بإنجاح] طلبته قدمت حاجته على كلّ شيء غيرها ، إلا أنّي كما عرضت له بالشرط أن يقبل مني كلّ ما يحصل لأنّي يعلم الله سبحانه عاجز عن أكثر ما ينبغي لكثرة الأمراض المؤذنة [المؤذية] ، بقرب الأجل ولكن الأمر لله ولا حول ولا وقوة إلّا بالله .

قال سلّمه الله : مسألة ـ ما حقيقة معنى انطباق العلم على المعلوم مع أن العلم عين الذات المقدّسة ؟

أقول : اعلم أن علمه الذي هو عين ذاته تعالى ، هو ذاته بلا

مغايرة عندنا لا في المفهوم ولا في المصداق ، لا في الذهن ولا في الخارج ، ولا في نفس الأمر ولا في الاعتبار ، بل العلم والذات لفظان مترادفان ، ولكن لمّا طمحت العقول بعد معرفة الصّانع إلى التطلّع إلى أن هذا الصّانع عالم وقادر ، أم لا ، لأنّ العلم صفة كمال ولا بدّ لكل سؤال من جواب أجاب بظاهر ما حامت عقولهم على آثاره وهو العلم الفعلي والقدرة الفعلية والسمع والبصر وغير ذلك من صفاته عزَّ وجلّ فقيل للسائلين : هو عالم يعني أنه خلق العلم وخلق العالم ولا يخلق العلم والعالم جاهل ، ثم بيّنه لهم في آياته في الآفاق وفي أنفسهم بصنع الأفعال المحكمّة المتقنة التي لا تقبل زيادة الإتقان والإحكام ، على تكرّر صنعه تعالى ولو أمكن فيه الزّيادة لكان في آخر صنعه أحسن منه في أوّله . فلمّا كان صنعه لا يختلف ولا يقدر أحد من الخلق أن يبلغ أدنى مراتب الإتقان فيه ، علموا بأنه تعالى عالم ، ولمّا كان كل شيء من ذلك فإنما هو صفات أفعاله وهم يطلبون معرفة علم ذاته وعلم ذاته هو ذاته فمعنى الله عالم الله أجابهم بصفات أفعاله فقال الله عليم قدير ، فالمحمول صفة فعل ، والمعنى أن صفة الذات هي الذات من باب إيهام التناسب عند أهل البديع، وأولياؤه عليهم السلام ، بيّنوا صحّة الوجهين فقال عليه السلام (**وكمال توحيده نفي الصّفات عنه**) مع أن إثبات الصّفات توحيد له ، فإن كان نفيها حقّاً لم يصحّ إثباتها مع أنّه عليه السلام أثبتها ضمناً بقوله : (**وكمال**) يعني أن نفي الصّفات من كمال المعرفة ونفي الصفات لا يجوز لأنّ نفي العلم إثبات لضده وإنّما المراد بالنفي [بالنفي نفي] ما هو غير الذات كصفات الأفعال .

فالعلم مثلاً إذا استعمل للفعلي حَسُن إثباته له تعالى وإذا أريد به الفعلي وإنّ الذات متصفة به وجب نَفْيُه لأنّه في الذات نقص ، وإن كان في الفعل كمال ، فإذا أردت معنى كون صفاته عين ذاته جعلت تلك ألفاظاً مترادفة إذ معنى العلم الذي هو الذات ليس ممّا تعرف الخلائق معناه أو تحيط به أو تقيسه على شيء لأنّه هو الله ، والله سبحانه لا يعرف [لا تعرف] ، الخلائق معناه بل ليس له لفظ ولا اسم ولا صفة تكون بإزائه .

فالعلم الذي هو عين ذاته هو الله بلا مغايرة لا في المفهوم إذ لا يمكن للخلق فهم معناه تعالى ، ولا في المصداق إذ لا يصدق عليه شيء غيره ، ولا في الذهن إذ كلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مثلكم مخلوق لكم مردود إليكم [عليكم] ، ولا في الخارج إذ ليس في الأزل تعدّد ولا كثرة بحال من الأحوال لأن الأزل هو الله سبحانه ، ولا في نفس الأمر إذ الأدلّة القطعية عقلاً ونقلاً إنّما تدلّ على هذا .

وأما كلام الملا صدرا والملا محسن ومن حذا حذوهما أو حذيا حذوه من أن معنى كونها عين ذاته أنها مغايرة له في المفهوم ، وهي هو في المصداق إذ وجود الذات ووجود الصّفات شيء واحد فباطل إن [إذ] ، من كانت صفاته التي هي عين ذاته مغايرة له في المفهوم ليس ربّاً لنا ولا نعبده إنّما نعبد ربّنا كما وصفناه فافهم ، ثم إن الصادق عليه السلام ، بيّن حقيقة ما يمكن من معرفة وحدة الأزل فقال : (**لم يزل الله ربنا عزّ وجلّ والعلم ذاته ولا معلوم والسّمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاتها ولا مقدور فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على**

المعلوم والسّمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور) الحديث .

والإشكال المسؤول عنه من مثل ما في هذا الحديث الحق وهو أنّه تعالى : لم يزل ربّنا عزّ وجلّ والعلم ذاته ولا معلوم . أمّا أن العلم ذاته فظاهر . وأمّا أنّه ولا معلوم فهو حق وبيانه أن الأزل هو الله تعالى ولا يكون معلوم في ذاته وإنّما المعلومات في الإمكان فذاته هو الأزل ، وهو علم فلمّا أمكن الإمكان بمشيّته وكانت الأشياء ، وقع العلم منه تعالى على المعلوم وهذا العلم الذي وقع على المعلوم هو العلم الفعلي أي الإدراكي الإشراقي ، ومثاله أنك أنت سميع لذاتك ولم يكن أحد يتكلم لتسمع كلامه فلمّا تكلّم شخص أدركت كلامه وسمعته ، وهذا التعلق لم يكن عندك قبل كلام الشّخص ولكن حين تكلم سمعت كلامه وسمعتَ فعلٌ منك وإدراكٌ وليس هو السّمع الذي يقال لك من أجله إنك سميع بل أنت سميع وبصير لذاتك سواء تكلّم شخص أم لم يتكلّم فهذا السمع هو ذاتك وإدراكك للكلام صفة فعليّة توجد بوجودِ متعلّقها وتفنى بفنائِه .

والعلم المتعلق بالحوادث إشراقي ينسب إلى الله إذا وجد المعلوم كإشراق الشمس ينسب إليها إذا وجد ما تشرق عليه ، وإذا لم يوجد ما تشرق عليه لم يوجد الإشراق وكصورتك في المرآة توجد إذا وجدت المرآة نسبت الصورة إليك ، وإذا لم توجد المرآة لم توجد الصورة فالله سبحانه في الأزل عالم ولا معلوم ، وإذا وجد المعلوم وجد خارج الأزل ووجد العلم به وهوالعلم الإشراقي الفعلي فافهم ، وهذا السمع والعلم والبصر وغيرها بمعنًى واحد

فإذا قلنا هو تعالى لذاته عليم نريد أن ذاته علم وليس معنى هذا العلم المعنى المفهوم عندنا من أنه العلم الذي يقتضي معلوماً لأنّ ذلك هو العلم الفعلي والسمع الفعلي وغيرها ، ألا ترى أنّك سميع ولا يقتضي هذا مسموعاً ، وإنّما معناه الله سبحانه .

وإذا قلنا : إنّ علمه الذي هو ذاته تعلق بمعلوم كما يوهمه الحديث الشريف فالمراد أن علمه هو ذاته ، ولمّا وجد المعلوم تعلّق به العلم الفعلي عند وجود المعلوم كما نقول : كان الله وحده وحين وجد زيد إنّما وجد بفعل الله بمعنى أن فعل الله المتعلق به لم يكن قبله كذلك علمه الفعلي والعلة في ما قلنا : إن العلم الذي نعرفه لا بدّ له من أن يكون مطابقاً للمعلوم ، وإلا كان جهلاً ومقترناً به وإلاّ لم يكن علماً به وواقعاً عليه كذلك وعلم الله الذي هو ذاته هو الله سبحانه فَمَا معنى كونِ الله بذاته عالماً بزيد إذا كان علمه ذاته ، هل يكون الله مطابقاً لزيد وواقعاً عليه ومقترناً به تعالى الله عن ذلك بل كان عالماً ولا معلوم ، كما تكون أنت بصير ولا مبصر ، ولا يلزم من عدم مسموع يتعلق به سمعك أن تكون أصم ومن عدم شيء تراه أن تكون أعمى كذلك لا يلزم من كلامنا أن يكون الله تعالى في الأزل ليس بعالم لعدم وجود معلوم في الأزل ، نعم لك أن تقول كان الله في الأزلَ عالماً بها في الحدوث وليس لك أن تقول كان الله سبحانه عالماً بها في الأزل إذ يلزم وجودها في الأزل ، والأزل ذاته وهذا إشارة إلى جواب سؤالك واعذرني في ترك تطويل البيان .

قال سلّمه الله : وكيف نكلّف بمعرفة الله تعالى وهو واحد من كلّ وجهٍ فهو مجهول الكنه ؟

أقول : لا يكلف أحد من الخلق ، لا نبيّ مرسل ولا ملك مقرّب ، بمعرفة الكنه لأنه كما قال الرضا عليه السلام : (**كنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره تحديد لما سواه**) ، وروى الشيخ في المصباح في أدعية الأيام الطّويلة : (**اللّهمّ فُتَّ أبصار الملائكة وعلمَ النبيّين وعقولَ الإنس والجنّ وفهمَ خيرتك من خلقك القائم بحجّتك والذابّ عن حرمك والناصح لعبادك فيك والصّابر على الأذى والتكذيب في جنبك والمبلّغ رسالاتك**) الدعاء .

فإذا فات تعالى فهم محمّدٍ صلى الله عليه وآله فمنْ يكلف بمعرفة كنهه وذلك هو المجهول المطلق لا يعرف إلا بالجهل به لكن لمّا لم يمكن إدراكه لغيره ولا يقوم النظام إلا بمعرفته وصف نفسه لعباده وهذا الوصف هو حقيقة عبده فقد وصف نفسه لك بكنهك فمن عرف نفسه فقد عرف ربّه لأنّ الشيء لا يعرف إلا بوصفه وأنت وصفه ، ومعنى أنّك تعرفه بك أنّك إذا عرفت أنّك أثر دَلّ على وجود مؤثر أو أنك نور دلّ على وجود منيرٍ أوْ أنّك صنعٌ دلّ على وجود صانع ولو نظرتَ إلى نفسك أنك أنت ، أنت لم تعرف نفسَك ولم تَدُلُّكَ إنّيتُك على غيرك ، فأنت الوصف الذي تعرّف به لك وهذا الوصف شعاع لتعرّفه لمحمد وآله صلى الله عليه وآله وذلك هو المثل الأعلى وهو المقامات التي لا تعطيلَ لها في كلّ مكانٍ ، وهي العنوان الذي لا فرق بينه وبينه .

إلّا أنّه عبده وهو بمنزلة قائم من زيدٍ ، فإن قائم مصاغ من الحركة الموجدة للقيام ومن القيام صيغ منهما عنوان يدلّك على أن هنا شيئاً ينسب قائم إليه وقائم هو وجه زيدٍ لمن طلب معرفة فاعل القيام وكالشّعلة المرئيّة من السّراج فإنها وجهُ النار الغائبة عن

الإدراكِ ، فأنت تتوجه إلى الشّعلة وتقْصد النار الغائبة ، لأنّ الشّعلة دليل عليها ولكن لا تدرك مطلوبك الذي هو كالنار ، وإنّما تدرك دليله الذي هو الشّعلة وهي الدّليل على النار . فالمقامات التي يعرفه بها من عرفه لا فرق بينها وبينه إلا أنّهم عباده وخلقه ، هي وجهه ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ فالحركة الفعليّة هي المشيّة وأثرها هي الحقيقة المحمديّة والمصاغ منهما العنوان ، والوجه الذي يدلّ على المعبود كما أنّ الشّعلة أصلها دخان استنار بمسّ النّار فمسّ النار هو فعلها وهو آية المشيّة ، والدخان المستنير بها هو آية الحقيقة المحمديّة والمصاغ منهما ، وهو السراج والمقصود هي [هو] النار التي هي آية الله سبحانه فأنت تعبد الغيب الذي لا يدرك وتتوجّه إليه بواسطة العنوان كما أنّك إذا قلت لزيد يا قاعد فأنت تعني زيداً ولكن لا تتوصّل إليه إلّا بواسطة صفته أعني قاعد ، وقاعد هو الوجه والدليل والعنوان وهو مركب من فعل كالمشيّة ومن أثره وهو القعود كالحقيقة المحمديّة صلى الله عليه وآله . فالمعبود والمقصود هو الحق والمجهول المطلق عزّ وجلّ والمكلّف بمعرفته العنوان لأن من عرف الصّفة عرف الموصوف ومن عرف الأثر استدل به على المؤثر فافهم .

قال أيّده الله : وما معنى تسمية المعلومات علماً له تعالى ؟

[**أقول**] : اعلم أن العلماء والحكماء اختلفوا في العلم هل هو غير المعلوم وبه قال أكثر المتكلمين أم بعضه عين المعلوم كالصورة ، فإنها هي علم وهي معلومة بنفسها لا بصورة أخرى ، وإلا لزم التسلسل أو الدَّوْر وبعضه غير المعلوم كعِلمنا بزيد فإنّه صورة في أذهاننا والمعلوم زيد وهو غيرُها وبه قال أكثرُ المشائين

وكثيرٌ من الإشراقيين ، أم هو عين المعلوم ، وبه قال بعضُ الإشراقيين والمشائين وبعض الرواقيين وهو الحق لأن الصّورة هي علم بهيئة حضور زيد عندك وليست غير الهيئة وهي معلومة بنفسها لا بصورة أخرى .

وأما زيد حال حضوره عندك فعلمك به نفسُ حضوره ، والمراد بحضوره هو هو بذاته لا الحضور العامّ الّذي هو حصول الشيء فإن الخضرةَ إذا حضرت بين يديك هي علمك بها وإذا حضرت الحمرة كذلك ولو أريد بالحضور العام لتساوَى بالنسبة إلى الخضرة والحمرة فلا يكون العلم مطابقاً للمعلوم لأن المطابق للخضرة هو ما كان أخضر والمطابق للحمرة ما كان أحمر ولو كان العام لما وصف بلونٍ لصلوحه لكلّ شيء وإنّما نريد بالحضور نفسُ الحاضر وذاته فإذا وجد الشيء وجد نفسه [وجد بنفسه] للواجد له وهو العالم به وهو العلم الإشراقي الذي يحصل للعالم بوجود المعلوم لأنه هو المعلوم فالشيء إنّما يحصل بنفسه ، واعلم أن كلّ شيء خلقه الله فهو علم ومعلوم ودليل ومدلول وكتاب ومكتوب وعلة ومعلول وعرض ومعروض وفي أمالي الطبرسي بإسناده إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قال : **(إن لنا في كلّ شيء علماً حتى تقلُّب الطير في الهواء)** انتهى .

قال سلّمه الله : وما معنى ما ورد من أنّ **(لَهُ الأمثال العليا)** ، وقوله : **(وله المثل الأعلى في السماوات والأرض)** .

أقول : المثَل بفتح الثاء الآيةُ والوصف وله في الاستعمال إطلاقان **أحدهما** : إنّ قوله : **(له المثل الأعلى في السماوات والأرض)** أي أنه منزّه عن كلّ شيء في السماوات والأرض ، أي

عند أهل السماوات وأهل الأرض أو من الشبه بمن في السماوات والأرض أي عن كلّ شيء .

وثانيهما : المثَل بالفتح العُنوان والعلامات والمقامات ، (**التي لا تعطيل لها في كلّ مكانٍ يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنّهم عبادك وخلقك**) ، كما في دعاء شهر رجب للحجّة عليه السلام ، وقد يطلق على المعاني ، وقد يطلق على المشيّة فالعنوان كالقائم من زيد ، والمشيّة كحركته المحدثة للقيام ، والمعاني كالقيام والثلاث مراتب لمحمّد وآله صلى الله عليه وآله ، فالمقامات [كونهم] كالحديدة المحماة لا فرق بينها في الإحراق وبين النّار لأنّها تحرق بفعل النّار الذي حلّ فيها وهو قول الصادق عليه السلام : (**لنا مع الله حالاتٌ نحن فيها هو وهو نحن وهو هو ونحن نحن**) انتهى .

والمشيّة والإرادة فعل الله الذي حَلَّ بهم فهم محلّه لأنّ الفعل لا يتقوّم بنفسه وهم الذين تعلّق بهم الفعل فتقَومَ بهم وكانوا به والمعاني هم معانيه أي معاني أفعاله كالأكلِ والشربِ والقيامِ والقعودِ فإنّها معاني زيد أي معْنى [معاني] أفعاله وكلّ المراتبَ الثلاث يصدق عليها المثَل الأعلى بفتح الثاء ويكون معنى له المثل و[أو] الأمثال باعتبار مراتب أسمائهم الأربعة عشر عليهم السلام أنّهم ملكه وفي قبضته ، (**عبادٌ مكرَمُون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**) ، ومعنى آخر أنّهم عليهم السلام له فلا يفعلون شيئاً لأنفسهم قط ولا لغيره لأنه تعالى اصطنعهم [اصطفاهم] لنفسه فهم عنده في كلّ حالٍ .

وأمّا : المِثل بكسر الميم وسكون الثاء فهو النظير ، فإن أريد منه

الضدّ المعاكس في الذاتيات أو الندّ المشارك في الذاتيات امتنع إطلاقه في حقه تعالى : وإن أريد منه الآية والدليل صح إطلاقه لأن الوصف مِثْل الموصوف وهو قوله عليه السلام : (**لا فرق بينك وبينها إلا أنّهم عبادك**) ، وكذلك معنى من عرف نفسه فقد عرف ربّه ، فإن المراد أن تكشف جميع سُبُحاتِ ذاتك حتى الإشارة إلى شيء منها حتى لا يبقى إلّا محضُ ذاتِك فيبقى في وُجدانِك شيء لا في شيء ولا من شيء ولا على شيء ولا لشيءٍ ولا مِن [شيء] ولا منه [شيء] ولا جهة غير محض شيء فإذا بقي شيء ليس كمثله شيء كان آيةَ الله وصفتَه فتعرف الله سبحانه بأنه ليس كمثلِه شيءٌ ولا في شيءٍ ولا من شيء ولا على شيء ولا لشيء وهذا الأنموذج الفَهْوانيّ ، هو ذاتك وهو وصفُ الله نفسَهُ لَكَ وهو آيةُ الله في نفسِك ، وهو المِثْل الوَصْفي بكسر الميم وسكون الثاء الذي ليس مثله شيء ولوكان له مِثل لما عُرِف الله سبحانه به وذلك لأنّه لا يعرف بغيره وإنما يعرف بوصفه .

وذاتُك وصفُه الفهوانِيُّ وهذه النفس هي النور الذي قال عليه السلام : (**اتّقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**) ، وهو الفؤاد وهو جهتك من ربّك وهو وجودك وهذا شعاعٌ لمثلٍ أعْلَى منه وهو نورُ الأنبياءِ عليهم السلام ونورهم شعاعٌ لنورِ محمدٍ وأهلِ بيته الطيّبين [الطاهرين] عليه وعليهم السلام ونورهم هو المثل الأعلى بلحاظِ الوحدة النوعيّة والأمثال العلياء [العليا] بلحاظ التشخص ، فلك أن تقرأَه بالتحريك ولك أن تقرأه بكسر الميم وسكون الثاء فإن قرأته بهذا الأخير فيجب عليك أن تقصد بالمِثْل الوصفيَّ الفِعْلِيَّ الذي هو أثر فعله تعالى والأثر يشابِهُ صفةَ مؤثِره في جهة مَبدئيته

ولا يجوز أن تريد به المِثلَ الذي هو الندُّ وهو الشريك في الذاتيات فإنه كفر .

قال سلّمه الله : وما الدّليل على إثبات المعاد الجسماني من غير المنقول ؟

أقول : برهانُ هذا العيانيُّ مذكور في علم الطّبيعي المكتوم أعني علم الصّناعة وذلك أمرٌ عياني تراه بعينك وأنا أشير لك إلى الدّليل على جهة الإجمال ، اعلم أن الوجود الفائض من فعل الله سبحانه شيء واحدٌ ولم يفض غيره وكله شعور وفَهْمٌ وإدراكٌ وحياة فلمّا نزل من الخزائن كما قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ وهذه الخزائن خزائن الإمكان الراجح لَحِقَتْهُ عوارضُ المراتبِ مراتبِ تنزّلِه فكان منه جامدٌ وهي الأجسام ومنه ذائبٌ وهي النّفوس والأرواح والعقول .

والجامد والذائب شيء واحد من حقيقة واحدة إلّا أن الذائب أقوى تحققاً وأشدّ لطفاً لأنّه صفوة الفائض ، والجامد ثفْله كلُبِّ اللوز فإن الدهن منه ألْطَفُ من ثفْلِه وأقوى ولكن الدهنية من الثفْلِ لا تفنى حتى يفنى الثفْل والوجود ذائبه وجامده شيء واحد من حقيقةٍ واحدةٍ إلا أنّ إدراكَ الذائبِ منه وشعورَهُ وإحْساسَهُ وعَقْلَهُ واختيارَهُ أقوى من إدراكِ الجامد وشعورِه وإحْساسِه وعقلِه واختيارِه والحشر يوم القيامة والإعادة إنّما هي لِيُدَانَ كلّ شيء بما عمِل وكما أن العقول والأرواح والنفوس إنّما تعاد للجزاء لأنّها كلّفت وأطاعت أو عصت كذلك الأجسام هي مكلفة فأطاعت أوعصت فيجب حشرها و[أو] إعادتها لتُجازَى بما كسبت ، وكلّ شيء من الجمادات والنباتات والحيوانات مكلّفة إلّا أن تكليفها بنسبة

شعورها وإدراكها ، إلّا أنّها إذا قيست إلى شعور النّفوس والعقول لم يحسّ بشعورها كما أنّ الحيوانات إذا قيست بشعور الإنسان كانت لا تكاد يحسّ بشعورها وفهمها .

كذلك الإنسان لو قستَ إحساسك وشعورك وإدراكك وفهمك التي هي مناط تكليفك وحشرك ونشرك بإحساس محمّد وأهل بيته صلى الله عليه وآله وشعورهم وإدراكهم وفهمهم لوجدت نفسك أقلّ في ذلك من الجمادات ، ولو اطلعتَ على سرّ الإيجادِ ظهر لك أن الإيجاد فرع التكليف وأنَّ كلَّ شيءٍ لا يوجد حتى يقبل التكليف .

وأنت إذا تأمّلت القرآن والسنّة عرفت أن كلّ شيء مكلّف مثل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ ، ولو كانت غير مميّزاتٍ ولا مشعراتٍ لقالتا أتينا طائعات لكنه سبحانه ذكرها بجمع العقلاء وقال : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ ولم يقل تسبيحها وقال : ﴿ خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ولا قال يسبَحْن وقال : ﴿ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ ، ولم يقل وهي [هن] داخرات والأحاديث لا تكاد تحصى مثل افتخرت زمزم على الفرات فأجرى الله فيها عيناً من صَبِرٍ .

ومثل ما ورد في علّة كون بعض التمرات [الثمرات] يوجد فيها مثل الرماد أنها تركت الذكر ذلك اليوم ، فأرسل الله عليها ملكاً فضربها بمنقاره وما ورد في الجمادات والنباتات لا يكاد يحصى مثل علة ملوحة الماء ومرارة الأرض وملوحتها وسبختها ومرارة البطيخ بعدم قبولها للولاية ومثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا

تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ وهُبَل صخرة وهو يعذّب في جهنّم مع من عَبَدَه ولو لم يكن راضياً لكان العدل الحكيم سبحانه ظالماً له حيث عذّب من لا يفهم ولا تقصير له فإذا ثبت عقلاً ونقلاً تكليف الأجسام وجب حشرها للجزاء والعلّة الموجبة لإعادة الأرواح جارية في الأجسام بعينها ، وقد ورد أن عبد الملك بن مروان لمّا مات وكشف أولاده عنه الغطاء ليغسلوه انقلب كلّ جسده وزغاً وفرّت يميناً وشمالاً حتى لم يبق منه شيء ووضعوا مكان جسده جذع نخلةٍ وكفّنوه ودفنوه وذلك لأن الجسد كلّه حياة وأرواح ولكنّه جامد فربما ذاب ، فكان أرواحاً كالعذرة واللحم يتعفن فينقلب دوداً فالجسد يتنعّم ويتألّم كما ترىٰ النخلة ، والشجر يتألّم بقطع بعض أجزائه .

ولكن ليس على حدّ الحيوان في التنعّم والتألّم ، وبالجملة الدليل العقلي الدال على إعادة الأرواح بعينه دالٌّ على إعادة الأجسام وإنما لَمْ يقولوا الذين بحثوا في هذه المسألة بذلك وقالوا بأن العقل ليس فيه ما يدل على إعادة الأجسام وإنّما دلّ عليها الكتاب والسنّة ، لأنهم لا يعرفون الكتاب والسنّة لأنّهم إنّما يأخذون علومهم من محيي الدّين بن عربي والغزالي والنظام والجبائي والحسن البصري وشيخ الإشراق والصّوفية وأمثالهم ولم تكن معرفتهم مأخوذة من أئمة الهدى عليهم السلام ، فلهذا جهلوا أكثر الأشياء فإنّي ذكرت في شرح الزيارة الجامعة وشرح المشاعر للملا صدرا كثيراً من كلماتهم يجعلون أكثر الأشياء أموراً اعتباريّة مثل الإمكان والوجوب والقدم والفوقيّة والتحتيّة وأمثال ذلك ، بل نصف الأشياء كلها أمور اعتباريّة ليست موجودة والموت اعتباري

ليس بموجود والله سبحانه يقول الذي خلق الموت والحياة ويؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح يذبح بين الجنة والنار ، ويروون هذا ويقولون : الموت اعتباري حتى أنّي شرحتُ المشاعر ولا ذكرت كلمة من قواعدهم ولا أدلّتهم ولا شيئاً ممّا قالوا ، إلّا أبطلته لأنّي يعلم [بعلم] الله ما وجدتُ شيئاً ممّا عندهم مطابقاً لمعتقدِ أئمة الهدى عليهم السلام وحكمتهم ، وأولٰئك ليسوا أئمتنا وقد أمرنا بالإعراض عنهم وأئمتُنا عليهم السلام ، أُمِرْنا بالأخذ عنهم وباتباعهم والتسليم لهم والردّ إليهم في كلّ شيء ممّا نعرف وما [مما] لا نعرف ، وأولئك ليسوا على شيء ممّا عند أئمتنا عليهم السلام ، والملاّ محسن والملاّ صدرا وأتباعهم والخواجه نصير الدّين وغيرهم يقولون هذا مذهب أئمتنا ولا يستحيون من الله ولا من الناس ولقد ذكر الملاّ صدرا في كتابه الكبير «الأسفار» في أن المشيّة والإرادة قديمتان وأنّهما عين علم الله الذي هو ذاته من أدلة من العقل والكتاب والسنّة .

وأطال البحث حتى أنه استدلّ على قدم الإرادة من السنّة بما روي عن الكاظم عليه السلام ، قال ما هذا لفظه : فعُلِمَ من الآيات ونظائرها أن إرادته تعالى للأشياء عين علمِه بها وهما عين ذاته تعالى ، وأما الحديث فمن الأحاديث المرويّة عن أئمتنا عليهم السلام في الكافي وغيره في باب الإرادة ما ذكر في الصّحيح عن صفوان بن يحيى قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق فقال : (**الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل وأما من الله فإرادته إحداثه لا غير ذلك ، لأنّه لا يروّى ولا يهمّ ولا يفكّر وهذه الصّفات منفيّة عنه**

وهي صفات الخلق فإرادة الله الفعل لا غير ذلك يقول له : كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّة ولا تفكّر ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له) انتهى .

ولعلّ المراد من الضمير تصور الفعل وما يبدو بعد ذلك واعتقاد النفع فيه ثم انبعاث الشوق من القوّة الشوقيّة ، ثم تأكده وإشداده [اشتداده] إلى حيث يحصل الإجماع المسمّى بالإرادة فتلك مبادىء الأفعال الإراديّة القصديّة فينا والله سبحانه مقدّس عن ذلك كلّه انتهى كلامه.

في الأسفار وهو طويل وهذا قليل منه . فبالله عليك تأمّل في هذا المحقق الفاضل كيف استدلّ بهذا الحديث الصّحيح على قدم الإرادة وأنّها عين علمه الذي هو ذاته والعلة في هذا الغلط والخبط اتّباعهم أئمة الضلال في الاعتقادات والأقوال وإعراضهم عن طريق أئمة الهدى عليهم السلام وعن مذهبهم وحكمتهم ، وأقبح من هذا كلّه أنهم يقولون بقول أعدائهم ويقولون هذا قولهم عليهم السلام ونحن لا نأخذ إلّا عنهم ، ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ ، وبالجملة كنتُ معهم على طرفي نقيضٍ حتى أني ما أجد لفظةً هي حقّ في كتبهم حتى إذا قالوا لا آله إلا الله فإنّهم كاذبون لأنّهم يعنون غير الله الذي هو معبودنا تبعاً لمحمد وآله صلّى الله عليه وآله والحمد لله ربّ العالمين .

قال سلّمه الله : وكيف التطبيق بين ما أجمع عليه من أن الإسراء وقع ليلاً وأن النبيّ صلى الله عليه وآله صلّى بالملائكة والنبيّين صلاة الظهر ركعتين ؟

أقول : اعلم أن هذه المسألة بل كلّ ما يتعلّق بمسائل المعراج

صعب جدّاً لا تعرفه العقول وإنّما تعرفه الأفئدةُ التي هي نور الله ولكن لمّا كان لكلّ مسألة جواب وجب أن أشير إلى شيءٍ مجملٍ وهو أن النبيّ صلى الله عليه وآله ليلة المعراج مَرَّ على كلّ شيء خلقه اللهُ من عالمِ الغيبِ والشهادة والدنيا والآخرةِ في الوقت الذي خلقه الله فيه فهذا جواب سؤالك وغيره ، في كلّ ما يتعلق بأمر المعراج .

وأمّا ذكر بعض التفصيل فإنه صلى الله عليه وآله ليلة المعراج مرّ على العقل الكلّي الذي هو أوّل ما خلق الله في حالِ تكوين الله سبحانه له وأشهده خلقَهُ وعلى الحشرِ والقيامةِ حين قامَتْ وعلى نفخة الصعقِ ونفخة الفزع ، والحاصل ما في ملك الله شيء خلقه الله من الأنوار والجوار والأعراض والذوات والصفات ، إلا وقد وقف عليه حين كونِه وفي مدة بقائه وحين فنائه في الدنيا والآخرة ، فمرّ على الزوال حين زالت الشمس فصلّى ركعتين لأن الصلاة فرضت ركعتين وصلّى المغرب والعشاء والصّبح وغير ذلك وبيانه أنه قَبْلَ النّبوة كان يرعى الْغَنم فسمع هَدّةً عظيمة وجفلت الغنم ثم بعد النبوّة بسنتين أو بأربع أو خمس أو سبع أو تسع على اختلاف روايات الفريقين عرج إلى السماء فسمع هدة عظيمة فسأل جبرئيل عليه السلام عنها فقال : **(هذه صخرة أَلْقَيْتُهَا في جهنم منذ سبعين سنة والآن وصلت قعر جهنّم)** وهو يهوديّ مات تلك الساعة وعمره سبعون سنة حين كان يرعى الغنم فسمع النبيّ صلى الله عليه وآله صوتَ موتِه أعني وقوعه في جهنم بإلقاء جبرئيل عليه السلام ، وهو الذي سمع ليلة المعراج بعد ذلك بكم سنة سمع الصوت ليلة المعراج في الدقيقة التي سمعه قبل ذلك والسّماع واحد والمسموع

واحد في وقت واحد ، وقس على هذا كل شيء من أمر المعراج وأما الجواب على الظاهر فاعلم أن اللّيل عبارة عن ظلمة الأرض وهو مخروط الظلّ وهذا إنّما يوجد إلى ما يقرب من فلك الزهرة ثم يعدم فلما تجاوز فلك الزهرة كانت الشمس طالعة فالنّهار موجود [فلما] زالت الشمس صلّى الظهر ومثال محاذاته صلى الله عليه وآله للزوال مثل ما ذكر علماء الهيئة كالبهائي في تشريح الأفلاك أنه يمكن أن يكون يوم واحد يوم السبت عند رجل ويوم الجمعة عند آخر ويوم الخميس عند آخر بناء على كرية [كروية] الأرض عند قوم بأن يفرض رجل قاعد على وجه الأرض وآخر يسير مع الشّمس وآخر يعاكس مسير الشّمس فإذا اجتمعوا كان ذلك اليوم الذي اجتمعوا فيه عند السائر مع الشمس يوم الخميس ، لأن الشمس لم يغرب عنه فهو في يوم الاجتماع الأوّل وعند القاعد يوم الجمعة لأن الشمس غربت عنه يوم الخميس وطلعت يوم الجمعة عليه وعند المعاكس لها يوم السبت لأنها لمّا غربت يوم الخميس قابلها من المشرق فغربت عنه ، فلما طلعت تحت الأرض طلعت عليه فهو يوم الجمعة فلما وصلت المشرق وصل هو المغرب فغربت عنه يوم [بيوم] الجمعة ، فلما طلعت من المشرق وطلع هو من المغرب طلعت عليه بيوم السبت فالمعاكس كانت عليه ثلاثة أيام بما فيها من العبادات فصلّى الظهر تحت الأرض لوجود الزوال عنده كما فعل صلى الله عليه وآله فافهم .

قال سلّمه الله : وهل مدلول لفظ الجلالة في البسملة والفاتحة متّحد أم لا ؟

أقول : إن الاسم الشريف موضوع للذات المتصفة بصفات

القدس كالعزيز والحكيم والسبحان والقدوس والمتعالي وبصفات الإضافة كالسّميع والبصير والعليم وبصفات الخلق كالخالق والرازق والمعطي والمانع فهو (**له الأسماء الحسنى**) ، له منها ثمانية وتسعون اسماً والرحمٰن هو [اسم] الذات المتّصفة بصفات الإضافة وبصفات الخلق وله من الأسماء الحسنى سبعة وتسعون اسماً قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ .

فالاسم الشريف إذا أطلق بنفسه فما سمعت فهُو مدلوله وإذا وصف بصفةٍ خاصّة لُوحِظَتْ فيه مثل الله يعني الرحمٰن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن المعطي الضّار النّافع الغافر الرازق وما أشبهها من الأسماء الحسنى، ولكن إذا قلتَ : يا الله اغفر لي لُوحِظَ فيه الله الغافر وإذا قلت : يا الله ارزقني لوحظ فيه الله الرازق والبسملة لوحظ فيها ابتداء الكتاب التدويني وهو طبق الكتاب التكويني فينبغي أن يلاحظ أن جميع صفات القدس وصفات الإضافة وصفات الخلق : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، على الظاهر وباطن الباطن يكون مثل البسملة ولذا قال : (**ربّ العالمين**) ، باستغراق العوالم بالجمع وأفرادها بالألف واللام وعلى الباطن وباطن التأويل .

والتأويل في بعض الأحوال لا يكون ما في الفاتحة ملحوظاً فيه ما في البسملة لأن المراد بالحمد ما هو أخصّ من المراد به في الوجه الأول ، ولكن المراد من مدلول الجلالة معنى واحد حيثما وقعت ، وأما الملاحظات فشيء راجع إلى الأوصاف والأفعال وإلاّ فالمقصود منه هو المعبود بالحق عزّ وجلّ ، وأمّا ما يتوهّمونه

الذين قال فيهم عليّ عليه السلام : (**العِلمُ نقطة كثّرها الجهّال**) من أنّه جزئي أو كلّي أو المراد منه المفهوم حتّى أن بعضهم قال : إنّه كلّي يصدق على كثيرين امتنع ما سوى الواحد للدليل فشيء خارج عن العلم وعن مذهب أئمتنا عليهم السلام فهو باطل .

قال سلّمه الله : ثم الإعلام بما يختاره مولانا في مهر المرأة إذا مات زوجها قبل الدّخول أو ماتت هي قبله هل يُنصّف أم لا ؟ ولا بأس بالإشارة إلى المأخذ .

أقول : هذه المسألة عهدي بها سابقاً والآن ليس لي قوّة على المراجعة فيها ثلاثة أقوال :

الأوّل : إذا مات زوجها قبل الدخول أو ماتت هي قبل الدخول يجب [فيجب] لها نصف المهر .

الثاني : ذهب إليه الشيخ إن مات هو فلها الكلّ لأن الفرقة من قبَله وإن ماتت هي فلها النصف لأن الفرقة من قبلها .

الثالث : لها الكلّ مطلقاً سواء ماتت قبل أم هو لأن التنصيف إنّما هو حكم الطّلاق قبل الدخول والذي ترجح عندي سابقاً هو التنصيف مطلقاً نظراً إلى الآية الشريفة قوله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ، يعني به الوطء ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ يعني به العقد ، فجعل سبحانه علّة وجوب إعطائها كل الصداق شيئين العقد والوطء والمفهوم من المقابلة التوزيع فيكون موجب النّصف العقد وموجب النصف الآخر الوطء وإذا لم يدخل استحقت بالعقد النّصف لاغير ، وكونه إذا مات هو يجب عليه الكلّ لأن الفرقة من قبله ليس بشيء ، لأن الفرقة من قبل

الله وهو قد حكم بالتنصيف وذكره في الطلاق ولا يقتضي [في الطلاق لا يقتضي] نفي غيره لأن ذكر الشيء لا يقتضي نفي ما عداه ، وللأخبار الكثيرة وقد كان في خاطري أنّها تقرب من ثلاثين خبراً ، وقول الشيخ فيه نحو خمسة أخبار وقول المشهور ظني أن فيه ثمانية أخبار . فالقول بالتنصيف مطلقاً أوجه لقوة الاعتبار وكثرة الأخبار وصحة أكثرها ، هذا ملخّص ما عندي سابقاً والآن ليس لي قوة [على] المراجعة .

قال سلّمه الله : وهل غير ذات الولد من الميت ترث من خيار العقار شيئاً أم لا ؟ وهل ولد الولد كالولد مع فقد أبيه في إيجابه استحقاق عين العقار أم تختص بذلك ذات الولد بلا واسطة ؟

أقول : الظاهر عندي أيضاً سابقاً أن ذات الولد ترث من كلّ شيء وأما غير ذات الولد فترث من عين ما ينقل ويحوّل ، وأمّا الأرض فلا ترث منها شيئاً ولا عيناً ولا قيمة ، وأمّا الجدران والسقوف والسطوح والنخل والشجر ومنه عندي القنوات والمياه والعيون وما أشبه ذلك غير رقبة الأرض فتَرث من قيمته دون رقبته ، وأما ولد الولد مع فقد أبيه فالذي يقوىٰ في ظني أنه يقوم مقام أبيه في كلّ شيء إلا في أشياء نادرة فترث ذات ولد الولد من رقبة الأرض ، لأنّها ذات ولد شرعاً ولغة ونظراً إلى العلل فإنها عندي أسباب لا معرّفات .

قال سلّمه الله : وما فائدة المنسوخ قبل مضيّ زمنٍ يسع العمل به ؟

أقول : إيمان المكلف بمطلق الامتثال والتهيؤ للقبول ولأن الشيء قد يكون الأمر به محبوباً دون متعلَّقِه ، أمّا أن الأمر به

محبوب فَلِما فيه من الامتثال كما أُمر إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه [و] ، أمّا الأمر به في نفسه فهو راجح لأنّه المسابقة إلى القيام بالبلاء الحَسَنِ من الله ، وأمّا أن متعلقه أي وقوع متعلقه غير محبوب فلاستلزامه فَوات ما هو أعظم منه فيكون مع رجحانه في نفسه بالنسبة إلى كونِ وقوعه مانعاً من وقوع الأمر الأهمّ منه مرجوحاً فيكون نسخه راجحاً باعتبار غيره كما نسخ ذبح إسماعيل لأنه لو ذبحه لكان سابقاً للحسينِ عليه السلام في كونه فداء لشيعته من النار ولكان ذبح إسماعيل موجعاً لقلب أبيه إبراهيم فإذا منع منه كان السبق للحسين عليه السلام لأنه أولى به من إسماعيل ولأن قتله عليه السلام على أيدي أعدائه لعنهم الله ظلماً وعدواناً أوجع لقلب إبراهيم من ذبح ابنه على يده فكان راجحاً .

فكان ذبح إسماعيل بعد أن كان راجحاً مرجوحاً ففداه بكبشٍ إشعاراً بالاستكانة لله تعالى أملح وهو اللّون الممزوج من البياض والسّواد إشارة إلى أنه من صفة الفجر الذي نورُه بياض وسواد وهو الحسين عليه السلام لأن السواد من بقايا ليل مصالحة أخيه الحسن عليه السلام لمعاوية والبياض من نور صبح قتله يوم كربلاء ، إذ هو الذي كشف ظلمة الشبهة الداخلة على الشيعة من مصالحة الحسن عليه السلام لمعاوية [عليه اللعنة] فكان قَتلُهُ عذراً لمن قعد في بيته منهم عليهم السلام إلى قيام القائم عجّل [الله] فرجه وسهّل مخرجه والحاصل قد يكون نفس الأمر بالشيء محبوباً لأن متعلّقه حَسنٌ في نفسِه ولكن متعلّقه بالنّسبة إلى غيره ليس بمحبوب كالأمرِ بالصّدقِ وإذا استلزمَ هلاكَ المؤمنِ وجبَ الكذب ، فالصّدق لا يزال في نفسه حَسَناً وقد يكون قبيحاً بالنّسبة إلى استلزامه هلاك المؤمنِ

فقُبحه عرَضي وهذا كثير في الكتاب والسنّة قال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ أرادَ إهلاكهم ثم رحمهم قبل إهلاكهم فقال : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

قال سلّمه الله : وإن تمنّ عليّ بكشفِ معنى حقيقة الدعاء والفرق بينه وبين الأمر والنّهي .

أقول : معنى حقيقة الدعاء هو العروج إلى مراتب المطالب أما سمعت أن الصلاة لغة هي الدّعاء ، وقد لوّح الشارع عليه السلام أنّها هي الدّعاء شرعاً ولغة فقال : (**الصلاة معراجُ المؤمن**) ، وكما أن الملائكة تعرج إلى مراتب مطالب خدمةِ الله سبحانه بأجنحتها وهم أولي أجنحة مثنى كصلاة الصّبح وثلاث كصلاة المغرب ورباع كالظهرين والعشاء فأعدادها أجنحة المؤمن فافهم ما كشفت [كشف] لك من السرّ فإنّه ممّا قال علي بن الحسين عليه السلام :

وربّ جـوهـرِ عـلـمٍ لـو أبـوح بـه
لـقـيـل لـي أنـت مـمـن يـعْـبُـدُ الـوثَـنـا

فالدعاء معراج المؤمن لأنّه هو العبادة والعروج إلى المراتب العالية فإنّما هو بالمدد الإلهي لأنه هو السّبب الوثيق والفيض بالمدَدِ دائم من كرم الكريم سبحانه ولكن لا ينتفِعُ به المكلّف إلا بالقبول والتمسك به ، وأعظم القبول له والتمسك به الدّعاء اللغوي والشرعي أعني الصلاة ذات الأركان والدّعاء قبول الكون والتكوين مقبولُهُ ، والقبول موقوف على التمكين ، فالتمكين هو حقيقة الأمر وهو طلب القبول بالعمل والنّهيُ طلب طلب الترك بالفعل . وكان

المطلوب في النّهي هو ما كان في إمكان المكلّف من الأمور المتحققة [المتعلقة] ، بالإمكان ، فإن المأمور به والمنهي عنه شيئان موجودان بالوجود الإمكاني للمكلّف فيطلب منك فعل هذا لما فيه من الصّلاح ويطلب منك ترك هذا لما فيه من الفساد ، ولمّا كان الحكيم لا يخاطب المكلّف إلّا بما يَعْرِفُ أمَرَهُمْ ونهاهم على ما يعرفون مِن أنه طلب منهم ما هو في وسعهم وإمكانِهم مما أعطاهم القدرة عليهم والتمكين منه ممّا هو في ملكه وقبضته ، ولمّا دلّهم على أنّ جميع ما يطلبونه عنده سبحانه قال تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ ، وأمَرَهم بطلبه منه تعالى وهم لا يعرفون إلّا الأمر والنّهي ، والأمر والنّهي لا يحسن إلّا من المالكِ فإن [لأن] الله سبحانه حين أمرهم ونهاهم إنّما طلب منهم ما يستحقه وما هو أهله والعباد لا يملكون شيئاً منه ولا يستحقون وكيف [فكيف] يأمرونه بأن يرزقهم وهم لا يستحقون الرزق وينهونه عن أن يعاملهم بعدله وهم لا يستحقون ذلك لأنّهم فعلوا موجب الهلاك فكيف يقولون لا تهلكنا فعلّمهم سبحانه أن الصّورتين منهم دعاء أي طلب ممّا عنده ، فالأمر هو طلب المملِك بكسر اللام من المملَك بفتح اللام والنهي طلب المملِك بالكسر ترك المملك بالفتح والدّعاء بالصّورتين طلب ما لا يستحقه الطّالب .

وأمّا التّسمية وخصوص لفظ بمعنى دون آخر فذلك من وضع الواضع للّغة لمناسبةٍ ذاتية بين الألفاظ والمعاني كما قرّرناه في الأصول في الفوائد وفي ما ذكرنا جواب لقوله أيّده الله : «وكيف تصدر صورة الأمر والنّهي من العبد القابل المطلق المفعول المطلق

والعبد الذليل بالنسبة إلى المولى الجليل»؟ فأقول تأمّل في كلامي يظهر لك جواب ما سألت عنه .

قال سلّمه الله : وكذلك بيان الخمس التي يزادها العالم [يزاد الإمام] اللاّحق بعد موت السّابق .

أقول : الإمام اللاّحق قبل موت السّابق ناقص عن السّابق فيزاد ما كان ناقصاً عنه ، مثل أنه صامت فلا ينطق بدون إذن الناطق وبعده يكون ناطقاً ، ومثل انتقال نور ، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ وهوالرّوح من أمر الله ومثل تمام الاثنين والسّبعين حرفاً من الاسم الأعظم عند موت السّابق ومثل الرّجم إذا فقد حكم مسألة ولم يجدها في الكتاب ولا السنّة ولا في الغابر والمزبور [الزبور] ولا في مصحفِ فاطمة ولا في الجفر ولا في الجامعة رَجَمَ وهو الضرب بالقرعة فيظهر له مرادُ الله من المسألة في الحكم ، ومثل رفع عمود النّور إلى جميع الخلق فيعايِن به كلّ شيء كما يرى الشخص في المرآة .

وأما خصوص خمس معيّنة فلا تحضرني حال الخط مع ما دلّ الدّليل على أن لاحقهم لا يزيد على سابقهم حتى لو تجدّد علم واقعةٍ لم يصل إلى السّابق نزل بها الملك على النبيّ صلى الله عليه وآله ثم يأمر الملك أن يلقيها إلى عليّ عليه السلام ثم يأمره على أن يوصلها الحسن عليه السلام ثم يأمره الحسن أن يلقيها إلى الحسين عليه السلام وهكذا حتى لا يزيد أحدهم على غيره منهم عليهم السلام .

قال سلمه الله : ثم ما اختياركم في العصير بالنسبة إلى الطّهارة والنجاسة بعد غليانه وعلى القول بنجاسته حينئذ فما الدّليل عليه

وهل الدّبس المعهود في بلدنا المستخرج بمجرد العصر داخل في العصير أم لا ؟ وهل يختص التحريم بالعنبي أم لا ؟ وعليه فما معنى الكلية الواردة في الأخبار بلفظ كلّ عصير غلي .

أقول : الذي ترجح عندي ذكرته في شرح التبصرة للعلاَّمة رحمه الله ، أنه إذا غلى واشتد أي في غليانه ينجس لتسميته في بعض الرّوايات بالخمر وحديث البختج بتوجيهٍ ذكرته هناك يصعب عليّ نقله إلّا أن المترجّح عندي ذلك ؟ والظاهر أن الدّبس المشار إليه كما في القطيف عندكم والأحساء مثل العصير إذ لا يترتب الحكم على العصر المتعارف وإنما يترتب على المعصور ، واعلم أنّ الأخبار عندي ظاهرة في التحريم في العنبي والزبيبي والتمري ، إن لم تكن صريحة ولكني أتّقي من الناس ، فأقول : إذا سُئِلتُ أنا ما آكلُه لأنّ روايات الباب كثيرة صريحة ، والعلماء ينكرونها وينكرون القول بالتحريم مع أنّه ذكره في الدروس وأورد رواية عمّار بن موسىٰ عن الصَّادق عليه السلام قال : سألته عن الفضيخ متى يَحِلُّ ؟ فقال عليه السلام : (**خذ ماء التمر واطبخه حتى يذهب ثلثاه**) ، ويقولون لا دلالة في الرواية ويستدلون بحديثٍ كان عليه السلام تعجبه الزّبيبة على التحليل وهي أقوى أدلّتي على التحريم وحسنة عبد الله بن سنان عن الصّادق عليه السلام : (**أيُّما عصيرٍ مسّته النار فقد حرم حتى يذهب ثلثاه**) انتهى .

ويقولون هٰذه يراد منها خصوص العصير العنبي وأنا ما أدري ما يقولون ؟ ورواية عبيد بن زرارة عن الصّادق عليه السلام في الزبيب يطبخ في الطبيخ فقال عليه السلام : (**إذا أدّى الحلاوة إلى الطبيخ فقد حرم**) انتهى .

ويقولون هذه الرّواية متروكة يريدون أن راويها زيد الزراد في أصله وزيد من الثلاثين الرجل [الرجال] الذين استثناهم الصفار من رجال روايات كتاب النوادر لمحمد بن أحمد بن يحيى الأشعري المعروف بدبة شبيب وأنه لا يرى العمل بما تفردوا به وتبعه تلميذه محمد بن الحسن بن الوليد على ذلك وتبعه تلميذه الصّدوق على ذلك وأسقطه الشيخ من الفهرست ويزعمون أن الكتاب من أصله ضعيف لأن زيد الزراد ليس بثقة على الاصطلاح الجديد ، وأنا أرويه بطرق صحيحة إلى هارون بن موسى التلعكبري عن الكليني عن محمد بن يحيى العطار عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير عن زيد الزّراد وهم يَرْوُون نقل الكشي الإجماع على تصحيح ما يصحّ عن ابن أبي عمير والشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزيّ في رسالته الصلاتية رجّح تحريم التمري والزبيبي من عموم أيّما عصير في حسنة عبد الله بن سنان المذكورة ، ويقول الصادق عليه السلام في رواية إبراهيم بن عيسى الخزاز الطويلة ذكر فيها قصة إبليس مع حواء وأنها طلبها زبيبة فمصّها ثم تمرة فمصّها وردّهما عليها وكان العنب والتمر من أطيب الفواكه رائحة فذهبت بمصّ إبليس قال عليه السلام : (**فمِن ثَم يَختمر العنب والتمر**) والحاصل الذي يترجح عندي سابقاً اجتناب الثلاثة والحكم بنجاسته مع الاشتداد والآن لا أقدر على المراجعة .

قال سلّمه الله : وأيضاً سيدي ما حقيقة معنى ، (**له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب**) ؟ وظاهر العبارة يوهم نسبةً أو ملكاً وكلاهما يقتضي المغايرة وهل فرّق بين عالم وربّ وخالق حتى يقال عالم إذ لا

معلوم وله معنى الخالقيّة إذ لا مخلوق أم لا وما معنى الخالقيّة والربوبيّة الثابت إذ لا مربوب ومعناها المنفي هناك ؟

أقول : معنى (**له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب**) ، أن الربوبيّة والخالقيّة من صفات الخلق ، فمعنى ربّ هو المربّي والمالك والصاحب وأمثال ذلك وليس لربّ وخالق معنى غير ما يفهم لغة لأنّها صفات الفعل فلذا توصف الذاتُ بها وبضدها فتقول خلق ولم يخلق ورَبَّي ولم يُرَبّ وصحبَ ولم يصحب ، وصفاتُ الأفعالِ صفات كمالٍ في رتبةِ الفعلِ وصفاتُ نقصٍ في رتبة الذات لأن الفعل تصحّ فيه النّسبة والإضافة والذات لا يصحّ ذلك فيها .

فإن قلت : ربّ ومالك لا يصحّ وصف الذّات به وبضده فلا تقول لم يكن ربّاً ولا مالكاً .

قلت : ربّ ومالك من صفات الفعل فيصحّ في رتبة الذات أن يكون غير مالك وليس بربّ فأيّ ملكٍ أوتربية في ذاته تعالى ولكن لما كان بعد الذات أي خارجَ الذات يعني رتبة الإمكان صحَّ هُوَ ربّ وهو مالك لم يكن خلواً من ملكه في ملكه ، أمّا في ذاته فذاته خلوٌ من ملكِه فصفاتُ الخلقِ كالربوبيّة والخالقيّة لما كانت ذات إضافةٍ ونسبةٍ لا تنفك عنها ولا تعقل بدونها لم يجز أن تتّصف ذاته تعالى بها .

ولمّا كانت صفاتِ كمالٍ في الأفعال لم يجز فقدها من أفعاله ولمّا كانت حادثةً حدوث جهاته علم وقدرة فمعنى (**الرّبوبيّة إذ لا مربوب**) ، العلمُ والقدرةُ ومعنى الخالق ولا مخلوقَ العلمُ والقدرةُ يعني أن العليم القدير يربي بأفعاله ما شاء ويخلق ما شاء فمعنى الربوبيّة والخالقيّة وجميع صفات الخلق كالرازق والمعطي وغيرهما

العلم والقدرة إذ مَنْ كان عالماً بكلّ شيء وقادراً على كلّ شيء يفعل ما يشاء . فالربوبيّة إذ مربوب نفسُ الفعلِ وكذا الخالقيّة إذ مخلوق وإذ لا مربوب لم يكن له معنًى مفهُوماً من الربوبيّة وليس معناه ما يدل اللفظ عليه بل هو اسم ثانٍ للعلمِ والقدرة مثل ما قيل إن عشرة إلا ثلاثة اسم ثان لِسبعةٍ فما يفهم [فما يوهم] النسبة والملك معناه في الفعل فإذا استعمل في الذات لم يكن المراد منه مدلول لفظه الذي يوهم النسبة والملك ، بل المراد منه الحقي لا الحقيقي والحقي هو العلم والقدرة ، انظر إلى الإمام عليه السلام لما سئل لم يزل الله [سبحانه] مريداً قال عليه السلام : (**إن المريد لا يكون إلا المراد معه لم يزل عالماً قادراً ثم أراد**) انتهى .

يعني أنه تعالى له معنى الإرادة إذ لا مراد وهو العلم والقدرة .

وقوله سلّمه الله : وما فرق [الفرق] بين عالم وربّ وخالق إلخ ، لا فرق بينها إذا أريد بعالم معناه في اللّغة الظاهرة ، لأنه عالم إذ معلوم ولكن هذا صفة فعليّة كما تقول : ربٌّ إذ مربوب وخالق إذ مخلوق والصّفة الفعليّة منفيّة عن ذاته ، وكمالُ توحيده نفيُ الصفاتِ عنه ولكن إذا قيل : عالم إذ لا معلوم ، لا يراد به ما يُراد من الأوّل بل يُراد منه معناه الحقي ، وهو الله فإنه مرادف له إذ لا يُراد منه ما تفهم منه النسبة والإضافة وله [فله] معنى حقي وهو عالم إذ لا معلوم ومعنى حقيقي وهو عالم إذ معلوم وليس لربّ وخالق ومالك معنيانِ إلّا ما نسميه معنى ثانٍ مثل عشرة إلا ثلاثة فإنه اسم ثان لسبعةٍ وهو قولنا له معنى الخالق إذ لا مخلوق ، معناه عالم قادر كما قال الصادق عليه السلام : في الحديث السابق لما سئل عن الإرادة ، فافهم واعذر وسامح فإني مشغول مع أشغال الأمراض

بشرح العرشية في المبدأ والمعاد ولكن خطكم الشريف وصل إلى محبكم في الخامس عشر من ذي القعدة [الحرام] سنة ١٢٣٤ قريب الغروب وفي ليلة السادسة عشرة [السادسة عشر] شرعت في خطّ هذا الجواب إنجازاً لطلبتكم ومسارعة لإرادتكم ولم أكن أقدر على القعود في الليل ولكن ببركة إجابتكم قدّرت تلك الليلة والحمد لله ربّ العالمين وكتب أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الأحسائي حامداً مصلّياً مستغفراً ، تمت .

رسالة
في جواب السيد إسماعيل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

وبعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد بعث إليّ السيد الجليل سيدنا السيد إسماعيل بخطّ التمس منّي الجواب لمسائل كتبَها وقد وردت عليّ في حال اشتغالي بشرح الزيارة الجامعة ، وكنتُ التزمتُ أني لا أشتغل عنه بشيء فلمّا وفقني الله عزّ وجلّ لإتمامه وذكرتُ كلامه أعلى الله مقامه كتبت ما حضر وجعلتُ كلامه سلّمه الله متناً ليتبيّن معنى كل مسألة في محلها وبالله سبحانه أستعين .

قال سلّمه الله : فإليك أشكو ضعف نفسي عن المسارعة فيما وعد الله أولياءه والمجانبة عما حذّر الله أعداءه .

أقول : اعلم أنّ النفس خُلقت على ما هي عليه من قابليتها ومقتضى قابليّتها الضعف عن ذلك وإنّما أفاض عليها الوجود لتقوى على طاعته وكانت الإفاضة في مقامين :

الأول : به تكوّنَتْ في صورتها الظاهرة .

والثاني : به تتكوّن في نوريّتها وقوّتها على القرب من خالقها ، فأمّا الأول فمعلوم ، وأمّا الثاني فهو مادّة الوجود التشريعي وهو

الإرادات الإلهية من المكلف والأوامر الشرعيّة ، وكما أن الوجود التكويني الأوّل لا يتحقّق إلّا بقابليّة العبد له حين الإيجاد كذلك الإيجاد التشريعي لا يتحقق إلّا بقابليّة المكلف وهي امتثال الأوامر واجْتناب النواهي كما قرّر الشارع عليه السلام وطبيعة النفس تقتضي مخالفة ذلك وبالمخالفة تهلك فأمر الشارع عليه السلام بالمعالجة لها وتعليمها على الطاعات بالتدريج قال الصادق عليه السلام : (**بالعقل يُسْتَخْرَجُ غَورُ الحكمةِ وبالحكمة يُسْتخرَجُ غورُ العقل**) انتهى .

والمراد أنّك تحمل النفس على بعض الأعمال الصالحة فإذا عملت قوي العقل فإذا قوي العقل بعثَها على العمل وهكذا فأنت تعوّد نفسك على فعل الخير فإن فعلَت فحسن وإن خالفَتْ فلا تهتمّ بما مضى واجتهد فيما يأتي فربّما لو اهتممتَ بما مضى كان شاغلاً لك عمّا يأتي ولا يرجع لك ما مضى وتستدرك ما مضى بالندم والاستغفار، ولا يكون الندم شاغلاً لك عما يأتي وأكثر من ذكر الموت وأحوال الآخرة من الجنّة والنار واعتبر بمن كانوا معك وسافروا قبلك إلى الآخرة، واقتَدِ بمن استعدّ لذلك السفر الطويل بالزاد الجزيل منهم، وحذّر نفسك أن تكون كمن سافر بغير زاد واجعل لك وقتاً في اليوم والليلة ولو قدر ساعة أو أقلّ تنظر فيه إلى ما خلق الله من السماوات والأرض وتعتبر بآيات الله كما قال تعالى : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾ ، واجتهد في إخلاص العمل وإن كان قليلاً لأن الله تعالى يقول : ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ولم يقل أيّهم أكثر عملاً فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : ووسوسة نفسي وقلّة صبري وكثرة همومي .

أقول : اعلم أن الشيطان يأتي المؤمن إذا وقع منه تقصير ويفتح عليه باب الخوف ليشغله عن التّلافي والإتيان بما سيأتي وليدخله في باب القنوط ، ومن المؤمنين مَن يجري على خاطره تصوّر حال قبيح في الله تعالى أو في أنبيائه وأوليائه والتصوّر في الحقيقة ليس منه وإنّما هو من إلقاء الشيطان وهذا هو النجوى الذي ذكره الله تعالى في كتابه فقال : (**إنّما النجوى من الشيطان ليحزنَ الذين آمنوا وليس بضارّهم شيئاً إلّا بإذن الله**) ، وهذا كما قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ﴾ ، لأن كيد الشيطان ضعيف فإذا عرض لكَ هذا ومثله فلا تخف منه ولا تهتمّ به فإنّه يذهب عنك لأنه كما قال الله : ﴿ **فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ** ﴾ .

والشيطان مثل الكلب تمرّ عليه فينبح عليك فإن تركته رجع عنك وإن اغتنيتَ بطرده أشغلك فكلّما طردته ذهب وإذا رجعتَ رجع إليك ، وأمّا إذا تركته تركك فاعتبر بهذا المثال وعلى أنّ هذا الذي جرى في تصوّرِك ليس منك بل هو من الشيطان ولهذا يجري على خاطرك بغير محبّتك ورضاك ولو كان منكَ لرضيتَ به فإذا عرفتَ أنه ليس منك فلا يضرّك ولا تخف منه ، واعلم أنّ الخَبيث يأتيك به هو ويقول لك قد كفرتَ أو نافقتَ أو ارْتددتَ فلا تُطِعْه فإنه كاذبٌ لو كان منك لَما كرِهتَهُ ، وإذا لم يكن منك كيف تكون كافراً بفعل غيرك أو مرتّداً ، (**ومع هذا**) فأنت تكثر من قول : (**يا مقلّب القلوبِ والأبصار صلّ على محمد وآل محمد وثبّت قلبي على دينك**

ودين نبيّك صلّى الله عليه وآله ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمةً إنّك أنتَ الوهّاب) ، ليلاً ونهاراً فإذا خطر على خاطرك ما تكره فقل : (**أشهد ألاّ إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وأشهد أن عليّاً ولي الله عليه السلام**) ، وأما قلة الصبر فانظر في نفسك هل تدرك مطلوبك بالصبر أم بقلّة الصبر ؟ فإنْ قلتَ بقلّة الصبر فلم تكرهها ، وإن قلتَ بالصبر فاصبر حتى تدرك مطلوبَك ، وأما كثرة الهموم فأنت جرّبتها هل حصّلتَ بها شيئاً مما أَهَمّك أم لا ؟ فإن قلتَ حصّلتُ بها فينبغي أن تفعلها وتلازم عليها ، وإن قلتَ ما حصّلتُ منها إلّا الأذَى فاتركها ولا تطلب لنفسك الأذى بما لا ينفعك ، ومن الأدعية المجرّبة إذا أصابك غمّ فقل ثلاثين مرّة : (**لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنتُ من الظالمين**) ، فقد جرّبته مراراً وعليه أعتمد وهو مروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله .

قال سلّمه الله : وإليك أشكو قلباً قاسياً مع الوسواس متقلباً .

أقول : ليس قلبك قاسياً ولا متقلّباً مع الوسواس لأن القلبَ القاسي هو الذي لا يشعر بهذه الأمور بل يطمئنّ إليها ولو تقلب مع الوسواس لرأى ذلك حقّاً وفرح به فلمّا تألّم قلبك من ذلك ، دلّ على أنّه ليس منك ولا منه وإنما هو من نجوى الشيطان وإذا كان من غيرك لا يضرك بل جزع قلبك من هذا ومثله كما قال صلى الله عليه وآله : (**ذلك محض الإيمان**) انتهى .

ومعناه إنما خاف قلبك من هذه الأمور لأنه مطمئِنّ بالإيمان فإذا ذكره الشيطان ذلك ليحزنه تألّم من ذلك لأنه منكر لها وهو معنى كونِه ماحِضاً للإيمان .

قال سلّمه الله : وبالرين والطبع متلبّساً .

أقول : علاجه أن تجلوه وتصقله بما ذكرنا من الاستغفار والإكثار من ذكر الله ومن ذكر الموت والجنّة والنار وبإخلاص العمل وبملاحظة الرجاء في الله تعالى وحسن الظن به .

ثم قال : وتعلّموني ذكراً ووِرداً لتصفية الباطن وتنوير القلب بنور المحبّة والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله .

أقول : الذكر قسمان :

أحدهما : هو ما ذكرنا لك من التفكر في خلق الله وصنعه وآثار قدرته وذكر نعمه وجميل إحسانه التي لا تحصى وحسن الظنّ به والرجاء فيه والخوف من مقامه وأن تذكره عند الطاعة فتفعلها وعند المعصية فتتركها وأمثال هذا .

وثانيهما : ما تتلفّظ به من الذكر وأفضله الصلاة على محمد وآله صلّى الله عليه وآله ، فإنها تكفّر الذنوب من دون توبة ولعن أعدائهم فإنها موجبة للشفاعة في الدنيا بإصلاح الأحوال وقضاء الحوائج ورفع الموانع وفي الآخرة بالسلامة من النار والفوز بالجنّة والذكر الخاص لكلّ مطلوب ، (**توكّلت على الله**) ألف وثلاث وعشرون ولكل مخوفٍ ، (**اعتمصتُ بالله**) ألف وتسع وستون ، وأمّا تصفية الباطن ففرّغ قلبَك لذكرِ الله سبحانه ولذكر أسمائهم عليهم السلام فإن اجتمع قلبك على هذا خاصة صفا باطنُك واستنار قلبك بنور المحبّة وذلك مع المداومة على المستحبّات الشرعية والتوجه في الواجبات ، وأمّا الزهد في الدنيا فكما قال الصادق عليه السلام : (**ألاّ تكون بما عندك أوثق منك بما عند الله**) انتهى .

وأمّا الرغبة فيما عند الله فبذكر انقطاع الدنيا ولذّاتها وفنائها وذكر دوام الجنّة ولذّاتها وَبقائها وإكثار التفكر في تقلّب الدنيا وغدرها بمن ركن إليها وأشباه ذلك وذكر الموت وما بعد الموت والحساب والوقوف بين يدي الله وزيارة القبور والاعتبار بها وبالدنيا وبما فَعلَتْ بأهلِها ، وهذا وأمثاله مذكور في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ، وفي كتب العلماء الموضوعة في علم اليقين والتقوى .

قال سلّمه الله : وتمدوني وترشدوني إلى طريقة تصلح لي ديني وما فسد منّي وتصلح معاشي ومعادي .

أقول: عماد هذا وقِوامه المصلح للمعاش والمعاد هوالتوكّل على الله وتفويض الأمر إلى الله والرجاء في الله وحسن الظن بالله .

قال سلّمه الله : والمدعو من فضلكم أن تبيّنوا لي معنى الأمر بين الأمرين من الجبر والتفويض .

أقول : اختلف الناس في حكم أفعال العباد الصادرة عن دواعيهم وبواعثهم القلبية .

فقال : الأشاعرة ، الله سبحانه أجراها عليهم ولا يفعلون من أنفسهم شيئاً والأسباب التي تنسب إليها الأفعال ليست في الحقيقة بأسبابٍ بل الفاعل في الحقيقة هو الله فيحدث في أبي لهب الكفر ويعذّبه عليه ولا يقبح من جهته تعالى شيء ، بل كلّ ما يفعل المحبوب محبوب لا يسأل عمّا يَفْعل ، وهم يسألون ومذهبهم في ذلك مشهور وهم أتباع علي بن إسماعيل بن أبي بشرٍ الأشْعَري .

وقالت المعتزلة : إنّ الله خلقهم وركّب فيهم الآلات التي هي أسْباب الفعل وأمرَهم ونَهاهم فهم الفاعلون لأفعالِهم على

الاستقلال وليس لله في أفعالِ عبادِه إلّا الأمر والنّهي القوليّانِ ، ولولا ذٰلِكَ لبطل الثّواب والعقاب ولهم من ظواهر الآيات والأخبار أدلّة كثيرة ، فالأشاعرة أصْحاب الجبر فإنهم يقولون بذلكَ ويلزم من كلامهم ذلك أن الله أجْبَرَ عبادَهُ على أفعالهم ولَيْس لهم اختيار في الحقيقة بل جميع أفْعالِهِمْ منه تعالى : (**والمعتزلة**) أصْحاب التفويض لأنهم يزعمون أن العباد فاعلون بالاستقلال .

وأحاديث أئمّتنا عليهم السلام مصرّحة بأنّ القائلين بالجبر والقائلين بالتفويض مشركون وبيّنوا عليهم السلام لشيعتهم مذهب الحقّ الذي يدينون الله به وهو القول بالأمر بَيْنَ الأمْرين يعني لا جبرَ ولا تفويض ولكن بينهما منزلة فيه الحق ، وهي أوسع مما بين الأرض والسماء إلّا أنّها أدقّ من الشعر وأحدُّ من السيف ، لا يَعْلمُها إلّا العالم عليه السلام ، أو من علّمه إيّاها العالم والمعنى أن هذه المنزلة التي لَيْست جبراً ولا تفويضاً لا يعرفها إلّا الإمام عليه السلام أو مَن علّمه الإمام عليه السلام بتعليم خاصّ ، ولقد زلّت في معرفتها أقدام العلماء والحكماء حتى كان وجود المصيب فيها أعز من الكبريْتِ الأحمر والغراب الأعصم وبيانها صعب مستصعب يحتاج إلى تمهيد مقدّمات وتطويل كثير ، وأنا الآن قلبي غير مجتمع وعليّ أشغال كثيرة وبي أمْراض متوالية ولكن لا بدّ من إشارة إلى ذلك على جهة الإجمال .

فأقول : إنّ كل ما سوى الله سبحانه حادث محتاج في بقائه إلى المدد من أثر فعل الله سبحانه فليس للمكلّف ولا لشيء من أحواله وأفعاله وجود ولا بقاء إلّا بالمدد من أثر فعله تعالى على جهة الدوام والاتّصال بل كل شيء قائم بأمره تعالى ، قيام صدور يعني

كوجود الكلام من المتكلم والشعاع من المنير والصورة في المرآة من مقابلة الشاخص فمثالنا لم نرد به أن الأشياء صادرة عن ذاته كالنور من المنير ، تعالى الله عن ذلك بل الأشياء صادرة عن فعله كصدور الكلام من المتكلم والنور من السراج والصورة في المرآة من مقابلة الشاخص فهي آثار مخترعة بفعله لا أنّها جزء فعله .

فقولنا قائمة بفعله قيام صدور نريد أن المتلكم ما دام متكلّماً فالكلام موجود مع التكلّم لا قبله ولا بعده كذلك الأشعة من السراج والصورة في المرآة من الشاخص ، فما دام مقابلاً لها فهي موجودة بمدد المقابلة وإلاّ فليست شيئاً فلو أعرض بوجهه لم يكن في المرآة صورة أصلاً فما دام مقابلاً لها فهي موجودة وتنسب إليها أحوالها وصفاتها ، لا إلى المقابل فتقول هذه الصورة صغيرة أو سوداء أو عوجاء أو كبيرة أو بيضاء أو مستقيمة .

وكل هذه صفات الصورة لا صفات وجه المقابل ، لأن وجه المقابل هو واحدٌ وتختلف صورته باختلاف المرآة التي هي القابليّة فتنسب الأحوال والصفات المختلفة إليها يعني ، وإن كانت ليست شيئاً إلّا بالمقابل كذلك الأشياء كلّها قائمة بفعله ، قيام صدور وتتغيّر وتتكثّر باختلاف قوابلها ولولا تجلّي فعل الله سبحانه بها لا مِن شيء كوَّنها لم تكن شيئاً فجميع أفعالها وأعمالها منسوبة إليها لأنها صفاتها ، لا أنّها منسوبة إلى فعل الله تعالى لأنّ فعل الله كصورة وجهك والأشياء كصورة وجهك في المرآة ، وصورة وجهك في المرآة ليست هي صورتك التي في وجهك بل التي في المرآة شعاع صورة وجهك وظلّها .

فالصورة التي في المرآة قائمة بالمدد من صورة وجهك والمدد

هو تجلّي وجهك بشعاع صورته للصورة التي في المرآة .

وهذا التجلي هو مددها التي قامت به وهو ظلّ صورة وجهك ، فصورة وجهك لا تفارق وجهك ولا تتغيّر ولا تختلف ، والصورة في المرآة تكبر وتصغر وتبيضّ وتسودّ وتستقيم وتعوجّ على حسب قابليّتها التي هي هيئة الزجاج وصقالته وبياضه واستقامته وكبره وأضدادها ، فصورة وجهك مثال لفعل الله ، ومقابلتك بها للمرآة مثال للمدد الذي به قوام الأشياء ، وبقاؤها والصورة في المرآة هي مثال الأشياء ، وزجاجة المرآة هي مثال قوابل الأشياء ، فكما أنك تنسب هيئات الصورة التي في المرآة إليها من الاعوجاج والاستقامة ، والبياض والسواد وغير ذلك ، ولا تنسب شيئاً من هذه الأحوال والهيئات إلى صورة وجهك لأن صورة وجهك ليس فيها شيء من ذلك ، لأن هذا من صفات التي في المرآة بسبب قابليّاتها التي هي هيئات زجاجة المرآة مع أنه لولا مقابلة وجهك لم توجد صورة في المرآة ولم يوجد شيء من هيئاتها كذلك الأشياء فإنها قائمة بأثر فعل الله تعالى ولم تكن شيئاً بغير ذلك المدد وجميع أحوالها وأفعالها منسوبة إليها صادرة عنها ، ولم ينسب إلى فعل الله تعالى شيء من أحوالها ، كما لا تنسب شيئاً من أحوال صورة المرآة من بياض وسواد واستقامة واعوجاج إلى صورة وجهك .

وإن كانت لا تقوم إلّا بها ، فالصورة في المرآة مستقلّة بنسبة أفعالها إليها وصدورها عنها ولا تكون ولا توجد إلّا عند مقابلة صورة وجهك كذلك الخلق أفعالهم وأعمالهم منسوبة إليهم صارة عنهم مع أنّهم هم ، وما نُسب إليهم وما صدر عنهم لا يوجد إلّا مع توجّه المدد من الله تعالى الذي به بقاؤه وحفظ وجوده ما قال

تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ﴾ ، وقال عليه السلام في أدعية الأيام من مصباح المتهجد للشيخ رحمه الله ، (**وكلّ شيء سواك قام بأمرك**) ، فتدبّر هذا المثال وتفهّمه فإنّك تجد حقّاً واضحاً ونوراً لائحاً ليس بعده إلّا الضلال والله سبحانه العالم بالأحوال وقد قال تعالى : ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ وهذا مثال من تلك الأمثال التي قال في كتابه .

قال سلّمه الله : وما معنى (**ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن**) .

أقول : اعلم أن الله سبحانه كان ولا شيء معه غيره ثم خلق المشيّة بنفسها لا مِن شيء غير نفسِها حين خلقها فأحدث بها الإمكان حين أحدثها لأنّه محلّ خلقِها في السرمد يعني أنّ المشية خلقها بنفسها في مكانها ووقتها ، فمكانها الإمكان ووقتها السرمد فهذه الثلاثة هي الوجود الراجح ، الوجود ومعنى أحْدَثَ بها الإمكانَ أنّه تعالى أمكنَ بها الإمكان إذ لم يكن قبل المشيّة إلّا الوجوب البحت سبحانه وهو الوجود الحق والمشيّة في الإمكان الراجح وهو الوجود المطلق ، والمُشاءَات في الإمكان المساوي وهو الوجود المقيّد وأوّله العقل الكلّي وآخره ما تحتَ الثرى . فلمّا أمكن الممكنات كانت حصصها الجزئية بالنسبة إلى الإمكان الكلّي حِصَصاً كلّيّة غير متناهيّة ، مثلاً أحدث في الإمكان الراجح الذي هو العمق الأكبر المشار إليه في دعاء السمات للحجة عليه السلام إمكانَ زيد على وجهٍ كلّيّ غير متناهٍ وإنّما قلنا إنه جزئي بالنسبة إلى العمق الأكبر .

ومعنى كون إمكان زيد على وجهٍ كلّي أن حصّته من الإمكان

الراجح قبل التكوين يجوز أن تكون زيداً أو عمراً أو جبَلاً أو جملاً أو طيراً أو أرضاً أو سماءً أو نبيّاً أو كافراً أو ملكاً أو شيطاناً أو معدناً أو نباتاً ، وهكذا إلى غير النهاية فزيد في العلم الحادث الإمكاني الراجح الوجود ، يجوز أن تقول هو ليس شيئاً يعني مكوّناً قال تعالى : ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ ، يعني لم يكن شيئاً مكوّناً ولكنّه شيء معلوم ممكن ، ويجوز أن تقول هو شيء ، يعني هو ممكن وليس مكوّناً قال تعالى : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ ، يعني أنه ما مرّ عليه وقتٌ من الدهر إلّا وهو مذكور ولكن مذكور في العلم والإمكان لا أنّه مذكور بالتكوين فللّه سبحانه في كلّ شيء مشيَّتان ، مشيّة إمكان ومشيَّة تكوين .

فالإمكان هو الخزانة الكبرى ، التي لا تتناهى والله الكريم سبحانه يمدّ منهن كلّ مكوّنٍ بما شاء ولا نهاية لهذا الإمكان إلّا في الملك الذي تفرّد به تعالى فإذا قلتَ : **(ما شاء الله كان)** ، تريد ما شاء الله تكوينه من الممكنات التي شاء إمكانها كان بمشيّته التكوينيّة من مشيّته الإمكانيّة ، وما لم يشأ تكوينه من الممكنات التي شاء إمكانها بالمشيّة الإمكانيّة ، لم يكن لأن الممكن لا يكون مكوّناً إلّا بالمشيّة التّكوينيّة ، مثلاً الجبل له حصّة إمكانية من الإمكان الراجح ، فكوّن هذا الجبل من تلك الحصة الإمكانيّة التي قلنا إنّها حصّة إمكانيّة جزئيّة على وجه كلّي غير متناهٍ ، فإنّ هذا الجبل يمكن أن يكون ذهباً وإنساناً وحيواناً وملَكاً وشيطاناً وبرّاً وبحراً ونبيّاً وكافراً ، وغير ذلك ممّا لا نهاية له ولا غاية أبد الآبدين ، فحاصل المعنى ما شاء الله تكوينه من الممكنات كان وما لم يشأ تكوينه منها

لم يكن ، وإذا كوّنه ليس له فيه البداء ألاّ يكوّنه لأنه كوّنه وكوْنُهُ لا يكوّنه محال ، ولكن له أن يغيّر تكوينه إلى أيّ صورة شاء بلا غاية ولا نهاية كما قال تعالى : ﴿فِىٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ .

وأمّا قول الصوفيّة وأتباعهم بأنّه ليس للحقّ في الشيء إلّا وجه واحد لأنّه علمه كذلك وعلمه تعالى لا يتغيّر وساوس وجهل بمقام الحق تعالى حتّى أنّهم يقولون لا تتعلّق قدرته تعالى بهداية الخلق كلّهم لأنّهم ما أعطوه العلم من أنفسهم بذلك ، وهو غلط فاحش ، فإنّ الله تعالى العالم بذاته وبخلقه يقول : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ ، فكيف يقول تعالى لشَيْءٍ كن ولا يكون أوْ أنّه أتى بهذا الفرض على جهة الفرضِ والتمثيل كما احتمله بعضهم وكتبَهُ هو زعماً منه أنّ هذا ممّا لا يحتمله إلّا أهله حَتَّى أنَّ المُلاّ محسن في الوَافي في بابِ الشَّقاوة والسَّعادة عنونَ بيان هذا فقال وإن كان الظاهريون لَبِمَعْزلٍ عنه .

قال سلّمه الله : وما معنى (**لا حول ولا قوّة إلّا بالله**) .

أقول : روي معناه عن أمير المؤمنين عليه السلام : (**لا حول لَنا عن المعاصي ولا قوّة لنا على الطاعة إلّا بالله**) ، ومعنى هذا الكلام أنّ الحول أي التحوّل عن المعاصي إنّما يكون منّا بالله لأنّا لنَا حقيقتان ، حقيقةٌ من الله وهي الوجود وهو يقتضي الطاعات بميل طبعه ويقتضي التحوّل عن المعاصي كذلك لكنه محدَث محتاج في بقائه إلى المدد وكذا في حصول الميل له ، وبقائِه لَهُ ، وهو أي المدد ، إنّما يجري على المحدث من فعله تعالى بارادته فإذا لم يرد لم يَصِل إليه مدد وإذا لم يصل إليه مدد لم يكن له اقتضاء ولا ميل ، هذا إذا وصل إلى الذات نفسها ولم يصل إلى نفس

الاقتضاء ، والميل مدد وإلاّ لم يكن شيئاً أصلاً ، وحقيقة من نفسه وهي الماهية وهي تقتضي المعاصي بميل طبعها وتقتضي ترك الطاعات كذلك وهي محدثة من الوجود المحدث ومحتاجة في بقائها وفي اقتضائها ومَيْلِها كذلك ، ومَيلُ الوجود من نوعه ومددُها من نوعها وكلٌّ بإرادة الله تعالى فإذا أراد العبد الطاعة باقتضاءِ حقيقته وميلها وهي الوُجود لا يَقْوَى عَلَيْهَا إلّا بمعونةٍ من الله وهذا معنى ولا قوّة لنا على الطاعة إلّا بمعونةٍ من الله تعالى وإن مال إليها وجودُنا وأحبَّها قلبُنا وإذا أراد ترك المعصية بعد ميلِ ماهيّتنا ومحبّة نفسِنا الأمّارة بالسوء ، لها لم نقدر على تركها والتحوّل عنها إلّا بمعونةٍ من الله تعالى وهذا معنى لا حولَ لنَا عن المعاصي إلّا بالله لأنّه لو أمدَّ الماهيّة حين مالت إلى المعصية ، عصى العبد قطْعاً ومدده تعالى لها التخلية والخذلان فلا يطيع العبد إلّا بالله ، فإذا مال إلى الطاعة وائتمر بها أمدّه بالمعونةِ وَلا يمنعه ما يحبّ منه أن يفعل ولا يعصي العبد إلّا بالله لأنه إذا مال إلى المعصية وائتمر بِهَا فإن شاء أن يحول بينه وبينها فعَلَ بأنْ يُمِدَّ مقتضى الترك لها وهو الوجود ، وإن لم يشأ ذلك خلاّهُ وكان تخليته مدداً لمقتضى فعلِها وهو الماهيّة ولايجب في الحكمة عليه تعالى أكثر منْ هداية النَّجْدينِ وَالمعونة إذا شاءَ وَله الحمدُ على كُلّ حَالٍ والحمدُ لله رَبّ العَالمين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العَلِيّ العَظيم وَصَلَّى الله علَى مُحَمّدٍ وآله الطّاهرين وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي حامداً مصلياً مسلماً مستغفِراً .

رسالة لوامع الوسائل
في أجوبة جوامع المسائل
(الرسالة التوبلية)
في جواب الشيخ عبد علي
ابن الشيخ علي التوبلي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ولي ما أولى من نعمه بالجود والكرم ومالك ما أعطى من سأله من النعم وصلى الله على نبيّه مصباح الظلم وعلى آله سادات الأمم .

وبعد ، فيقول العبد المسكين قليل البضاعة كثير الإضاعة أحمد بن زين الدين الأحسائي كنت في تشويش بال بمعاناة حل وارتحال واختلال أحوال وللقلب جواذب من كل جانب كل يأخذه بوجهه منه ويصرفه عنه إذ وردت علي مسائل ليس في الأرض لها جواب كما يشاء السائل بها إلا ضد الصواب وجواب أدناها من وراء ألف حجاب صدرت عن الحبر المقدس والطيب المغرس الشيخ العلي الشيخ عبد علي ابن المرحوم الشيخ علي التوبلي أخذه الله بيده إلى ما يتمنى ، وزاده الله بمدده بما يرضى ، طلب فيها ما ليس عندي ولا يكون عند كثير ممن بعدي ، ولقد ألقى الخطاب إلى من ليس معه كل الجواب لأنه ظن ماء وهو سراب ولكن الميسور لا يسقط بالمعسور ولله عاقبة الأمور وسميت هذه الأجوبة بلوامع الوسائل في أجوبة جوامع المسائل .

قال أيده الله : بسم الله الرحمٰن الرحيم وبه نستعين ـ أقول وأنا الفقير إلى رحمة ربّه الملك المجيب عبد علي بن علي بن محمد بن

علي بن أحمد الخطيب إني كنت في ريعان الشباب وصفو عيش من الأحباب إلى أن أتاني ما لم يكن في الحساب كنت في زهر الدنيا ورياضها سالكاً شعبها وأراضيها مستمراً على شهواتها وأغراضها حتى قابلتني بصدودها وأعراضها وبلتني بسقمها وأمراضها فأخذت في طلب العلوم والنظر فيما رأيته مرسوم حتى وفقني الله لتعلم لفظ كتابه المجيد ثم النحو والتصريف واللغة وعلم التجويد وقرأت المعاني الظاهرة والبيان ثم علم الحساب وعلم الميزان وقرأت أصول الفقه وأصول الكلام والفقه والتفسير وأخبار النبيّ والإمام عليهم أفضل الصلاة والسلام وسافرت الخط فقرأت في الهيئة ونظرت في كتب الطب لشدة الحاجة إلى ذلك وظللت اخترق تلك الشعب والمسالك فقلت يا نفس أين قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ﴿جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، وأين شكر المنعم وأين التكاليف وكيف طريقة ذلك؟ فطلبت ذلك وطفقت آخذ من هنا ومن هنا وقرأت قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

فأول درجة هي المجادلة وهي أسفل الدرجات وأقل الدلالات فامتطأت كاهلها وغاربها وسرحت بريد نظري في مشارقها ومغاربها وجعلت أقلب نظري في شموسها وبدورها وكواكبها فلم يجدني من علم المجادلة في الكلام سوى معرفة اصطلاح أهل الكلام حتى إذا هجم الليل وانسدل الظلام وهجعت عيون الأنام قدمت على المعرفة أشد إقدام وقمت على الساق والأقدام فلم اهتد لذلك

سبيلاً ولم أعِ حجة ولا دليلاً ، لكني علمت أن هذه المعارف بعضها ضروري وبعضها كسبي والكسبي ، ينقسم إلى عقلي وإلى تسليمي فهان علي الخطب فالضروري الذي ألهمني الله إياه هو كون أن لي صانعاً وأنه لا كالمصنوع وكل مصنوع له صانع والصانع غني عن المصنوعات وكل مصنوع محتاج إلى مدبره وهو عدل غني عن الظلم .

وقد علمت أن من العدالة أن لا يكلفني بشيء ولم يصفه لي ولا يرسل إلى من يعلمني بما يريده مني وذلك هو الكسبي العقلي المعتضد بالتواتر النقلي المورث للعلم القطعي ، وقد وصلني أن محمداً صلى الله عليه وآله ادّعى النبوّة وأظهر المعجز على يده وكان من أعظم آياته القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد عجز الناس عن الإتيان بسورة من مثله فعلمت أنه من العزيز الحميد فوجب علي قبوله وقد علمت أن طاعة محمد صلى الله عليه وآله طاعة الله ومعصيته معصية الله لقوله تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ إلى غير ذلك فوجب علي قبول كلام الرسول واتّباع أمره ونهيه ثم أيضاً باقي العقائد كسبية تسليمية فكل ما أتاني منه فهو مقبول ، ولكني حفظت شيئاً وغابت عني أشياء وهو أن للقرآن بطوناً وللبطون بطون ، وكذلك أن حديثهم صعب مستصعب فلم أهتد لمعرفة تلك المعرفة وقد قصرت عن أدنى مراقي تلك المرتبة وإن كانت كالشمس المنيرة في الظهور عند أهلها ولذلك صحّ أن يُقال :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

وينكر الفم طعم الماء من سقم

حتى إذا هدرت الحمامة وصاح الديك ونعق الغراب ونشرت أجنحة الطاووس وانشقّ الفجر ولاح الضياء ، بانت ضياء شعاع مصباح إحدى القرى الظاهرة التي هي المنازل في السير بيني وبين القرى التي بارك الله فيها فقلت لعلي إن أسير فيها ليالٍ وأياماً أمناً فجسست [فجست] خلال تلك الديار فتصدى لي من أدرك تلك الشموس بقوة بصره الذي هو عين بصيرته فأجابني بلسان حاله الذي هو أقوى من لسان المقال عند ذوي الكمال والجلال بأني متخذ خليلاً لو سألني إحياء الموتى لأجبته فحدثتني نفسي بأن أطلب تحقيق الخلة ليطمئن بها قلبي فأتيته سائلاً : ﴿ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ ، ليت شعري ما هذه الطيور الأربعة ، وما هذه الجبال العشرة فلما علمت أن هنا ما لم يهتد إليه سبيلاً زاد اشتياقي لهاتيك الديار ، وتأسفت على ما مضى من الأزمنة والأعصار فلازمته فظهر لي منه بعض الظهور بحسب قابليتي التي تعلقت وتخلقت بالكثافة والقصور فلم أزل في ذلك :

أقول للعين يا بشراك قد طلعت
شمس النهار وغابت عنك أكدار

واغتنموا الفرص فإنها تمر مرّ السحاب حتى سمعت يا ليت قد صم سمعي عنه وهو داعي الفراق نسأل الله ساعات الاجتماع والتلاق فقلت :

تزود من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

وخاطبت أمكنة الوصال في الليالي والبكور والآصال :

أيـــن ســـكـــانـــك إلـــى أيـــن هـــم
أحـــجـــازا يـــمـــمـــوهـــا أم شـــآمـــا
قـــوضـــوا بـــعـــد الـــتـــدانـــي وغـــدت
ظـــلـــمـــة الـــلـــيـــل بـــنـــا عـــامـــاً فـــعـــامـــا
وتـــبـــقّـــى كـــل مـــشـــتـــاق لـــهـــم
يـــســـأل الـــجـــنـــدل عـــنـــهـــم والـــرغـــامـــا
انـــقـــضـــى الـــعـــمـــر ولـــم أبـــلـــغ بـــه
حـــاجـــة تـــدفـــع ضـــرًّا وأوامـــا

وقد خلفوا في قلبي النار لما سمعت من تلك الأخبار وقد خفي عليَّ الأمور وقد رجوت كشفها من ذي القابلية العظيمة والدرة المكنونة اليتيمة والمرآة الصافية الكريمة مشّيد دعائم الإسلام والدين والحجة علينا من الحجة على العالمين ، الشيخ أحمد ابن المقدس الشيخ زين الدين مد الله ظلاله وأسبل عليه نواله وغمسه في بحر أفضاله ، فلما عزمت وحيل بيني وبينهم وبين عزمي وعلمت أن المدبّر غيري أتيته بمسائل كالوسائل متضرعاً مستصرخاً مستنصراً وسائلاً .

هذا آخر ما قدم أمام مسائله من كلامه زيد في مقامه وبلغه ربّه أعلى مرامه ، واعلم أيها الأخ الناظر في هذه الكلمات أني على ما أنا فيه من القصور عن تلك المسائل لا يمكنني إرخاء عنان القلم في هذا الميدان لما يستلزم ذلك من كشف ما لا يجوز كشفه ولكني مما علمت من حاله ومقاله بلغه الله أعلى مناله أنه يطلب الإشارة

والاختصار وذلك أحب إليه من الإطالة والإظهار فكفاني بفهمه ومراده المؤنة وأمّدني من إدراكه للإشارة الخفية بالمعونة وإذا كان ما يريد منه إجراء الوجوه الستة أجريتها في الظاهر من العبارة والباطن من الإشارة البتة ليتم لكل أهل فن من ذلك مطلبهم وليعلم كل أناس مشربهم ، والآن أريد أن أنبه على بعض ما تقدم من الكلمات ببعض التلويح يقوم لأهل ذلك مقام التصريح إذ قد يحتاج إليها فيما بعد .

قوله : (فأول درجة هي المجادلة وهي أسفل الدرجات وأقل الدلالات في قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾).

اعلم أن الله علم خلقه كما خلقهم ، أنهم على ثلاث طبقات فأمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يدعو إلى سبيله أهل كل قسم بما هم عليه مما أتاهم الله وهم أولو الأفئدة وأرباب القلوب وأصحاب العلوم والسبيل المدعو إليه سبيل الله إلى عباده حيث أعطاهم من كل ما سألوه في المداد الأول ، في الدواة الأولى والسائلون الواقفون ببابه والفقراء اللائذون بجنابه هنالك هم أولو الأفئدة الذين يدعوهم بالحكمة والذين أعطاهم من كل ما سألوه في القلم الأول ، وهم السائلون الواقفون ببابه الفقراء اللائذون بجنابه هنالك ، هم أرباب القلوب الذين يدعون بالموعظة الحسنة والسائلون الواقفون ببابه الفقراء اللائذون بجنابه الذين أتاهم من كل ما سألوه في اللوح وفي الحجاب الياقوت وفي آخر أكوارهم وأشكالهم وأجسامهم وهم أصحاب العلوم وأهل الآثار والرسوم المدعون بالمجادلة بالتي هي أحسن وسبيل الله إلى عباده هو

الوجود في تنزلاته وهذا السبيل هو سبيل العباد إلى ربّهم بما قدر لهم من السير في منازله ومقاماته وأشاروا إلى الأول النازل بقولهم عليهم السلام : (**نحن صنائع الله والخلق بعد صنائع لنا**) وقول علي عليه السلام : (**وسر البسملة في الباء و**) [وسر] ، (**الباء في النقطة وأنا النقطة تحت الباء**) كما رواه في مشارق الأنوار وقال صلى الله عليه وآله : (**ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمٰن الرحيم**) .

كما رواه ابن أبي جمهور في المجلى وإلى الثاني الصاعد كما في مختصر بصائر سعد للشيخ حسن بن سليمان الحلي عن جابر عن أبي جعفر عليهم السلام في قوله تعالى : ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ الآية ، فقال : (**يا جابر أتدري ما سبيل الله**) قلت لا والله إلا إذا سمعت منك فقال : (**القتل في سبيل علي عليه السلام وذريته فمن قتل في ولايته قتل في سبيل الله وليس أحد يؤمن بهذه الآية إلا وله قتلة وميتة أنه من قتل فينشر حتى يموت ومن يموت ينشر حتى يقتل**) انتهى .

والقتل الأول ليس بالسيف وإنما هو بالولاية ، ومن كان كذلك لا بدّ له من القتل بالسيف ومن الموت ، فمن قتل في الدنيا بُعث مع الصاحب عليه السلام وكان معه حتى يموت ويعيش بالضعف من عمره في الدنيا ومن مات في الدنيا بعث معه حتى يُقتل بين يديه ، وإنما جرى عليه الأمران لأنه محض الإيمان محضاً وماحض الإيمان إن كان من أولى الأفئدة فهو الممتحن قلبه للإيمان كما في الروايات ، وإن كان من أرباب القلوب فقد محض الإيمان ليقينه في مقامه ولتسليمه بما وراء ذلك ، فهم من فهم وأيضاً الإشارة إلى

السبيل الثاني الصاعد بقوله عليه السلام في الدعاء : (**تدلج بين يدي المدلج من خلقك**) .

وقول علي عليه السلام : (**ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا**) ، وكما روي عنهم عليهم السلام في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ﴾ الآية ، أنهم تلك القرى الظاهرة التي قدر فيها السير إلى الله وهذا أحد معنيي الروايتين في تفسير الآية فتنزلات الوجود يعني إدبار العقل من الله وبالله هو سبيل الله إلى خلقه فيما سألوه بما أتاهم ، وترقيات مراتب الوجود يعني إقبال العقل إلى الله بالله من الله بين يديه رفيع الدرجات كل درجة تكمل فيها ثمرة تجلّي صفة وظهور اسم من صفاته وأسمائه عزّ وجلّ تنزل إلى ما تحتها بها فيها وتصعد إلى ما فوقها بها عندها لا فيها فأسفل الدرجات درجة أصحاب العلوم ، أعلاها الصور المجردة عن المادة وأدناها عالم الأجسام والشهادة ، لكنها درجة كثيرة الأخطار لا يقر لأهلها قرار لا يزالون في الظلمة في الليل وتشتد الظلمة عليهم في النهار يجمعهم عشرون طوراً في معارفهم على اختلاف منازلهم وعوارفهم ، أعلاهم أصحاب الصور المجردة وأدناهم أصحاب القرب المؤصدة .

وفي تلك العشرين المقام حيات وعقارب وأهوال ، ﴿ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ ، ومن قصد هدايتهم فهو كالناعق بما لا يسمع ولا يفهم الصوت فإذا أراد الله نجاة من يشاء من أولئك أخذ بناصيته وفتح له باب هدايته وهما قسمان : من طابق قوله فعله ، وعمله قلبه تحقق العلم في صدره

وعلامته دوام الخشية من الله قال الصادق عليه السلام : (**إذا تحقق العلم في الصدر خاف وإذا [من] خاف هرب وإذا [من] هرب نجا**) انتهى .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ وفي الدعاء ، (**لا علم إلا خشيتك ولا حكم إلا الإيمان بك ليس لمن لم يخشك علم ولا لمن لم يؤمن بك حكم**) ، والقسم الثاني من حصلت له تلك الصورة ولم تعضد بما ذكر من مقتضاها وأولئك لا يكادون يثبتون عليها كما قال عليه السلام : (**العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل**) ، ولو ثبت ثبت لقليل شاذ ولكنها موقوفة الثبوت على الطينة وهي تتحقق بتمام اكتساب العبد لما هو عليه ، فالسابقة تثبت بالخاتمة كالحبة تزرع فتورق فتحمل بالحبة ، فافهم .

وأما باقي الأقسام من العشرين فلهم دلالة ضعيفة تكفيهم بنسبتهم ما لم يتجاوزوا فيما توهموا الألفاظ التي بنى عليها التوحيد والإيمان والإسلام ، وهؤلاء لا يجوز أن تعرض عليهم الشبهة ولا يجوز لهم الخوض ولا التفتيش لأنهم يتوهمون ما يناسب الشبه وترسخ في نفوسهم ولا يفهمون ما يجانس الجواب ، فلا يكادون يدركونه وإلى مثلهم أشار عليه السلام بقوله : (**همج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق**) انتهى .

ولذا تراهم يميلون حيث ما مالت الريح فدرجتهم أسفل الدرجات ودلالتهم أقل الدلالات وكذلك أصحاب الصور المجردة عن المادة فإنهم وإن كانوا أقوى من هؤلاء ، إلا أنهم يشيرون إلى شيء متوهم ولا يعلمون أنه مخلوق مثلهم مردود عليهم [إليهم] ،

وأما أرباب القلوب المدعون بالموعظة الحسنة فإن روح اليقين أذهب عنهم ظلمة الريب والشك بنوره قال الصادق عليه السلام : (**وإذا أشرق نور اليقين في القلب رجا وإذا رجا طلب ومن طلب وجد**) انتهى .

و (**ونور**) اليقين هو المعاني يعني معاني العلم بالله المجردة عن الصورة والمادة والقلب ملك وزيره ، [وزيره نور] العقل ووجهه وهو في الصدر الذي هو العلم كالنقطة في الدائرة عليها وهؤلاء تغلب عليهم آثار الفضل فيغلب عليهم الرجاء لسلامتهم من مسمى الكثرة ، لأن المعاني لا تشخص فيها بهيئات تميزها عند مَن دونها وفي ذاتها ولأجل ذلك يُقال للعلم إنه في اللوح المحفوظ يعني الألف المبسوط والكتاب المسطور ، إشارة إلى الكثرة ويُقال للعقل إنه القلم والألف القائم والطور إشارة إلى وحدته بالنسبة إلى كثرة [الكثرة] اللوح إلا أن القلم واللوح من الوجود المقيد ويجمع كونهما الدهر فافهم ، ثم لما كان العقل ليس له اقتضاء لغير الطاعة لقربه من الخير والوحدة فهو عند نفسه لا يشهد له وجوداً في كل أطواره إلا بربّه تعالى لا يحتاج فيما لم يستنبه إلى المجادلة بل إذا بيّن له فيما لم يظهر له أن الأمر دائر بين مقتضى نفسه وبين ما طلب غيره ، أختار ما طلب غيره لأنه لم ير بوحدته إلا ربّه فكان الله بذلك له أقرب إليه من كل شيء بل كل حركاته وسكناته في كل أطواره بالله ، لأن الله تعالى قال : (**وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك**) الحديث .

وقال تعالى : (**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ويده التي يبطش بها**) الحديث ، فالموعظة الحسنة هي فتح باب يقينه فيما

طلبه لأنه أبداً لا يقتضي إلا الأرجح ومثال الموعظة الحسنة في الدليل لأرباب العقول قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ فإذا دار الأمر بين ما يجوز أن يكون من الله وأن يكون من غيره فرضاً وهو طبق ما في العقل عند نفسه والعقل لله والله مع العقل كما قلنا سابقاً حصل الأرجح وجاء الحق وزهق الباطل . فالعقل يطلب ما فيه النجاة ، وذلك لا يخفى على كل من قطع الاعتبار من نفسه لأنه عاقل فافهم وتصرف في هذه القواعد بالتبصرة فإني وضعتها للإرشاد والتذكرة إن كنت علامة ، حصل لك منتهى المطلب وأما أولو الأفئدة فهم الذين كشفوا سبحات الجلال التي أولها وآخرها أنفسهم وجوداتهم من غير إشارة بل شأنهم تفقد الإشارة ومحوها حتى صحا لهم المعلوم وهؤلاء أهل المحبة قال الصادق عليه السلام : (**وإذا انجلى ضياء المعرفة في الفؤاد أحب وإذا أحب لم يؤثر ما سوى الله عليه**) انتهى .

وشرط ذلك منهم محو المحبة فإنها حجاب كما روي عنه عليه السلام . فهؤلاء يدعون بالحكمة ، وهي المعرفة وهي التي ضدها العام الإنكار ولا تقابل بالشك والجهل ، إلا على سبيل المجاز أو الحقيقة الإضافية ، والعلم يقابله الجهل واليقين يقابل [يقابله] الشك وهؤلاء أولو الأفئدة ينظرون بنور الله قال عليه السلام : (**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وهو النور الذي خلق منه**) ، وذلك النظر هو التوسم وصاحبه المتوسم ، إن في ذلك لآيات للمتوسمين وبيانه [بداية] نظرهم بتلك العين مثل سم الإبرة ممتداً على ساقين متساويين وقاعدته قوس على هيئة قطاع أصغر فتمتد

الساقان وتعظم درجات ذلك القوس حتى يتجاوز النهاية فإذا خرق حجاب النهاية وأخذ في اللانهاية استدار كهيئة دائرة ويكون ذلك السم الذي نظر منه نقطة لها فتكون تلك النقطة ممتدة صاعدة في ذاتها لا إلى جهة سواها من حيث ذاتها فتكون تلك الدائرة كالكرة على تلك الممتدة كالمحور باستدارتها عليها فتكون الدائرة هي عين النقطة والكرة نفس محورها ظاهرها في باطنها وباطنها في ظاهرها وتلك الحقيقة لا سواها كما رواه في معاني الأخبار بإسناده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**التوحيد ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره ، ظاهره موصوف لا يرى وباطنه موجود لا يخفى**) الحديث .

فإذا تأمل الناظر بعين البصيرة ظهر له أن أسفل الدرجات وأقل تلك الدلالات درجة أصحاب المجادلة بالتي هي أحسن كما صرّح عليه السلام به في كلامه هنا [هذا] (**إذا تحقق العلم في الصدر**) ، وأما إذا لم يتحقق بعدم إجابته العمل له بل مجرد المجادلة فلا دلالة في ذلك بحال ولا معرفة له بل إنما اكتسب جهلاً بجهل وإنما أطلقت عنان القلم هنا على خلاف ما وعدت لما يترتب على هذه المباحث ولأنها كالأصل لبعض ما يأتي .

وقوله : (حتى إذا هدرت الحمامة وصاح الديك ونعق الغراب ونشرت أجنحة الطاووس) الحمامة في الإنسان الفلكي فلك القمر وفي الجوزهر مظهر ينبوعه وفي الإنسان الآفاقي ريح الصبا وفي الإنسان الآدمي مادة البلغمي التي ينبوعها من الرية وفي الإنسان الفلسفي الغربية ، والعبارة عما ذكر أن الحمامة قمر ميكائيل الغربي عند ريح الصبا من الرية بباطن المريخ والديك شمس هواء إسرافيل

عند ريح الجنوب الثائرة من كبد الفتى الشرقي والغراب أشعة زحل بمرة عزرائيل عند ريح الشمال الساكنة من طحال الطلق الذي أزيل عنه ريش الغراب وأجنحة الطاووس تكميل جبرئيل بنار الدبور الطائرة من المرة الصفراء للفتى الكوشي بظاهر المريخ ، وذلك عند ابتداء اعتدال المزاج بحصول الطبيعة الخامسة من الطبائع الأربع إذا اعتدلت قال علي عليه السلام : (**وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل جواهر عللها فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد**) انتهى .

والسبع الشداد زحل والمشتري فإذا ذهب ظاهر المشتري عن زحل قال الرضا عليه السلام : (**ما بعث الله نبياً إلا صاحب مرة سوداء صافية**) ، وأمّا المريخ فقالوا الحديد باطنه فضة وظاهره ذهب وقال الله تعالى : ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ يعني باب السور المضروب قال علي عليه السلام : (**وأنا قرن من حديد**) وأما الشمس فتفيض على زحل من ذات العقل نوراً وعلى القمر من صفات العقل كذلك ، وعلى المشتري من نور ذات اللوح والكرسي ، وعلى الكاتب من صفاته ، وعلى المريخ من نور ذات الطبيعة ، وعلى المرآة من صفاته ، فإذا اعتدلت في الوزن والصفة كانت عنها طبيعة خامسة وهي الاعتدال الذي أشار إليه علي عليه السلام باعتدال المزاج .

قوله أسعده الله بمدده: (وانشق الفجر ولاح الضياء بانت ضياء شعاع مصباح إحدى القرى الظاهرة التي هي المنازل في السير بيني وبين القرى التي بارك الله فيها فقلت لعلي أن أسير فيها ليالي وأياماً

آمنا) انشقاق الفجر ظهور الحال والقرى الظاهرة هم المتعلمون من العلماء كما قال الصادق عليه السلام : **(نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون)** ، وهذا الاستدلال مبني على رواية أن القرى التي بارك الله فيها هم الأئمة عليهم السلام ، ويريد بإحدى القرى السراب الذي ظنه ماء . اللهمّ لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون .

وقوله أيدّه الله : (حتى سمعت ما يا ليت قد صمّ سمعي عنه وهو داعي الفراق) إلخ ، وهو ارتحالنا من قريتهم المحروسة من الأسواء توبلى إلى المعمورة المسمى بنّى بتشديد النون تابع بغداد القديم والكل من أوال حرسها الله من الزوال في المبدأ والمال .

قال أطال الله بقاءه وأشهده لقاءه في آخرته ودنياه :

فالأولى - إني مؤمل من الجناب الأحمدي أن يبين لنا اختلاف الأقوال في التعبيرات من الباطن والظاهر وكلام الصوفية المنهي عن اتباعهم وكلام أهل الحق المأمور باقتفائهم ، وأن يحبر لنا عبارة جامعة بألفاظ وجيزة يؤخذ منها صنعة المكتوم من كونه شجراً إلى كونه حجراً إلى كونه إنساناً كاملاً والعالم العلوي والسفلي في الإنسان الكامل والعالم الصغير الإنساني بحيث لو وقف عليها صرفها أهل الظاهر لظاهرهم وأهل الباطن لباطنهم وأهل التأويل لتأويلهم على حسب التفاسير التي فهمناها منكم ، وهي الظاهر وظاهر الظاهر والباطن وباطن الباطن والتأويل وباطن التأويل بحيث أنه يكمل فيه الصنعة ، وتولد الإنسان وقواه وأطواره والعالم الزماني والعالم الدهري والعالم السرمدي والعالم البرزخي والعالم الحشري ، وتقابل العقل بالجهل وأول المخلوقات بآخرها والمركز

الأرضي بالمحدد السمائي وسكان الأفلاك بسكان الأرضين وما بينهم وتخرج لنا ما يماثلها في الإنسان .

هذا آخر المسألة : من المسائل الثمان التي هي كأبواب الجنان وفي هذا العدد إشارة إلى قوله تعالى : ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ وفي ذلك ولذلك يتولد الإنسان واعلم أنه سلمه الله بنى سؤاله بظاهره على أمر متعذر لأن هذا المعنى الذي يريد من تحبير العبارة وأنها تفيد تلك الجهات الست لا يكون إلا بالعبارة الظاهرة ، وهي تفيد كل أهل لسان مرادهم وليس على ظاهره لأنه لا يكون إلا في عبارة إمام معصوم وغير المعصوم لا يطلب منه هذا فلا بدّ من صرف عبارته عن ظاهرها وإن المراد منها ما سمعناه منه وهي المبالغة في الكتمان عمن ليس ديدنه الكتمان والذي يفيد تفصيل سؤاله في مقابلة كل عالم بضده هو اختلاف العبارات لأن كل مقام لا يظهر بيان مقابلته لضدّه إلا بما يناسبه من العبارة والبيان فعالم الغيب لا يظهره إلا الإشارة ، لأن البيان يستره وعالم الشهادة على العكس مثلاً ، الأرض فإن أبقيتها على هذه العبارة حوت كل معنى يُراد منها لكن لا يفهمه من يريد المقابلة بين الأشياء لأن مراد ذلك أن يعرف الأرض في ظاهر العالم الكبير وباطنه .

والعالم العلوي والسفلي وكذلك الآدمي والفلسفي وغير ذلك بأن يقال مثلاً الأرض في ظاهر العالم الكبير المعروفة وفي باطنه في الدرجات ظاهر السماوات والكرسي بل وباطنها وفي الدركات أرض العادات والطبيعة والشهوات والطغيان والإلحاد ، وفي العالم السرمدي أرض القابليات الموات وفي الإنسان في ظاهره جسده وفي باطنه نفسه وفي الفلسفي كليل الغلبة والجسد الجديد ، بل

وبلاد مصر بالنسبة إلى فارس وغير ذلك فأين من يأخذ من لفظ الأرض كل معنى من مقامه ممن يطلب التفصيل شتان بين مشرق ومغرب ولكن الجمع بين الحقين ، أن يوضع كل شيء في موضعه بلسان أهله وتعرف المقابلة بأن أقول الأرض في هذا المقام كذا وكذا وفي ذلك المقام كذا بعبارة عليها غبار لحفظ الأسرار وهو عين إرادته قالوا عليهم السلام : (**ما كل ما يُعلم يقال ولا كل ما يقال حان وقته ولا كل ما حان وقته حضر أهله**) انتهى .

وليس على كشف ما لا يجوز كشفه وإن اقتضى السؤال ذلك إلا بالتلويح ولذا قالوا عليهم السلام : إن تسألوا وليس علينا أن نجيب وقال الشاعر :

ومستخبر عن سرّ ليلى أجبته
بعمياء من ليلى بلا تعيين
يقولون خبرنا فأنت أمينها
وما أنا إن خبرتهم بأمين

ولكن تحتاج أيها الناظر إلى زيادة بعض الكلمات كالمقدمة مضافة إلى ما سبق تستعين بها على تقريب البعيد وتسهيل كل شديد .

اعلم ايدك الله أن السرمد حيث نطلقه نريد به ظرف عالم الأمر في مراتبه الأربع بل الخمس ، وعالم المشيّة والإرادة والإبداع وهو بحر الوجود ومغرس الشجرة الكلية وصبح الأزل والنقطة المجللة بالستر المجلل بالسر والنفس الرحماني بفتح الفاء الساري في كل شيء والسحاب المزجي والسحاب المتراكم ، والأرض الجرز

والزيت المضيء والأرض الميتة وغير ذلك وإذا أطلق الدهر فالمراد به ظرف المجردات من الوجود المقيد وهو العقول والأرواح والنفوس والطبائع الكلية والمواد الدهريّة الكورية ، ويقال لهذا المقام وأهله الجبروت والملكوت فالعقول بل والأرواح على حال هي الجبروت والباقي هي الملكوت والحق أن عالم الجبروت هو عالم العقول ، والملكوت هي عالم النفوس ، وأما الأرواح فهي برزخ بين العالمين إن أضيفت مع الأول ، كانت من الثاني وإن أضيفت مع الثاني كانت من الأول وأما الزمان فهو ظرف الأجسام وعالم الشهادة والارتسام ، أولها جسم الكل ومحدد الجهات وآخرها الأرض المعروفة وأما عالم المثال فهو برزخ بين العالمين واقف على حدود الزمان وهو مقابل للدهر بوجهه ومسند ظهره إلى الزمان .

ثم اعلم أن عالم الشهادة إذا لطف وشف وألقى عنه ما كثف لطف زمانه فإذا كان كذلك اتخذه الدهر أخاً وصاحبا البلد للبلد والسكان للسكان قال الله تعالى : ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ ، ثم اعلم أن السماوات في الإنسان الكبير هذه السبع ولها نفوس كل نفس من جنس طبيعتها خلق فلكها وألوانها على حسب طبائعها ، وإن لم تبدو في ظاهرها لبساطتها تبدو في مقتضاها ونهايات أشعتها وأفعالها في المولدات الثلاث ، والاختلاف في ألوانها وجوداً وعدماً أو وجوداً باختلاف مقامات المختلفين وأنظارهم وأغراضهم ، وهي في الإنسان الآدمي عقله وعلمه ووهمه ووجوده وخياله وفكره وحياته كل منها كمثل ما يقابله في ذاته وفي فعله وفي لونه وفي مكانه من الإنسان وفي فلك كل

من كل ، وفي الإنسان الفلسفي يخرج السابع مع السادس دفعة ، فتزيل السادس يعني ظاهره لأن باطنه يتحد بالسابع ثم تعمد إلى الفلك الخامس فتطهره بإصعاده وإنزاله أسبوعاً ليكون مع الأول متحداً بل هو الثاني أيضاً ثم تستخرج الرابع بالثالث وتطهر الأرض بالخامس وأما العالم الحشري فهو تعلق الأرواح بالأجسام بعد تألفها بعد أن كانت متفرقة والآن نشرع في المقصود على سبيل الاختصار والاقتصار مازجين للعبارة بين التصريح والإشارة بما يحصل منه المراد على غير الطريقة المطلوبة ظاهراً لأنّا إن سلكنا عبارة كما قالها على ظاهرها سلّمه الله خفي على أكثر الناظرين جل المقاصد وإن شرحنا كل شيء بيناً [مبيناً] استلزم بيان ما لا يجوز بيانه أما من جهة كشف السر أو من جهة تعمية الكشوف بدون الإشارة لأن الغيب يتعمى بالعبارة الظاهرة وعلى كل تقدير فنتكلم على ما يريد كما نريد والله على كل شيء شهيد .

قال سلّمه الله : أن يبين اختلاف الأقوال والتعبيرات من الباطن والظاهر .

أقول : اعلم أن الله سبحانه خلق الخلق على توحيده وكتب في الإنسان كل ما أراد منه فظهر فيه من جهة خالقه ما أراد منه ومن جهته ما هو عليه وركب له من جهته سبحانه عقلاً في جبلته وذلك العقل يعرف به أوائل الأشياء ولكنه كالبذر للعقل المكتسب المسموع وذلك المسموع على حسب ما يتقوى به ، فكانت العلماء أصحاب العقل المسموع ومسموعهم مستفاد من قواعد العلوم التي يتداولونها ولا ريب أنّ كل من تداول العلوم استفاد ذكاء وصفاء فمن نظر في الكتاب والسنّة وفي العالم بذلك الذكاء المستفاد من

حيث هو ، هو لا من حيث ابتنائه على تلك العلوم والقواعد ليتفهم بذكائه تلك الآيات والآثار ويقطع من نفسه الاعتبار ، فقد أصاب ولا يتطرق عليه الخطأ لأنه ذكاء محكم تمسك بمحكم ، وهذا هو الذي وعده الله بالهداية حيث يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ ، ومن نظر في الكتاب والسنّة وفي العالم بذلك الذكاء المستفاد من حيث ابتنائه على تلك العلوم والقواعد كان همّه تأويل الكتاب والسنّة ، على طبق ما يريد وربما اتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً حتى أنه يقول إن هذه الآية لا تنطبق على ما قرروه ولا يدري أن ما قرروه ليس بصواب كله بل فيه الصواب والخطأ والكتاب والسنّة والعالم صواب كله ، وإن اختلف ظاهره فليس بمختلف والأول لا يرى فيه اختلافاً بخلاف الثاني ، وإلى هذه الدقيقة والفرق في الطريقة الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ ، فإن الأول ليس معه علم يرد البيّنات ويؤولها عليه بل ترك اعتبار علمه وصححه بالبيّنات ، لما نظر بذكائه وعرف البيّنات رد علمه إليها وصححه بها بخلاف الثاني فلأجل هذا اختلف العلماء وربما توافق عالمان من جهة استعمالهما الطريقة الأولى ، وربما اختلفا مثلاً في مسألة بأن سلك أحدهما الأولى والآخر سلك الطريقة الثانية ، وليس لمخالفة بل قد يكون غفلة وقد يكون لمخالفة لغرض نفساني فيصرف الآية إلى ما لديه من العلم حيث لا يجد ملجأ إلا علمه وهو قوله تعالى : ﴿ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ .

وأمّا اختلاف التعبيرات من الباطن والظاهر فلأن أول مبدع بالإبداع الحروف ثم ركب الأسماء ووضعها على مسمياتها قبل عالم الشهادة ، [الشهادة فلما ظهر عالم الشهادة] بعالم الغيب مثلاً ظهر هذا الماء المعروف وهو العنصر الرطب البارد السيّال بالماء الأول الذي كان العرش عليه فلما ظهر بهذا العنصر الرطب السيّال وكان قد وضع على الأول الماء وضعاً حقيقياً وكان هذا من ذلك كالجسد من الروح وشابهه في صفاته الذاتية والفعلية وضع في هذا العالم عليه اسم الماء بالحقيقة الإضافية فهذا هو الماء الذي به حياة كل شيء حي في الظاهر ، وذلك هو الماء الذي حياة كل شيء حي أي موجود في الباطن ، انظر إلى ما في العيون عن الرضا عليه السلام ، في قصة ضيافة سلمان لأبي ذر : (**لما وضع سلمان بين يديه القرصين اليابسين فقلّبهما أبو ذر فقال له سلمان : أراك تقلبهما والله لقد عمل فيهما الماء الذي حمل العرش حتى ألقاهما إلى الملائكة وعملت فيهما الملائكة حتى ألقتهما إلى الريح وعملت فيهما الملائكة [الريح] حتى ألقتهما إلى السحاب**) الحديث .

ومعلوم أن ذلك الماء غير هذا الماء فلذا اختلف تعبير أهل الظاهر وأهل الباطن ، وأعجب من ذلك أن أهل الظاهر ينكرون تلك وينسبون إليها المجازات وهم قالوا الحقيقة لفظ مستعمل في وضع أول والمجاز لفظ مستعمل في وضع ثاني لعلاقة ، ويشترطون أن يكون [تكون] الحقيقة أصلاً في الاستعمال ولا يصرف عنها إلا بنصب القرينة ، وقالوا : إن حقيقة الرحمة رقة القلب ، فلما ورد تسمية الله بالرحمٰن الرحيم ضاق عليهم المنهج فقالوا لا يستلزم

المجاز الحقيقة بل قد يستعمل اللفظ في غير الموضوع له فهو مجاز كالرحمٰن لله ولم يستعمل لذي الرحمة وهي رقة القلب الذي هو الحقيقي ، لأن رقة القلب لا تجوز على الله سبحانه واستعملت فيه مجازاً ثم قال بعضهم ولقائل أن يقول وإن كان الرحمٰن مجازاً بالنظر إليه تعالى ، لكنه صار حقيقة عرفية فيه تعالى ، للتبادر عند الإطلاق وهو أمارة الحقيقة فليت شعري هل كان الله رحماناً ورحيماً قبل أن يخلقهم ويخلق قلوبهم ورقتها ؟ أم لم يتصف بذلك إلا بعد أن خلقهم أم اختار لهم الحقيقة وله المجاز ؟

والحقيقة ذكر والمجاز أنثى ، تلك إذا قسمة ضيزى أم اتصف بها ولم يسم نفسه حتى سماهم ثم اشتق له من أسمائهم اسماً اختص به فأين يذهبون أفلا يسمعون أن الله سبحانه شيء بحقيقة الشيئية ، وهم إنّما كانوا شيئاً به تعالى وأسماؤه أسماء بحقيقة الاسمية وإنما كانت أسماؤهم أسماء بحقيقة أسمائه تعالى ، والرحمة له حقيقة ولهم حقيقة من دون تلك الحقيقة بمعنى أنها حقيقة بالنسبة إلى حقيقتهم كنسبة حقيقتهم إلى حقيقة الله وإنما تلك الرحمة التي هي رقة القلب مجاز ، إذ معنى المجاز أنه طريق الحقيقة إلى ما لم تكن الحقيقة موضوعة له بسبب العلاقة أن الله سبحانه جعل الرحمة مئة جزء أخرج منها جزءاً واحداً رحم به عباده في الدنيا فبفضل ذلك الجزء من رحمته يتراحمون وتعطف الوالدة على ولدها وتحن البهائم إلى أولادها فأهل الباطن يقولون الرحمة تطلق على الله بالحقيقة وليس حقيقتها رقة القلب وتطلق على غيره بالنسبة إليه تعالى مجازاً وبالنسبة إليهم حقيقة والمعنى أن حقيقتها هي الهداية والحياة والعلم قال تعالى : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ وقال

تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ وهي التي بها النعم الباطنة ومن آثارها رقة القلب ، التي بها بعض المنافع الظاهرة ومعنى كونها مجازاً بالنسبة إليه أنه تعالى إذا أراد إجراء نفع أحد من عباده على يد آخر جرت آثار رحمته على قلب ذلك الآخر فرّق قلبه وإليه الإشارة في التأويل بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ ﴾ وهي في التأويل وفي الباطن كذلك ، وأما أهل الظاهر فيقولون حقيقتها رقة القلب ورحمة الله مجاز ولا يستحيون فبهذا ومثله اختلفت عبارة الفريقين .

قال : وكلام الصوفية المنهي عن اتّباعهم .

اعلم : أن هؤلاء كانوا يتكلمون في الحقائق التي عرفوها بعبارة تخالف الشرع ظاهراً وتنافي الإيمان بل الإسلام في اللفظ ، وإن أرادوا بها معنى صحيحاً فإن ألسنتهم كافرة في كثير من المواضع ، وإن كانت قلوبهم بخلاف ذلك ويجري عليهم في مواضع قوله تعالى : ﴿ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾ ، وكانت لهم طرق يخالفون فيها الشريعة فمنها أن منهم من يترك العمل مدعياً بالوصول وأن العمل يشغل من هو بين يدي الملك ولا يعلم أن استحضار ذلك هو الذي بين يدي الملك وهو بالقلب والعمل بالجوارح هي خدمتها للملك وكونها بين يديه وكذلك الحركات والبصر ، فإن العبادة والخدمة مقسّمة على الجوارح والقلب واللسان والأعراض كالحركات وغيرها ، فأيها لم يقم بما كلّف به لم يشكر .

ومنهم من يستمع الملاهي ويستمع الألحان المطربة مدعياً أن النفس خلقت من حركات الأفلاك ونفوسها فإذا سمعت هذه الأصوات والملاهي طربت وتذكرت أوطانها وأوطارها وأطوارها

فانصرفت عن هذا العالم فصافحت الملائكة وصعدت إلى الملكوت وأدركت حظها وجهلوا ما حققوا . في مثل هذا المقام إن هذه الملاهي إنما حرمت لأن النفس لا تتجاوز عنها بل تنتقل في حركات الملاهي ونغمات الغناء لما بينهما وبين النفس من المناسبة لأن الغناء فضلات نفسانية عجزت النفس عن إبرازها في ألفاظ دالة فأخرجتها ألحاناً وكذلك الملاهي بجميع أصنافها فإنها تحكي ألحان الأفلاك على ما قرر في الموسيقى فلا تزال النفس مشتغلة بتلك الأصوات والنغمات تنتقل معها وتسير بها في كل مكان سحيق فهي في الحقيقة أشد من الغفلة ولذا [لهذا] سماه الشارع عليه السلام ملاهي لأن النفس في غير تلك قد تلتفت إلى أوطانها فتشاهد وقد تغفل وأما في هذه الحال فهي محجوبة بالانتقال .

فأيّما حركة توجهت إليه لما بينهما من المناسبة فقبل أن تتوطن أتاها مناسب آخر نقلها عن الأول وهكذا فلا تزال تلعب بها الريح وتتخطفها الأطيار ليس لها تصرف في نفسها فهي في الحقيقة أبداً غريبة ما دامت في تلك الحال قد غربت عن الأوطان وشرّدها عن مساكنها الشيطان ، ولهم كلام ما أشبهه بالحق ، لأنهم مزجوا حقاً بباطل وليلبسوا عليهم دينهم ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ ومنهم من حصر المدلولات الشرعية على الأمور الباطنية في الإنسان ، وقالوا إنما أراد الشارع هذا الذي عندنا وليس شيء سواه :

ولكل رأيت منهم مقاماً

شرحه في الكتاب مما يطول

ولا يخفى حال هذه الجماعة وهم الذين نهي عن اتبّاعهم لأن

من أقوالهم ما يخالف الشرع ومن أعمالهم ومن علومهم ومن استعمالهم فمن تبعهم وقع فيما هم فيه ولنقبض العنان .

وأما قوله : وكلام أهل الحق المأمور باقتفائهم .

فهو يريد منه أهل الحق من أهل الباطن لا أهل الظاهر لما بين الصوفية وبينهم من البون البعيد فلا يلتبس على أدنى الناس الفرق ، وإنما الالتباس في أهل الحق من أهل الباطن ، وفي أهل الباطل من أهل الباطن فإن عباراتهم قد تتشابه في كثير وإن اختلفوا في كثير . فاعلم وفّقك الله لما يحب ويرضى أن أهل الحق نظروا في الكتاب والسنّة والعالم وفي أنفسهم كما دلّ عليه الأثر واستعانوا عليه بامتثال أوامر الشرع واجتناب نواهيه وبالزهد في كل دني خسيس كالدنيا وما فيها لها وما فيها للآخرة ، نظروا فيه فما كان منه زادا لطريقهم أخذوا منه قدر الحاجة وما أمكن الاستغناء به عنه تركوه ومنهم من طلب ما فيها للآخرة لا لحاجة بل امتثالاً للأمر إن توجه الأمر إليه به ومع هذا لا يأسى على ما فات ولا يفرح بما أوتي ، ثم قطعوا اعتبار أنفسهم وأماتوها بمعاكسة هواها فنظروا إلى الخلق بنظر الله ، (**فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى**) انتهى .

فجاهدوا في الله حق جهاده فهداهم سبله ، (**وإن الله لمع المحسنين**) فكشف الله لهم عن الحقائق الحجب ، وهي سبحات الجلال فألقوا الأكوان عنهم وألقوا أنفسهم فجازوا حيث ولم وكيف وعرفوا مفصولهم وموصولهم وأخلصوا لله العبودية فآتاهم من كل ما سألوه ، احتاج العلماء في التعليم إلى أمثالهم وقرطاسهم

وهم قد استغنوا بالله عمن سواه فتعرف إليهم في كل شيء حتى لم يجهلوا في شيء ، قرؤوا آياته في كتابه وفي الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق ، ثم صعدوا حتى شهدوه في كل شي وهم أصحاب محبة الله وأولو الأفئدة الذين محوا الموهوم فصحا لهم المعلوم قال صلى الله عليه وآله : **(العلم نور يقذفه الله في قلب من يحب فينشرح فيشاهد الغيب وينفسح ويحتمل البلاء ويحفظ السر)** .

وفي بعض النقل فقيل : يا رسول الله وهل لذلك من علامة ؟ فقال : **(التجافي عن دار الغرور والترقي إلى عالم النور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد لما بعد الموت)** ، فأهل الحق الذين باطنهم لا يخالف ظاهر الشريعة ولا باطنها ، وظاهرهم طبق باطنهم وقولهم يصدق فعلهم فإذا رأيت من يدعي ذلك ويأتي بكلام غير معلوم عند سائر الناس وشهد لدعواه الكتاب والسنّة المعلوم من مذهب أهل العصمة جريهم عليها في معتقدهم ولا يرد عنهم ما ينافيه ، إلا وقد وضعه المدعي لذلك موضعه حتى لا يكون في السنّة ولا في الكتاب اختلاف ولا تنافي وأتى على ما يدعيه بمَثَلٍ من العلم ضربه الله لتلك الدعوى بياناً وبرهاناً فذلك الذي يجب الاقتداء به وإن استدل بالكتاب والسنّة وبقي فيهما شيء ولو حرف لم يضعه موضعه ولم يأت بمَثَل مضروب لذلك من الله فليس ممن يجب الاقتداء به لجواز أن يكون الحق في ذلك الحرف الذي خالفه ولأن المثل خلقه الله لذلك ولا يكون آية إلا للحق ؟ وأما مجرد التأويل والاستدلال ببعض الآيات وبعض الروايات فليس دليلاً على الصواب لجواز التأويل واللبس والغلبة في الخطاب وإلا :

فكل يدّعي وصلاً بليلى
وليلى لا تقرّ لهم بذاكا

وعلامة من أقرت له ألا يخالف قوله قولها ، وهم الذين يعلمون الباطن الذي هو طبق الظاهر ومطابقته للظاهر علامة صحته ويعلمون الظاهر الذي هو طبق الباطن ومطابقته للباطن علامة صحته ، وإلى هذا المعنى أشار الصادق عليه السلام كما رواه الحسن بن سليمان الحلي من تلامذة الشهيد الأول وهو شريك بن فهد ، روى في كتابه مختصر بصائر سعد بن عبد الله بإسناده عن الهيثم بن عروة التميمي قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : (**يا هيثم التميمي إن قوماً آمنوا بالظاهر وكذّبوا بالباطن فلم ينفعهم ذلك شيئاً ولا إيمان ظاهر إلا بباطن ولا باطن إلا بظاهر**) انتهى .

وكما روي في معرفة علي عليه السلام بالنورانية والروايات على ذلك أي على أن صحة كل بمطابقة الآخر كثير ، وأن الباطن هو مكنون العلم وإنما يخاطبون الناس على قدر احتمالهم ولذا قال الإمام السجاد عليه السلام :

إني لأكتم من علمي جواهره
كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

وقد تقدم في هذا أبو حسن
إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا

وربّ جوهر علم لو أبوح به
لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمي

يرون أقبح ما يأتونه حسنا

فافهم ما ألقي إليك وكن من الشاكرين .

قال سلّمه الله : يؤخذ منها صنعة المكتوم من كونه شجراً إلى كونه حجراً إلى كونه إنساناً كاملاً .

اعلم أن هذه الكلمات لا يجوز الكلام فيها على التفصيل بل لا بدّ من إجمال أو كتمان أو رمز وقد أجمع على ذلك الحكماء بلا خلاف في ذلك ، وروى ابن شهرآشوب في مناقبه أن علياً عليه السلام سأل عن الصنعة وهو يخطب فقيل له : أخبرنا عن الصنعة فقال : (**هي أخت النبوّة وعصمة المروة ، إن الناس يتكلمون فيها بالظاهر وأنا أعلم ظاهرها وباطنها ، هي والله ما هي إلا ماء جامد وهواء راكد ونار حائلة وأرض سائلة**) ، وسأل أيضاً عن ذلك هل هو كائن ؟ فقال : (**إنه كان وهو كائن وسيكون إلى يوم القيامة**) ، قيل : مم يكون ؟ قال : (**إنه يكون من الزئبق الرجراج والأسرب والزاج والحديد المزعفر وزنجار النحاس الأخضر**) ، فقيل زدنا بياناً فقال : (**اجعلوا البعض ماءً واجعلوا البعض أرضاً وافلحوا الأرض بالماء وقد تم**) ، وقالوا [فقالوا] زدنا بياناً فقال : (**لا زيادة على هذا فإن الحكماء ما زادوا عليه كيما تتلاعب به الناس**) انتهى .

وروى الجمهور أن جماعة سألوا أمير المؤمنين عليه السلام قيل : يا أمير المؤمنين ما تقول فيما يخوض الناس فيه من علم الحكمة التي تسمى الكيميا أكان ذلك غابراً أو هو كائن أم انتظمته الحكماء أم جرى عليه معان من الدهر فدثر ؟ قال : فأطرق رأسه

ملياً ثم صوّب رأسه فينا فقال : **(إنما سألتموني عن أخت النبوّة وعصمة المروة والله لقد كان وأنه لكائن إلى يومنا هذا وما في الأرض من شجرة ولا مدرة ولا شيء إلا وفيه منه أصل وفصل)** قيل : الناس يعرفونها ؟ قال : **(الناس يعرفون ظاهرها ونحن نعلم ظاهرها وباطنها)** قيل : فعلّمنا يا أمير المؤمنين قال : **(والله إني لا أعلم به أحداً من العالمين)** قيل : لِمَ يا أمير المؤمنين؟ قال : **(والله لولا أن النفس الأمارة بالسوء لفعلت ذلك)** ، قيل : فاذكره لنا يا أمير المؤمنين عليه السلام بشيء نأخذ معناه قال : **(هو نار حائلة وأرض سائلة وهواء راكد وماء جامد)** فقالوا : لم نفهم ما قلت يا أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال : **(إن في الأسرب والزاج والملح الأجاج والزئبق الرجراج والحديد المزعفر وزنجار النحاس الأخضر لكنزاً لا يُدرك له آخر تلقح بعضها ببعض فتشرق ناره عن نور شمس كائن وصبغ غير مباين)** فقيل اشرحه لنا يا أمير المؤمنين قال : **(اجعلوا البعض أرضاً والبعض ماءً والبعض ناراً والبعض هواءً وأصلحوا بين الطبائع تفصح عن دهن سائل وإكسير حائل)** ، فقالوا : قد فهمنا يا أمير المؤمنين نريد منك صورة التمام فقال : **(لم يوجد للماضين من قبل ممن أُلهم الحكمة أن يخبروا به أكثر من هذا لتعلّموه الصبيان في المكاتب والنساء في المراتب ولكن لا يحل لهم أن يتكلموا بها إلا هكذا لأنه علم لاهوتي نبوي علوي حقيقي خصوصية من الله لمن يشاء من عباده)** انتهى .

رواه أبو العباس أحمد الرملي في كتابه السر المنير في أصول البسط والتكسير .

أقول : ولا بدّ أن يكون للسؤال جواب إلا أنه على طريقهم

فاعلم أن أصله صفوة قوى الإنسان وهو يفارق من الإنسان من الكيلوس ويصعد على ذروة طور سيناء وتنبت تلك القوى شجرة ليس في الأشجار أحسن منها فخذها عبيطة في فصل الربيع واعصر ماءها وصفه مرة واحدة بخرقة صفيقة ثم رد عاليه على سافله واطبخه به حتى يكون سافله عالياً وانخله وهكذا واعقده ثم اغسله حتى يبيض ثم زوجه في مدة أربعين يوماً بابنته وتكون كفواً له ثم زوجه ثلاثاً وحينئذ كان حجراً وانخله واخدمه بست جاريات متواليات وحينئذ يكون شجراً وطف به في البيت الحرام أسبوعاً وخذ له ماءً من أرض مصر وناراً من أرض فارس وقبضة تراب من بيت المقدس وانفخ عليه من الهواء يعني ريح الجنوب واجعل ذلك ثلاثاً وستاً فعالجه بالفلاحة المصلحة بالثلاث أولاً فإذا تمت الثلاث ظهر القمر في ثالث برج الثور ، ثم عالج هذا بالست فإذا تمت الست ظهرت الشمس في التاسع عشر من برج الحمل فإذا رأيت ذلك فاسجد لله شكراً وعفّر خديك لجلال وجهه الكريم واعلم أنك قد ملكت الدنيا وكنوزها فاملك بها الآخرة وقصورها وحورها واسمع قول الله في هذا المقام ، ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ .

قال أيدّه الله : والعالم العلوي والسفلي في الإنسان الكامل والعالم الصغير الإنساني .

اعلم : وفقك الله إن العالم العلوي في الإنسان الكبير العرش الذي هو محدد الجهات قلبه ، والكرسي صدره ، والسماوات السبع والسفلي الأرضون وما فوقها هذا ظاهر العالم العلوي والسفلي من الكبير ، وأما باطنه ففؤاده الإبداع الأول وقلبه الذي

هو عرشه [عرشه] هو علم الكيفوفة والبداء وعلل الأشياء وعقله القلم ، وصدره اللوح ونفس فلك الزحل وجه عقله ونفس فلك المشتري علمه ، ونفس فلك المريخ وهمه ونفس فلك الشمس وجوده ونفس فلك الزهرة خياله ونفس فلك عطارد فكره ونفس فلك القمر حياته وسكان ما ذكر قواه وجنود فؤداه وقلبه حجب الغيوب وهي كثيرة باعتبار مراتبها فمنها نور ومنها نار ، ومنها برد ومنها ثلج ومنها رعد ومنها برق ومنها كروبيون وهم رجال من الخلق الأول ومنها برازخ إلى غير ذلك وله سبع نفوس : نفس حياة ونفس عادة ونفس طبع ونفس شهوة ونفس طغيان ونفس إلحاد ونفس شقاوة وسكان ما ذكر جن وشياطين والإنسان الصغير .

كذلك إبداعه قبضة من إبداع الكبير ، وكذلك قلبه وعقله وصدره إلى نفوسه كما ذكر اسم باسم وقبع بطبع وملائكته جند عقله وقواه وشياطينه وجنة وساوس نفسه وبحره دمه وأنهاره عروقه وشجره شعره ومظهر شمسه منخره الأيمن ومظهر قمره منخره الأيسر وأكوار الأصغر بأكوار الأكبر وأكوار الفلسفي بأكوار الأصغر وأدوار الفلسفي بأدوار الأصغر وأدوار الأصغر بأدوار الأكبر قال عبد العزيز بن تمام العراقي في قصيدته في الإنسان الفلسفي :

والعلم في حجب الأرماز معدنه
في عالم ذي أعاجيب وألوان
والعالمان جميعاً فاعلمنَّ له
العلوي والأوسط الأدنى شبيهان
والعالم الأصغر الإنسان يشبهه
طبعاً بطبع وأركاناً بأركان

هــذا يــدور عــلــى هــذا وذاك لــه قــطــب كــذلــك مــاكــر الــجــديــدان

تــبــايــن واتــصــال غــيــر مــنــفــصــل كــلاهــمــا واحــد والــعــدة اثــنــان

انتهى .

وأما طبائع هذه العوالم فكذلك ، فالنار في الكبير كرة النار وفي الصغير المرة الصفراء ، وفي الفلسفي الأحمر الشرقي والهواء في الكبير الهواء وفي الصغير الكبد وفي الفلسفي الأصفر الشرقي وفي اصطلاح آخر ، أن الأحمر هو الهواء والأصفر الشرقي هو النار ولكل اصطلاح مناسبة صحيحة والماء في الكبير معروف ، وفي الصغير الرّية وفي الفلسفي الغربية والتراب في الكبير الأرض وفي الصغير الجسد وفي الفلسفي الأرض المقدسة وإكليل الغلبة وهكذا مما يطول الكلام فيه .

قال سلمه الله : بحيث لو وقف عليها صرفها أهل الظاهر لظاهرهم وأهل الباطن لباطنهم ، وأهل التأويل لتأويلهم على حسب التفاسير التي فهمناها منكم وهي الظاهر ، وظاهر الظاهر ، والباطن ، وباطن الباطن ، والتأويل ، وباطن التأويل ، بحيث إنه يكمل فيه الصنعة وتولد الإنسان وقواه وأطواره والعالم الزماني والعالم الدهري والعالم السرمدي والعالم البرزخي والعالم الحشري .

أما قوله : (**صرفها أهل الظاهر لظاهرهم**) الخ ، فقد مرّ جوابه ، وأما ذكر التفاسير الستة فالظاهر معروف وظاهر الظاهر هو ما يؤخذ

من مادة الكلمة أي من حروفها ويراد منها معنى وإن كان مخالفاً لقاعدة أهل اللغة كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ ، ففي تفسير الظاهر أن الجبال جمع جبل وهو معروف ، وفي تفسير ظاهر الظاهر أن الجبال جمع جبلة وهي الطبيعة وفي تفسير التأويل الجبال الأجساد الحيوانية من الإنسان وغيرها . والنحل في الظاهر معروف وفي الباطن آل محمد سلام الله عليهم وفي التأويل نفوس العلماء وفي ظاهر الظاهر النفوس التي لها قدرة على الانتحال أي الاختيار يعني اختيار الحسن كما في قوله تعالى : ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ بقرينة قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ ﴾ .

وأما التأويل فإن تصرف كلاماً عن ظاهره إلى معنى آخر لم يرد منه ظاهراً كما قال علي عليه السلام في ذكر قيام القائم عليه السلام وما ينالون لأن [من] أدركوه من العلم بحيث يستغني كل منهم عن علم الآخر قال عليه السلام : (**هو تأويل قوله تعالى يغن الله كلاً من سعته**) .

وأما باطن التأويل فكذلك ولكن يجري فيه على معنى الباطن كما رُوي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال : (**هو الحسن بن علي عليهما السلام أمر بالكف عن القتال وبالصلح**) أو كما قال : (**فلما كتب عليهم القتال**) قال : (**هو الحسين بن علي عليهما السلام كتب عليه القتل والله لو برزمعه أهل الأرض لقتلوا**) انتهى .

فانظر هذا المعنى فإنه تأويل باطن لأنه باطن تأويل ولكن لا يجري على ظاهر العربية كما ترى وكما فيما ورد في قوله تعالى :

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (**ما معناه أن الإنسان رسول الله صلى الله عليه وآله وأن الوالدين الحسن والحسين عليهما السلام**)، وكما رواه فرات بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ عن أحدهم عليهم السلام قال: (**السماء رسول الله صلى الله عليه وآله والحبك علي عليه السلام فعلي ذات رسول الله صلى الله عليه وآله**) و وأما تفسير الباطن فمعلوم مثل قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ **وهو رسول الله صلى الله عليه وآله والكتاب المبين وهو علي عليه السلام** ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ **وهي فاطمة عليها السلام** ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ **أي إمام حكيم بعد إمام حكيم**) والأحاديث مشحونة بذلك وهو أن يجري على طريق اللغة بمعاني باطنه غير ظاهرها .

أما تفسير باطن الباطن فلا يجوز بيانه فقد روي: (**أن القائم عليه السلام إذا خرج ونادى أنصاره واجتمعوا عنده دعاهم إلى مبايعته فأجابوا فقال: تبايعوني على كيت وكيت فنفروا عنه ولم يثبت معه إلا المسيح وأحد عشر نقيباً فيجولون الأرض فلا يجدون ملجأ إلاإليه فيأتونه ويبايعون على ما يريد منهم**) وهو حرف من باطن الباطن حتى أن الصادق عليه السلام قال ما معناه: (**والله إني لأعلم الكلمة التي قالها لهم فيكفرون**)، واعلم أن القرآن مشحون بتفسير باطن الباطن وإذا أردت ذلك فانظر في تفسير الباطن كما في تفسير القمي فخذ ذلك المعنى وقل به في تلك الآية بغير تغيير عن صورتها ولا مجاز، وقد كشفت لك في الاشارة ما لا يجوز بيانه في عبارة إلا مرموزاً لأنه هو الكفر إلا عند أولي الأفئدة خاصة فإنه هو الإيمان ولذا قال عليه السلام: (**لو يعلم [علم] أبو ذر ما في**

قلب سلمان لقتله أو لكفره) ، وقال عليه السلام : **(ما أفشى أحد سرنا إلا أذاقه الله حرّ الحديد)** انتهى .

وكم من شخص ظهر منه ما كتم فجرى عليه ذلك كما أشار إليه الصادق عليه السلام رواه في الكافي في بيان معرفة الله وفضلها وفيه ما يدل على ما قلنا أن تفسير باطن الباطن لا يدركه إلّا أولو الأفئدة وإنما سواهم يكفرونه [يكفرونهم] بما هو الإيمان بالله حقيقة ويقتلونهم ويحرقونهم حيث قال عليه السلام بعد ما ذكر فضل معرفة الله ورغب فيه قال عليه السلام : **(قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير ويضيق عليهم الأرض برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا أذى بما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد فاسألوا ربّكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم)** انتهى .

وقوله بحيث تكمل فيه الصنعة قد مضى الإشارة إلى ذلك بحيث تكمل فيه الصنعة للعارف بها لأنه يدور على حل وعقد وحل وعقد فالحل الأول ، في الصنعة نصف الكيف المكتوم والعقد الأول ، تزويجه بزوجه ثم بثلاث زوجات والحل الثاني الجويريات الست والمناخل الأكسيرية والعقد الثاني ، عقد التساقي الثلاث للقمر والست للشمس فكذلك الإنسان الكبير له حلان وعقدان ، فالحل الأول في الدواة الأولى وفي القلم والعقد الأول في البراق وفي اللوح ، والحل الثاني في الطبيعة وفي المادة ، والعقد الثاني في المثال وفي الأجسام وكذلك الإنسان [الإنسان الصغير] يحل في مقام الماء والمواد النباتيّة ويعقد في الفواكه والمطاعم ، ويحل في

معدة أبيه وقواه وكبده إلى صلبه ويعقد في الأرحام وإذا جهلك مقام في أحد هذه الثلاثة فاعرفه بنظيره في الآخرين ، فإنه مثله كلٌّ مبني على صاحبه وهذا جواب قوله وتولد الإنسان إلخ .

وقوله : والعالم الزماني ، فالعالم هو الأجسام والزمان هو حركة الفلك .

وقوله : والعالم الدهري ، العالم هو العقول والنفوس كما مر والدهر هو حركة أفلاكها .

وقوله : والعالم السرمدي ، العالم هو : **(الإبداع والمشيّة والإرادة)** ، كما قال الرضا عليه السلام : وهو عالم الأمر وهو أول مخلوق خلقه الله بنفسه ، لا بإبداع آخر ولا بمشيّة أخرى بل بنفسها وإن خفي عليك أن المشية مخلوقة بنفسها بل لو كانت مخلوقة ، كانت مخلوقة بمشية أخرى ويلزم الدور أو التسلسل وأيضاً هي صفة ولا بدّ أن تحل بموصوفها فلو كانت حادثة إما أن يكون [تكون] محلاً للحوادث أو تقوم الصفة بغيره أو لا بشيء والكل باطل كذا قالوه أكثر العلماء من أهل الظاهر ومن أهل الباطن وحيث جرى هذا الكلام فلا بدّ من تحقيق المقام على سبيل البيان والإلزام متوكلاً مستعيناً بالملك العلام .

اعلم هدانا الله وإياك أن هذا الذي قالوه كلام ينقل ولا يذوقونه ولو وصلوا إلى البلد رأوا عياناً واستغنوا عن الخبر بل الحق ، **(إن المشيّة والإرادة حادثتان وإنهما والإبداع ثلاثة ألفاظ معناها واحد)** كما قال الرضا عليه السلام لعمران الصابي وهو مذهب أهل البيت أجمعين عليهم السلام لم ينقل عنهم حديث يدل أو يوهم أنهما

قديمتان مع أن الروايات والآيات الدالات على حدوثها ما تكاد تنضبط حتى أن الرضا عليه السلام قال كما رواه في التوحيد : (**الإرادة من صفات الأفعال فمن زعم أن الله لم يزل مريداً شائياً فليس بموحد**) انتهى .

وبالجملة فانظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال تأمل الكلام بقلب واعٍ وإنصاف مراعٍ فقولهم : لو كانت مخلوقة لزم أن تكون مخلوقة بمشيّة فيجيء الدور أو التسلسل غفلة لأن الإمام عليه السلام ما ترك لمحتج حجة قال : (**خلق الله المشيّة بنفسها وخلق الخلق بالمشيّة**) ، فقالوا : المراد بها مشيّة العباد وهذا كلام من لم يفهم الخطاب وثانياً هل سمّى نفسه في الأزل بها فعليهم الثبات [الإثبات] أو على الثبات [الإثبات] بالنفي لأنه لو سمّى نفسه بها في الأزل ما وصف نفسه بنفيها فقال لم يشأ ولم يرد لأن ما سمّى نفسه به وثبت له هناك كالعلم والقدرة لم يقل في حال لم يقدر ولم يعلم ولم يسمع ولم يبصر ولكنهم لم يعلموا ولم يسمعوا ولم يبصروا ، لأنهم لما لم يدركوا خلق الشيء بنفسه قالوا ما قالوا فراراً مع أن كل أفعالهم يحدثونها بنفسها لا بأفعال آخر لم يسبقها شيء إلا القدرة والعلم واضرب لك مثلاً لا يعرض عنه إلّا متعسف ولا يتردد فيه منصف . اعلم أن الإجماع قام أن الصلاة لا تصح إلا بنيّة وأن تلك النيّة عبادة لأنها عندهم إما شرط وإما شطر وأما عندنا فهي روح العمل وبالجملة ، (**فلا عمل إلا بنيّة وإنما الأعمال بالنيّات**) الحديث .

فالعامل يحدث الصلاة بنيّة والنيّة هل يحدثها بنية أم بغير نيّة أم بنفسها ، فإن كانت بنفسها فقد جاء الحق وإن كانت بغير نيّة ولا

بنفسها لم يكن عبادة وفسدت العبادة وإن كانت بنيّة أخرى فأرناها أيها المدعي لها حتى يجيء الدور أو التسلسل ، قل لي ما شئت افهم ، وإياك أن تكثر السؤال فيما ليس لك به علم فإني أعظك أن تكون من الجاهلين قال علي عليه السلام : (**العلم نقطة كثرها الجهال**) انتهى .

وأما قولهم إنها صفة والصفة لا تقوم إلا بموصوفها إلخ ، فاعلم أنها صفة حادثة قائمة به قيام صدور لا قيام عروض كقيام غيرها من المخلوقات بها وكقيامي بربّي على أن الصائت موصوف وصفته قائمة بالهواء وكاسر العصا صفة وهو الكسر حالة بالمكسور .

فإن قلت ذلك التأثر لا التأثير قلت كذلك التأثير قائم به قيام صدور لا عروض وإلا كان دائماً به فهو أبداً كاسر فافهم ، وإنما قالوا ذلك لأن الصفة عندهم عرض وذلك خطأ بل هي ذات بها حصلت الذوات الذاتيّة لأن الله شيء بحقيقة الشيئية والمشيّة شيء بالله والأشياء شيء بالمشيّة واسمع قول علي عليه السلام في خطبة يوم الغدير والجمعة ، (**إذ كان الشيء من مشيّته**) انتهى .

فالله سبحانه قائم بذاته في أزل الآزال وحده ليس معه غيره وهو الآن على ما كان والمشيّة قائمة بالله قيام صدور لا قيام عروض في مرتبة الإبداع والفعل المعبّر عنه بالأمر وبالوجود المطلق في السرمد لا في أزل الآزال بل في السرمد وهو ظرف عالم الأمر كما ذكرناه فراجع والأشياء قائمة بالمشيّة في عالم الخلق المعبّر عنه بالوجود المقيد وأول ما خلق الله من الوجود المقيّد ، يعني المفعولات العقل وآخرها التراب فالمجردات في الدهر كما مر والأجسام في الزمان . فالوجود المقيّد قائم بالمشيّة في الدهر والزمان ، لا في

رتبة المشيّة في السرمد وأكرر العبارة لتفهم المراد فإنك إذا فهمت ذلك لم يبق عندك على الحق غبار وحصلت جواب كل اعتراض وكل شبهة مما ذكر ومما لم يذكر ومما يناسب النصيحة قول الشاعر :

فمن كان ذا فهم يشاهد ما قلنا
وإن لم يكن فهم فيأخذه عنا
فما ثم إلا ما ذكرناه فاعتمد
عليه وكن في الحال فيه كما كنا
فمنه إلينا ما تلونا عليكم
ومنا إليكم ما وهبناكم منا

وقوله : والعالم السرمدي ، فالعالم هو كما مر والمشيّة وهي الذكر الأول ، والإرادة وهي العزيمة على ما يشاء كما فسرتا به في الكافي في رواية يونس ، (**والإبداع وهو خلق ساكن لا يدرك بالسكون**) ، كما قال الرضا عليه السلام : (**والسرمد هو حركة دوران فلكها على نفسها وهي الكاف المستديرة على نفسها**) .

وقوله : والعالم البرزخي ، العالم هي الأرواح في القوالب المثالية والطين بفتح الياء الباقية مستديرة في قبورها ، والبرزخ هو الحائل بين الشيئين أي بين الدنيا والآخرة في مقام أحوال العباد وبين الأرواح والأجسام ، وهو المثال وبين الزمان والدهر وهو ظرف بين الزمان والدهر فيجري عليه حكم الزمان من خلفه فورد ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيّا ، وورد النار يعرضون عليها غدواً وعشيّاً ، ويجري عليه حكم الدهر من وجهه فورد تلك الجنة التي

نورث من عبادنا من كان تقيّاً ، وورد ويوم تقوم الساعة فهمك الله من مخزون العلم [العلم المخزون] .

وقوله : والعالم الحشري ، وهو تعلق الأرواح بالأجساد وهذا هو التزويج بعد البلوغ ، فقد ثبت صبغ الروح التي اكتسبته في دار التكليف من نفسها بالترديد والرفع والوضع والنور والظلمة والشدة والرخاء الذي هو عبارة عن التدبير وصفي الجسد بتكليسه وثبت له ما باشر فرجعت الأرواح بوصفها وصبغها إلى الجسد بما فيه من القابليات لتلك الأوصاف وهو سبحانه وتعالى قال : ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ ، (**ولكل درجات مما عملوا أنه بما يعملون خبير**) .

وقال سلّمه الله : وتقابل العقل بالجهل وأول المخلوقات بآخرها والمركز الأرضي بالمحدد السمائي وسكان الأفلاك بسكان الأرضين وما بينهم وتخرج لنا ما يماثلها في الإنسان .

أما مقابلته ، [مقابلته في غير الإنسان بما يقابل ضده] فالعقل يقابل الجهل والروح يقابل ما تحت الثرى واللوح يقابل الثرى والطبيعة تقابل الطمطام المعبّر عنه بالظلمة والمادة تقابل النار والشكل يقابل الريح العقيم ، وجسم الكل يقابل البحر والعرش يقابل الحوت والكرسي يقابل الثور وفلك البروج يقابل الصخرة وفلك المنازل يقابل الملك الحامل للأرض وفلك الزحل يقابل أرض الشقاوة وفلك المشتري يقابل أرض الإلحاد وفلك المريخ يقابل أرض الطغيان وفلك الشمس يقابل أرض الشهوة وفلك الزهرة يقابل أرض الطبع وفلك عطارد يقابل أرض العادات وفلك القمر يقابل أرض الحياة وكرة النار تقابل مرتبة [مثله كمثل الكلب] والهواء يقابل السموم والماء يقابل الماء الأجاج ، والتراب يقابل

السبخة ، والمعدن يقابل مرتبة كونوا حجارة أو حديداً والنبات يقابل النبات المر والحيوان يقابل المسوخ والملائكة تقابل الشياطين والجن يقابل شياطين الجن ، والإنس تقابل شياطين الإنس ، والجامع عليه السلام يقابل إبليس ، وأما مقابلة الإنسان بذلك فإنه خلق جانبه الأيمن أي عقله وجنده من قبضة من العقل ومن كل واحد من أتباعه قبضة إلى آخر ما ذكر ، وخلق جانبه الأيسر أي نفسه الأمّارة وجندها من الجهل من قبضة ومن كل واحدة من أتباعه قبضة إلى آخر ما ذكر والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

الثانية : من مسائله أدام الله عليه جزيل فضله ونائله ـ قال : ما الإبداع الأول وما الثاني ؟

اعلم : إن الإبداع [الإبداع الأول] عندنا هو أول ما خلقه [خلق] الله وقد تقدمت الإشارة إليه وأنه فعل الفاعل ومشيّته وأنه خَلْق ساكن لا يدرك بالسكون أي لا يوصف به لأن السكون من المبدعات وهي بالإبداع ، وأما الإبداع الثاني فهو الحروف الذي عليها مدار سائر اللغات قال الرضا عليه السلام لعمران الصابي : (**والإبداع والمشيّة والإرادة معناها واحد وأسماؤها الثلاثة وكان أول إبداعه وإرادته ومشيّته الحروف التي جعلها أصلاً لكل شيء ودليلاً على كل مدرك وفاصلاً لكل شيء مشكل**) الحديث .

كما في التوحيد وعند علماء الجفر أن أول فعله الاختراع الأول والألف أول مخترع بالاختراع الأول ، وهو الاستقص الأول وهو العنصر الأول الذي به نشأ سائر الموجودات وله من العدد الواحد الذي هو أس العدد فبوجوده وجود سائر الأعداد وبعدمه عدم سائر

الأعداد وكما أن بوجود الألف وجود سائر الحروف ، وبعدمه عدمها لأن قوامها به وهي دقائق منه وأول مخترع بالاختراع الثاني ، الباء وهي تضعيف عدد الألف فلذا كانت مبسوطة للكثرة وهي ثاني الألف لأن المخلوق لا ينفرد فلا بدّ له من نظير ، وفي التوحيد عن الرضا عليه السلام أنه قال لعمران الصابي : (**واعلم أن الواحد الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد خلق خلقاً مقدراً بتحديد وتقدير وكان الذي خلق خلقين اثنين التقدير والمقدر فليس في كل واحد منهما لون ولا ذوق ولا وزن فجعل أحدهما يدرك بالآخر وجعلهما مدركين بأنفسهما ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده والله تبارك وتعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ولا يعضده ولا يمسكه والخلق يمسك بعضه بعضاً بإذن الله تعالى**) الحديث .

فدل أن الاختراع والمخترع به زوجان إلا أن الزوجين مخترعان متغايران وإلى صحة ما روي الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، وأيضاً عندهم أن الجيم أول مبدع منهما أي الألف والباء بالإبداع الأول ، أبدع منهما بالصورة والعدد ، أما الصورة فمن اجتماع الحرفين ميل بالألف على (**الألف إلى**) الباء إذ كانت الألف قائمة والباء مبسوطة فظهر من ذلك زاوية حادة هكذا **د** وهي الجيم ، وأما العدد فمن الألف واحد ومن الباء اثنين فصارت المرتبة الثالثة وهي الجيم ، فالأول [فالأولى] للنار والثانية للهواء وهذه للماء والدال ثاني مبدع بالإبداع الثاني من المخترع الثاني ، أي من الباء لأنها اثنان فحصل من ضربها في نفسها أربعة وهو الدال وهو المرتبة الرابعة للتراب وربما غيرت بعض عباراتهم في المعنى

عند النقل على طبق المذهب الحق وإلا فعباراتهم هكذا معناه الاختراع الأول الألف والاختراع الثاني الباء والإبداع الأول من الاختراع الأول ، الجيم والإبداع الثاني من الاختراع الثاني الدال واعلم أن المستفاد من النص واللغة أن الاختراع هو الإبداع ولكن لا مشاحة في الاصطلاح .

قال سلّمه الله : وهلم جرا في الحروف .

اعلم أن من أثبت العقول العشرة المعروفة أثبت إبداعات عشرة كلية ، والحق أن الإبداع بقول مطلق إبداعان ، الإبداع الأول في الوجود المطلق نفسه والإبداع الثاني في الوجود المقيّد وهو أي الإبداع [الإبداع الثاني] الحروف ثم لكل موجود في عالم الغيب والشهادة و [أو] الأذهان أو الاعتباريات والفرضيات من الإبداع الثاني ، بالإبداع الأول إبداع خاص به على قدر قابليته من الوجود ، ومن الخلط واستعدادات والأسباب وذلك مادة وجوده وباب استغنائه ، (**فسالت أودية بقدرها ، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربّه والذي خبث لا يخرج إلّا نكداً**) ، وذلك كون لا نهاية له ولا نفاد فافهم فهّمك الله هداه وسلك بك رضاه ، وإنما كانت الحروف إبداعاً لأن الأسماء كانت منها وكانت المعاني بالأسماء والحروف ، فإذا تم الاسم قطرت من كل حرف قطرة على أرض القابليات والجرز الموات فظهر بذلك [بذلك الماء] المعنى .

وذلك تأويل قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا ﴾ وهو الأسماء الوجودية بعد تركبها من حروفها ، الذي هو عبارة عن تراكمه (**سقناه لبلد ميت**) وهي أرض القابليات والأرض الجرز الموات ، فأنزلنا به الماء وهو ما قطر من الحروف التي هي

السحاب المزجي بعد اجتماعه الذي هو الركام حين أدبر بعضها على بعض فخرج من اختلاط تلك الأصوات وزجلات تلك الرعود المتتابعات معتصر قوى تلك الإضافات والمقارنات ، فكان معنى لذلك الاسم بل كان ثمرة لذلك الطلسم ، ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ ﴾ أي المعاني الموجودة بتلك الأسماء والنبات النابت بذلك الماء ، ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ ، أي أنبتكم بالماء من الأرض حيث يقول : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، ولا يذهب عليك أن المعاني قبل الألفاظ في عباراتهم فتعجب من قولنا : إن الأسماء قبل المسميات فإن مبنى كلامهم على الظاهر المعروف ، وأما في الحقيقة فالألفاظ قبل معانيها وإن طلبت البيان فيما خالف الأذهان فخذه ولا تلجئني إلى التطويل فإن المقتصد يكفيه القليل .

فاعلم أن الله سبحانه واحد متوحد ليس معه غيره فأول ما برز عنه الكلام الذي هو الإبداع وهو المعبّر عنه بكن فالبارز عنه الكاف والنون لا المعنى ، إذ ليس قبل هذه الكلمة معنى محدث وإنّما كانت الأشياء كلها بهذه الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر ، ولو كان المعنى قبل الكلمة لكان المعنى غير محدث وكان مع الله غيره فوجب أن يكون المعنى محدثاً باللفظ ، فإن قلت لو سلمنا ذلك في الله منعناه فينا ، قلت إنما خلقكم آية له كما روي في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام : (**العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فُقد في العبودية وجد في الربوبيّة وما خفي في الربوبيّة أصيب في العبوديّة . قال تعالى** ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ ﴾) الحديث .

وذلك لأن المعاني التي عندك قبل تلفظك بما يدل على معنى ليست [ليس] شيئاً غير عقلك وليست الصور الحاصلة عندك التي تسميها علماً غير صدرك فإذا اخبرت بشيء فالمعنى الذي فهمه المخاطب من لفظك إنما حدث بعد لفظك بلفظك ولم يسبق لذلك المعنى شيء من المعاني غير عقلك وإنما العقل مجموع تلك المعاني ، ليس العقل شيئاً وهي شيء آخر ولهذا يصغر ويكبر ويصفى ويكدر ، انظر إلى النار الكامنة في الحجر إذا حكتها الزناد ظهر الشرر فليت شعري ماذا تفهم ، هذا الشرر الخارج هو ذلك الكامن بنفسه فينقص كم الكامن أو هو منه كالظاهر من الباطن وليس لهذا الظاهر وجود قط قبل الحك وانما هو بالحك شيء لا قبله وإلا لكان في الحجر على هذه الصفة فاشرب صافياً ودع عنك الكدورات قال الرضا عليه السلام كما في التوحيد : (**والله تبارك وتعالى سابق للإبداع ليس قبله عزّ وجلّ شيء ولا كان معه شيء والإبداع سابق للحروف والحروف لا تدل على غير أنفسها**) .

قال المأمون : وكيف لا تدل على غير أنفسها ؟ قال الرضا عليه السلام : (**لأن الله تبارك وتعالى لا يجمع منها شيئاً بغير معنى أبداً فإذا ألف منها أحرفاً أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك أو أقل لم يؤلفها لغير معنى ولم تك إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيئاً**) الحديث ، فبيّنَ عليه السلام أن الحروف تؤلف لمعنى لم يكن قبل التأليف شيئاً ومن تتبع كلامنا هذا وما سبق ظهر له ، (**أن العلم نقطة كثّرها الجهّال**) كما قال علي عليه السلام : (**وكل شيء فيه معنى كل شيء**) .

قال وفّقه الله : وفي أسماء الله الحسنى .

قد يجري الإبداع الكلي في بعض الأسماء الحسنى وذلك في ثمانية وعشرين اسماً منها كل اسم يكون إبداعاً ثانياً لكلي وقد يجري ذلك الاسم في جزئيات كلية بحكم جزئي وهي البديع والباعث والباطن والآخر والظاهر والحكيم والمحيط والشكور، وغنى الدهر والمقتدر والربّ والعليم والقاهر والنور والمصوّر والمحصي والمبين والقابض والحي والمحيي والمميت والعزيز والرازق والمذل والقوي واللطيف والجامع ورفيع الدرجات.

ولكل اسم من هذه الثمانية والعشرين تجلّى في معنى حيث تجلّى الله سبحانه بذلك الاسم في ذلك المعنى ففي العقل الأول باسمه البديع في مرتبة الألف كما مر وفي نفس الكلية باسمه الباعث في مرتبة الباء وفي الطبيعة الكلية باسمه الباطن في مرتبة الجيم وفي الهيولى [الهباء] باسمه الآخر في مرتبة الدال وفي شكل الكل باسمه الظاهر في مرتبة الهاء وفي جسم الكل باسمه الحكيم في مرتبة الواو وفي محدد الجهات المعبّر عن باطنه بالعرش باسمه المحيط في مرتبة الزاي وفي فلك الثوابت المعبّر عن باطنه بالكرسي باسمه الشكور في مرتبة الحاء وفي فلك البروج باسمه الغني وغنى الدهر في مرتبة الطاء وفي فلك المنازل باسمه المقتدر في مرتبة الياء وفي فلك زحل المستمد من نور ذات العقل الكلي باسمه الرب في مرتبة الكاف وفي فلك المشتري المستمد من نور ذات النفس الكلية باسمه العليم في مرتبة اللام وفي فلك المريخ المستمد من نور ذات الطبيعة الكلية باسمه القاهر في مرتبة الميم وفي فلك الشمس المستمد من الإبداع كما يدل عليه بعض الروايات معنى ومن الكرسي كما تدل

عليه رواية علي بن عاصم باسمه النور في مرتبة النون ، وفي فلك الزهرة المستمد من نور صفة الطبيعة الكلية باسمه المصور في مرتبة السين وفي فلك عطارد المستمد من نور صفة النفس الكلية باسمه المحصي في مرتبة العين وفي فلك القمر المستمد من نور صفة العقل الكلي باسمه المبين في مرتبة الفاء وفي كرة الأثيرية باسمه القابض في مرتبة الصاد وفي كرة الهواء باسمه الحي في مرتبة القاف وفي كرة الماء باسمه المحيى في مرتبة الراء وفي كرة التراب باسمه المميت في مرتبة الشين وفي المعادن باسمه العزيز في مرتبة التاء وفي النبات باسمه الرازق في مرتبة الثاء وفي الحيوان باسمه المذل في مرتبة الخاء وفي الملك باسمه القوي في مرتبة الذال وفي الجن باسمه اللطيف في مرتبة الضاد وفي الإنسان باسمه الجامع في مرتبة الظاء وفي الجامع عليه السلام باسمه رفيع الدرجات في مرتبة الغين واختلاف أفراد ذلك الجنس باختلاف تطورات ذلك الاسم في ظهوراته وتفاوت تلك القابليات من تلك الأفراد .

وللأسماء الحسنى خواص مختلفة تنفعل لها أشياء إذا استعملت كذلك على الوجه المقرر فيكون لها إبداعات منها أن تأخذ لكل حرف من اسمك اسماً أوله ، ذلك الحرف المأخوذ له وتذكرها بعدد أعدادها أو بعدد حروف هجائها أو بعدد حروف أعدادها بعد حذف المتكرر ثم تدعو بها بحرف النداء وتسأل حاجتك مثلاً محمد يأخذ المجيد والحليم والمعطي والدليل وتذكرها بعدد أعدادها مثلاً المجيد سبع وخمسون والحليم ثمانية وثمانون والمعطى مئة وتسعة وعشرون والدليل أربعة وسبعون الجميع ثلاثمائة وثمانية وأربعون

وإن كان بعدد بسط حروف هجائها ، (م ى م ج ى م ى ا د ال ح ال ام ى ام ى م م ى م ع ى ن ط ا ى ا د ا ل ل ا م ى ا ل ا م) ، فيكون اثنين وأربعين وإن شئت تحذف المتكرر فتكون تسعة أو بأعدادها الجفرية مئة وخمسة وتسعون أو بأعداد الأسماء الجفرية ستون وإن كان بعدد حروف أعدادها ، (س ب ع خ م س و ن ث م ا ن ى ة ث م ا ن ون م ا ة ت س ع ة ع ش ر و ن ا ر ب ع ة س ب ع و ن) ، فتكون اثنين وأربعين في هذا المثال وإن كان بحذف المتكرر فخمسة عشر وإن كان بحروف أعدادها الجفرية ، (ا ر ب ع ة ث ل ا ث ة ا ح د ا ر ب ع ة ث م ا ن ى ة ث ل ا ث ة ا ح د ا ر ب ا ر ب ع ة س ب ع ة ت س ع ة ا ح د ا ر ب ع ة ث ل ث ة ا ح د ث ل ث ة) ، ست وستون أو بحذف المتكرر فثلاثة عشر وكذلك تفعل بمحمد حتى يتطابقا ، وتذكرها بالعدد المطابق بينهما ومنها أن تطلب من الأسماء ما يوافق حاجتك أما في العدد أو في طبيعة الحروف .

ومنها أن تنظر ما بين حاجتك وبينك من عدم التوافق ، كأن يكون اسم أحد كما حروفه فيها التواخي والآخر فيها التناكر أو النورانيّة والآخر الظلمانية أو السعيدة ، والآخر النحيسة [النحسية] أو الحارة والآخر الباردة وهكذا فتختار من الأسماء الحسنى ما يحصل به التعديل بينكما ، فأذكربه كما مر أو تجمع بينه وبين اسمك واسم حاجتك في شكل وركبها كلمات وتدعو بها عجمية كانت أو عربية بتوجه بال ملاحظاً لمدلول الاسم وحاجتك حتى يتم الأمر ، ومنها أن تأخذ ما يوافق عدد اسمك من أعداد الأسماء الحسنى إما بالجمل الكبير اسماً أو اسمين أو أكثر حتى يحصل

العدد مثل محمد اثنان وتسعون فتأخذ حي وهاب ولي جواد اثنان وتسعون فتقرأ الفاتحة ٩٢ وسورة ألم نشرح ٩٢ وتذكر الأسماء الحي الوهاب الولي الجواد ٩٢ ثم تقول يا حي يا وهاب يا ولي يا جواد صلِ على محمد وآل محمد وافعل بي كذا ولاحظ حال الذكر بالحي الحياة في كل شيء وفي الوهاب والجواد العطية لكل شيء وفي الولي القيام بكل شيء ولتكن حاجتك أمام بالك حالة الذكر وقدم أمام دعائك ذكرى أنه دعاك لذلك فاستجب له ووعدك فصدقه واعلم أن القاصد إليه قريب المسافة قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ، واعلم أنك إذا أتيت البيوت من أبوابها فُتحت لك الأبواب ودخلت البيوت والطرق كثيرة منها ما يذكر [نذكره] في خواص الأسماء الحسنى وغيرها .

فمن خواص الأسماء الحسنى الله وهو عند الأكثر الاسم الأعظم ، وله تصرفات في العالم لا تكاد تحصى مَن داوم على ذكره في خلوة واعتكاف ظهر له في العالم تصريف لا يرد ولا يدفع أمره فيهم ، وإذا رسم في مربع وحمله صاحب الحمى البلغمية ذهبت عنه وكذلك يتسلط بها على غور المياه لوقتها والمربع مربع اثني عشر في اثني عشر ، والمراد به التكسير الكبير الذي يكون [يكون من] الاسم الرباعي أربعة وعشرون اسماً فيكون ثمانية في اثني عشر لا اثني عشر في اثني عشر وهذا مثاله :

ا	ل	ل	ه	ا	ل	ل	ه
ل	ه	ا	ل	ل	ه	ا	ل
ل	ا	ل	ه	ا	ل	ه	ل
ه	ل	ل	ا	ل	ه	ا	ل
ا	ل	ه	ل	ل	ا	ل	ه
ه	ل	ا	ل	ه	ل	ل	ا
ل	ا	ه	ل	ا	ل	ه	ل
ل	ه	ل	ا	ه	ل	ا	ل
ل	ا	ل	ه	ل	ا	ه	ل
ع	ل	ل	ا	ل	ه	ل	ا
ا	ل	ه	ل	ل	ا	ل	ه
ل	ه	ا	ل	ه	ل	ل	ا

وذاكره يحصل له وضع [من صفي] الباطن والنور والسر الإلهي ما يعجز عنه الواصف إلا أن ذلك على حسب الإقبال والتخلي ، وإن كتبه في مربع حصلت له كرامة وقبول من الخالق والخلق ، وعدده ستة وستون والملك الموكل بهذا الاسم يا إسرافيل والسفلي قيدوش وهذه صورته :

٩	٢٢	١٩	١٦
٢٠	١٥	١٠	٢١
١٤	١٧	٢٤	١١
٢٣	١٢	١٣	١٨

الثاني : الرحمٰن من داوم على ذكره دِبْر كل صلاة مئة مرة كان ملطوفاً به في جميع أفعاله وأقواله ، وكذا إن كتبه في وفق وهو وفق الرحمٰن وعدده باعتبار اللفظ مئتان وتسعة وتسعون والعلوي يا امواكيل والسفلي أيلوش [ايليوش] .

٧٤	٩٠	٦٨	٧٧
٦٩	٧٦	٧١	٨٣
٧٥	٧٠	٨٢	٧٢
٨١	٧٣	٧٨	٦٧

والثالث : الرحيم من اتخذه ذكراً لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ومن كتب وفقه وحمله ، أمنّه الله من الآفات وسهّل عليه كل الأعمال وهو هذا وفق الرحيم وعدده مئتان وثمانية وخمسون والعلوي يا روبائيل والسفلي صحيوش .

٥٧	٧٠	٦٧	٦٤
٦٨	٦٣	٥٨	٦٩
٦٢	٦٥	٧٢	٥٩
٧١	٦٠	٦١	٦٦

والرابع : الملك من ذكره يوم الجمعة قبل طلوع الشمس ألف مرة يسّر الله كل مطلب له وقضى له حوائج الدنيا والآخرة ومن كتبه

في وفقه رزق الجاه والعزة والدولة وهو وفق الملك وهو هذا وعدده تسعون والعلوي يا روبائيل والسفلي صحيوش .

١٥	٣٠	٢٥	٢٠
٢٤	٢١	١٩	٢٧
٢٢	٢٣	٢٨	١٧
٢٩	١٦	١٩	٢٦

والخامس : القدوس من ذكره كل يوم في وقت الزوال مئة مرة كُفي شرّ النفس ووسواس الشيطان وإن كتب يوم الجمعة على كسرة خبز سبوح قدوس ربّ الملائكة والروح ، وأكلها تروحت نفسه كما تروحت الملائكة ومن نقش مربعه ووفقه وحمله ظهرت على نفسه آثار الانبساط والثبات والصفا وهو هذا [هذا وفق قدوس وعدده مئة وسبعون والعلوي يا عطرائيل والسفلي نهيوش] .

٤٥	٣٦	٤٧	٤٢
٥	٣٩	٤٤	٣٢
٤٠	٤٩	٣٨	٤٣
٣٥	٤٦	٣٠١	٤٩

والسادس : السلام من أدمن ذكره رُزق الصحة والسلامة في ظاهره وباطنه ودينه وأحواله وكذا من كتب [كتبه في] وفقه وهو هذا :

٢٥	٣٩	٣٥	٣٢
٣٤	٣١	٢٦	٣٩
٣٠	٣٣	٤١	٢٧
٤٠	٢٩	٣٩	٣٤

وعدده واحد وثلاثون ومئة والعلوي يا همرائيل والسفلي تنيوش .

السابع : المؤمن من أدمن ذكره مئة وعشرين مرة كل يوم أمن من الوسواس ومن حمل وفقه فلا يقدر عليه الشيطان وهو وفق مؤمن وعدده مئة وستة وثلاثون والعلوي يا روبائيل والسفلي صحيوش .

٣٣	٣٩	٣٦	٢٨
٣٧	٢٧	٢٠	٣٤
٢٦	٣٨	٣١	٣١
٣٠	٣٢	٢٩	٣٥

الثامن : المهيمن من ذكره بعد الغسل مئة مرة على باطنه أشرق [أشرق على باطنه] نور وحامل وفقه يحصل له ما طلب وهو وفق مهيمن وعدد مهيمن مئة وخمس وأربعون والعلوي يا روبائيل والسفلي صحيوش د .

التاسع : العزيز من ذكره كل يوم أربعين مرة وكان محتاجاً أغناه الله عن خلقه وكذا حامل وفقه وهو هذا :

٢٣	٢٦	٢٩	١٦
٢٨	١٧	٢٢	٢٧
١٨	٣١	٢٤	٢١
٢٥	٢٠	١٩	٣٠

وعدده أربعة وتسعون والعلوي يا لوبائيل والسفلي قبيوش [قيوش] .

العاشر : الجبار من أدام ذكره خضعت له الجبابرة من الجن والإنس ومن ذكره كل يوم إحدى وثلاثين مرة حفظ من الجن والإنس ومن ذكره كل يوم بعدده وهو مئتان وستة ووضعه في وفقه وحمله قهر بذلك جميع العوالم وعلويه يا أكلكائيل وسفليه لويوش وهذا وفقه :

٥١	٤٦	٥٣	٥٦
٥٢	٥٧	٥٠	٤٧
٥٨	٥٥	٤٤	٤٩
٤٥	٤٨	٥٩	٥٤

الحادي عشر : المتكبر عدده ستمائة واثنان وستون وعلويه يا روبائيل وسفليه صحيوش من أدمن ذكره بعدده وحمل وفقه كان عزيزاً كبيراً في أعين الخلق وهذا وفقه :

١٥٨	١٧٣	١٦٩	١٦٣
١٦٧	١٦٤	١٦١	١٧٠
١٦٥	١٦٦	١٧١	١٦٠
١٧٢	١٥٩	١٦٢	١٦٩

الثاني عشر : الخالق من أكثر من ذكره وأدام عليه وبلغ في ذكره إلى خمسة آلاف ومئة وعشرة ظهرت له الإجابة في الحين وأي شيء أراده في ذكره ظهرت له حقيقته وعدده سبع مئة وواحد وثلاثون والعلوي يا ميكائيل والسفلي ذلايوش وحامل وفقه يبلغ مرتبة عالية وهو هذا :

١٧٥	١٩١	١٨٠	١٨٠
١٨٤	١٨١	١٧٨	١٨٨
١٨٧	١٨٣	١٨٩	١٧٧
١٩٠	١٧٦	١٧٩	١٨٦

الثالث عشر : الباري مَن ذكره كل يوم مئة مرة أنزل عليه الأنس والرحمة في قبره وحامل وفقه يكون مظفراً منصوراً وعدده مئة [مائتان] وثلاثة عشر وعلويه يا جبرئيل وسفليه أيوش وهذا وفقه :

٥٦	٤٦	٥٨	٥٣
٦١	٥٠	٥٥	٤٢
٥١	٦٠	٤٨	٥٤
٤٥	٥٧	٥٢	٥٩

الرابع عشر : المصوِّر إذا كانت المرأة لا تحمل وذكرته سبعة أيام كل يوم بعدده وهو ثلاثمائة وستة وثلاثون وحملت وفقه :

٨٦	٩١	٧٩	٨٠
٧٦	٨٣	٨٧	٩٠
٩٢	٧٧	٨٩	٨٨
٩٢	٨٥	٨١	٧٨

حملت بإذن الله تعالى والعلوي يا روديائيل والسفلي صحيوش .

الخامس عشر : الغفار عدده ألف ومئتان وواحد وثمانون والعلوي يا لوخائيل والسفلي غرفريوش من ذكره بعد صلاة الجمعة مئة مرة أو بعدده ويقول يا غفار اغفر لي ذنوبي غفر الله له وحامل وفقه يُرزق السلامة من جميع المضار وهذا وفقه :

٣١٢	٣٢٦	٣٢٣	٣٢٠
٣٢٤	٣١٩	٣١٣	٣٢٥
٣١٨	٣٢١	٣٢٠	٣١٤
٣٢٧	٣١٥	٣١٧	٣٢٢

السادس عشر : القهّار عدده ثلاثمائة وستة والعلوي يا عطرائيل والسفلي نهيوش من أدمن ذكره قهر أعداءه ومن ذكره مئة مرة بعد ستة يوم الجمعة وفريضتها قهر عدوه وصفا باطنه وحصل له ما

طلب وحامل مربعه يظهر على مقابله في العداوة والمخاصمة وهو هذا :

٧٦	٨١	٧٠	٧٩
٧١	٧٨	٧٣	٨٤
٧٧	٧٢	٨٣	٧٤
٨٢	٧٥	٨٠	٦٩

السابع عشر : الوهاب من أكثر ذكره وهو سالك شاهد الأرزاق كيف تقسم على الخلائق ولا يسأل من أحد شيئاً إلا أعطاه ولا يسأل من الله تعالى حاجة إلا نالها وهو الكبريت الأحمر ، وكذلك من نقشه والزهرة في شرفها وهو سبع وعشرون درجة من الحوت لا يسأل الله به شيئاً إلا أعطاه إياه وهذا نقشه في شرفها :

ودود	٢٨	٣١	٢٧
٣٢	٢٦	٢١	٦٣
٢٥	٢٩	الله	٢٣
٦٥	٢٣	٢٤	٣٠

ووفق حروفه المربع هكذا :

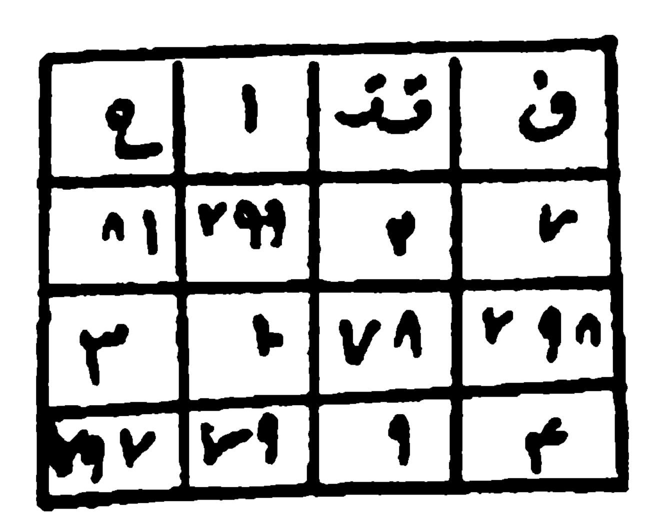
ا	ل	ل	ه	ا	ل	ل	ه
ل	ه	ا	ل	ل	ه	ا	ل
ل	ا	ل	ه	ا	ل	ه	ل
ه	ل	ل	ا	ل	ه	ا	ل
ا	ل	ه	ل	ل	ا	ل	ه
ه	ل	ا	ل	ه	ل	ل	ا
ل	ا	ه	ل	ا	ل	ه	ل
ل	ه	ل	ا	ه	ل	ا	ل
ل	ا	ل	ه	ل	ا	ه	ل
ه	ل	ل	ا	ل	ه	ل	ا
ا	ل	ه	ل	ل	ا	ل	ه
ل	ه	ا	ل	ه	ل	ل	ا

عدد رقمه أربعة عشر إشارة بالشفع إلى الإفاضة كالجواد وعدد لفظه تسعة عشر إشارة بالوتر إلى واحد والعلوي يا زقيائيل [رقيائيل] والسفلي بريوش .

الثامن عشر : الرزاق فعدده لفظاً خمسة عشر وثلاثمائة رقماً ثمانية وثلاثمائة والعلوي يا أمواكيل والسفلي أيليوش ، وهو ذكر من أذكار ميكائيل فمن ذكره يسّر الله عليه طعامه وشرابه ومن نقشه على مربع والقمر في شرفه وهو ثالث الثور يسّر الله عليه المقسوم من الرزق وكذا من نقشه على خاتمه وأكثر من ذكره في ليلة النصف من شعبان وهذه صورته :

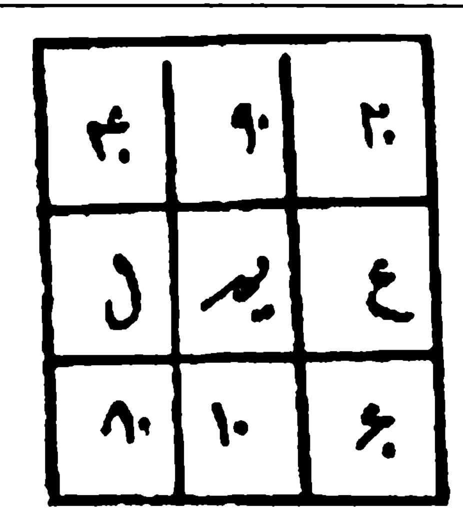
ق	ا	نغ	ر
٢٠١	١٣	٢	٩٩
٣	١٠٢	١٩٨	١٢
١١	١٩٩	١٠١	٤

التاسع عشر : الفتاح عدده أربع مئة وتسعة وثمانون رقماً وثمان مئة وتسعة وثمانون لفظاً والعلوي يا رحمائيل والسفلي تقطيوش من اضطر إلى حاجة وذكره بعدده بعد صلاة ركعتين ويقرأ فيهما بعد الفاتحة يس والملك ، فإذا سلّم ذكر الاسم بعد تكسيره بالتكسير الكبير فلا يسأل الله حاجة إلا أعطاه وتكسره وأنت صائم يوم الخميس عند طلوع الشمس في فضة هذا وفقه :



ع	ا	قت	ف
٨١	٢٩٩	٢	٢
٣	١٠	٧٨	٢٩٨
١٩٧	٢٠٩	٩	٤

العشرون : العليم عدده مئة وخمسون والعلوي يا لومائيل والسفلي قبيوش من أكثر من ذكره أطلعه الله على دقائق العلوم وخفيات الأسرار ومن وضعه على صحيفة [صفحة] من زئبق معقود في شرف عطارد وهو الخامس عشر من السنبلة أنطقه الله بالحكمة وعلمه لطائف المعارف وهذه صورته :

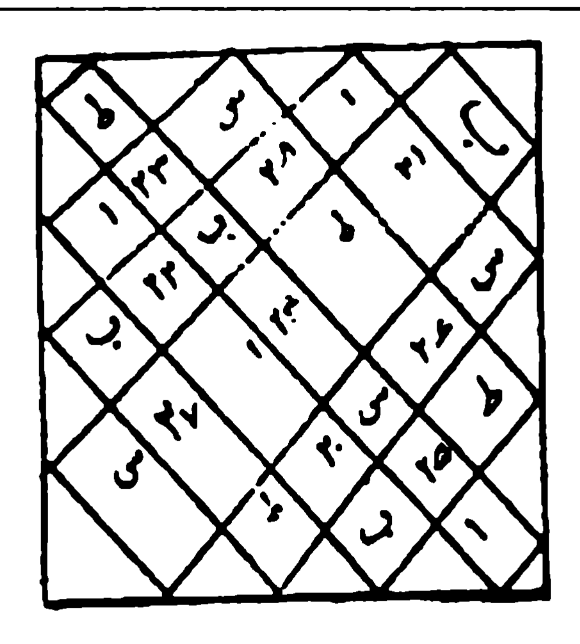


٤٠	٩٠	٢٠
ل	يم	ع
٨٠	١٠	٦٠

ويسمى المثلث العيسوي وهو هذا ومن نقشه في فضة والمشتري في شرفه وهو الخامس عشر من السرطان أو المشتري في بيته وهو الحوت والقوس رزقه الله الفهم في علوم الشريعة ويصلح ذكراً لمن كان اسمه عيسى وهذا وفقه :

م	ى	ل	ع
٧١	٢٩	١١	٣٩
١٣	٤٢	٦٨	٢٨
٢٧	٦٩	٤١	١٣

الحادي والعشرون : الباسط من نقشه على خاتم في ساعة الزهرة من نهار الجمعة ، وهي ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وتختم به كثر فرحه وسروره وزال همّه وغمّه وأحبه كل من رآه وإن واظب عليه صاحب حال بسط الله عليه في رزقه الظاهر والباطن وأحيى قلبه بنور العلم وهو من أذكار إسرافيل وعدده اثنان وسبعون والعلوي يا جبرئيل والسفلي أيوش وله مربع جليل فيه مثلث عددي فإذا كانت الزهرة في شرفها فهو أكمل وهذه صورته [صورة المربع] :



الثاني والعشرون : القابض عدده تسعمائة وثلاثة والعلوي يا عطرائيل والسفلي نهيوش من أكثر من ذكره غلب عليه الجلال والهيبة ولا يطيق أحد مجالسته ومن وضعه في صفحة رصاص أسود وزحل في شرفه وهي الحادية [هو الحادي] والعشرون من الميزان أو في بيته وهي الجدي والدلو وذكره بعدده وقال : اللهمّ اقبض على فلان قلبه وسره استُجيب له بوقته [لوقته] وهو من أذكار عزرائيل وهو سر لقبض الأرواح وله مربع شريف في فعله وصورته هذه :

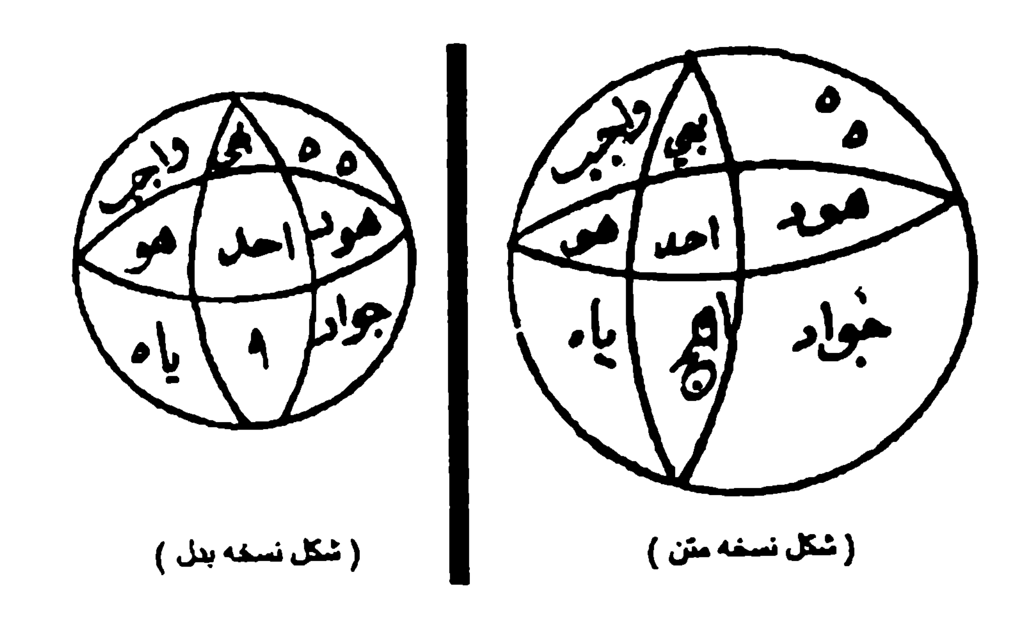
ق	٣٠٠	٣٠٥	٢١٩
١	٢٩٩	٣٠١	٣٠٣
ب	٣٠٤	٢٩٧	٣٠٢
ض	ب	١	ق

الثالث والعشرون : المعيد عدده مئة وأربعة وعشرون من أصلح به كل فاسد واسترجع به كل ذاهب ، وإذا وضع في مربع أربعة ، في أربعة بسير التداخل بطالع أحد البروج المنقلبة وهي الحمل

والسرطان والميزان والجدي وعلق في مهب ريح وأقام الإنسان يتلو الاسم طول ليلة على آبق أو مسافر رجع إلى المكان الذي خرج منه بإذن الله وهذه صورته :

د	ى	ع	م
٣٩	٢١	٩	٥
١٢	٤	٣٩	٤٨
٤٩	٣٧	٧	١١

الرابع والعشرون : الأحد عدده ثلاثة عشر ، إذا أكثر من ذكره سالك استأنس بالوحدة واستوحش من الكثرة وهو يصلح لأصحاب الفناء المستغرقين في عين الجمع المستهلكين في بحار التفريد ، إذا ضربت الثلاثة عشر في ثلاثة وذلك عدد حروفه كانت تسعة وثلاثين فإذا وضعت في مثلث في صفيحة [صحيفة] من رصاص وزحل في شرفه وهو الحادي والعشرون من الميزان أمن حامله من صولة المعاند وقوي به على جميع عوالمه المخالفة له وهذه صورته :



(شكل نسخه بدل)   (شكل نسخه متن)

ومن وضعه في خاتم حديد والقمر في أحد البروج الثابتة وهي الثور والأسد والعقرب والدلو ، أعانه على الجماع إعانة عظيمة وعدده بقدر [بعدد] حروف سورة التوحيد لأنه معنى الأحدية وهو رتق لا فتق فيه وللسورة مربع خمسة عشر في خمسة عشر من وضعه في رق ظبي في ليلة النصف من شعبان نال به الجاه والرفعة عند جميع الناس ولا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه مهابةً فهو من الأسرار الشافية والأنوار الصافية والجنّة الواقية والجنة الباقية وقطبه يشير إلى الحجر المكرم وهذه صورته :

فتدبر فإنه من أعظم الأوفاق فائدة وأتم الأذواق عائدة ومن وضعه في شرف المريخ وهو الثامن والعشرون من الجدي كان منصوراً في جميع حركاته وسكناته القولية والفعلية يوضع للرؤساء والفلاحين في شرف زحل وهو الحادي والعشرون من الميزان ،

وله من الأيام يوم السبت في الساعة الثانية وللقضاة والعلماء في شرف المشتري الخامس عشر من السرطان وله من الأيام يوم الخميس من الساعة الرابعة ، وللأمراء والجند في شرف المريخ وله من الأيام يوم الثلاثاء وللملوك والسلاطين في شرف الشمس التاسع عشر من الحمل ، ولها من الأيام يوم الأحد أول ساعة وللنساء والغلمان في شرف الزهرة السابع والعشرون من الحوت ولها من الأيام يوم الجمعة الساعة الأولى وللوزراء والحساب في شرف عطارد الخامس عشر من السنبلة وله من الأيام يوم الإثنين الساعة السابعة .

الخامس والعشرون : الصمد عدده مئة وأربعة وثلاثون فمن أكثر من ذكره قلَّ افتقاره إلى المعاني الكونية ، وإذا أكثر من ذكره صاحب حال صادقة رجعت حوائج الخلق إليه وخلوته أربعون يوماً لا نوم فيها بليل ولا فطر بنهار ومن أكثر من ذكره استغنى به عن الغذاء غنى تاماً وله مربع جليل وهذه صورته :

١٦	١٩	٢٢	٩
٢١	١٠	١٥	٢٠
١١	٢٤	١٧	١٤
١٨	١٣	١٢	٢٣

ومن نقش صمد في صفيحة [صحيفة] رصاص وعلّقه عليه أمن من الاحتلام في منامه ما دام معلقاً عليه ومن كتب الصاد منه تسعين مرة وعلقه من يشتكي الصداع في عصابة وعصب بها رأسه برىء

وإن كتب الاسم ومحاه بزيت وسقي [سقى منه] ملسوعاً برىء من ألم السم .

السادس والعشرون : السميع من أكثر من ذكره في آخر كل دعاء استُجيب له ومن نقشه على خاتم فضة ، والقمر في شرفه يعني في ثالث الثور كما مر وأكثر من ذكره كان مسموع القول عند جميع الناس ويصلح ذكراً للخطباء والوعاظ وهذه صورته :

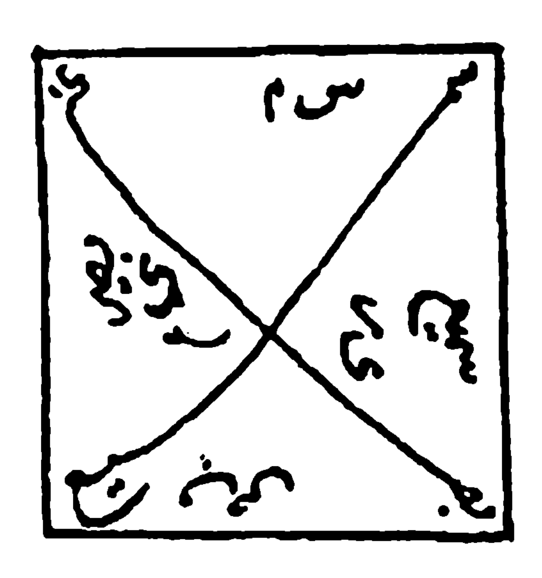
س	م	ى	ع
٦١	٩	٤١	٥٩
٣٨	٥٨	٢٣	١٢
١١	٦٣	٥٢	٣٩

ومن نقشه في مثلث كان ذا فقه وعلا عند الناس وقبلت كلمته بين الخاصة والعامة وظهر على أعدائه وهذه صورته :

ع	ط	ام
اى	لى	طس
طل	اع	ى

السابع والعشرون : البصير قال البوني أما البصير والسميع فذكر

جليل القدر من نقشه في وقت صالح وألقاه على مصروع أفاق من ساعته بعد أن يذكر الاسم سبعمائة مرة وإن نقشه على خاتم من شمس والشمس في شرفها وتختَّم به سمع لغات الجن ، وانقادت له الأرواح إلى كلمته وهذه صورة وضعه :



ومن كتبه على قرطاس أحمر وألقاه في سمعه فتح الله سمعه ورَزَقه الحفظ والفهم ومن ألقاه في دهن ورد ودهن منه من به علّة في سمعه عوفي منها بإذن الله تعالى وهذه صورته :

ب	ص	ي	ر	س	م	ي	ع
ع	ر	س	ع	ي	م	م	ب
ي	ي	ع	م	ص	د	ب	س
ص	س	د	ي	ي	ب	ع	م
ر	ع	ب	ص	م	ي	س	ي
ع	م	ي	ي	ب	س	ص	د
م	ب	ص	س	د	ع	ي	ي
س	ي	م	ب	ع	ي	ر	ص

الثامن والعشرون : المقتدر من علّقه على سفينة أمنها الله تعالى

من العطب ومن ذكره أربعين مرة أمن عن كل بلاء وله مخمس يوضع بسر التداخل فتأمله من علقه عليه [عليه فتح] عليه أسرار ذلك الاسم ، وإن علق على فرس سبقت غيرها وهو هذا [هذه] صورته :

ر	د	ت	ق	م
ت	ق	م	ر	د
م	ر	د	ت	ق
د	ت	ق	م	ر
ق	م	ر	د	ت

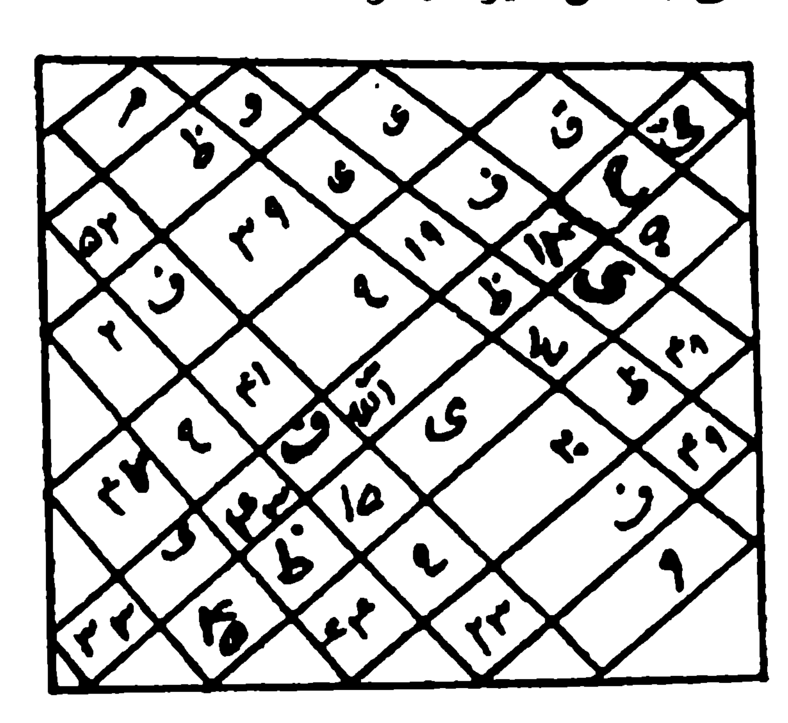
التاسع والعشرون : الحي القيوم من نقش هذين الاسمين عند طلوع الشمس يوم الجمعة مستقبل القبلة على طهارة وذكر أحيا الله ذكره [وإن كان حامل الذكر] وأحيى الله رزقه وإن كان قليلاً وقس عليه وهذه صورته [قس عليه صورة نقشه] :

م	و	ى	ق	ى	ح
ى	ه	ح	و	ق	م
ح	ق	و	ى	م	ى
ق	ح	م	ى	و	ى
ى	ى	ق	م	ح	و
و	م	ه	ح	ى	ق

ومن ركب وفقه مئة وأربعة وسبعين وحمله شاهد ذلك وهذه صورته :

م	و	ى	ق	حى
٥٢	٣٩	١٩	١٣	٤٠
٢	٤١	[illegible]	١٢	٤٨
٤٧	٤٣	١٥	٢٠	٤٩
٣٣	٤٥	٤٤	٢٣	٩

ومن وضع وفقه وهو مئة وأربعة وسبعون في مربع خمسة وأودع باطنه اسمه تعالى حفيظ والزهرة في شرفها أحيى الله قلبه وحسّن خلقه ووسع رزقه ويسّر عسره ونوَّر قلبه ولا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه ومن كتبه على شيء كان محفوظاً ويكون قطبه اسم الله الأعظم ويكون محروساً في نفسه وماله وأهله ولا يسأل شيئاً إلا أعطاه من عرف قدره استغنى به عن غيره وهو هذه :



ومن التكسير من هذين الاسمين هذه الكلمات المنظومة ، من تكسير اثنين وأربعين حرفاً بعد تداخل التكسير ، فإن نظمت جاءت كلمات توازي الكلمات المعجمة فإن أضيفت إلى الوفق العددي ،

ظهر الفعل على أتمه وقس على ذلك ما تريد من الأسماء تجمع بين خواص الحروف وضروب التكسير لأنه امتزاج طبائع الحروف بعضها ببعض بسر التداخل وبين خواص الأعداد في ترتيب طبائعها التي أودعها الله تعالى وهو فعلها الخاص بها ثم بين الذكر العربي الدال على معنى الحياة في كل شيء والقيومية في كل شيء ولنقبض العنان فللحيطان أذان وتعيها أذن واعية ، أقول والطريق في ذلك على ما ذكره علماء هذا الشأن هو أن تكسير الحي القيوم على هذه الصورة ، (**ا ل ف ل ا م ح ا ى ا ا ل ف ل ا م ق ا ف ى ا و ا و م ى م**) فإذا أسقطت المكرر من الحي بقي ستة أحرف ، (**ا ل ف م ح ى**) ، وإذا أسقطت المكرر من القيوم بقي سبعة أحرف (**ا ل ف م ق ى و**)ومن ضرب هذه السبعة في تلك الستة يحصل اثنان وأربعون حرفاً وهذه صورة جدولها :

ا	ا	ل	ف	م	ح	ى
ل	د	ظ	ت	ر	م	س
ف	ف	ت	ت	ر	م	ض
م	م	ب	ب	غ	ك	ث
ق	ق	ع	غ	غ	ض	غ
ى	ى	ش	ض	ح	ف	ق
و	و	ف	ف	م	ع	س

فتدبره تفز بحظ وافر ما [مما] فهمه العلماء الربانيون والحكماء الروحانيون . وقولنا : (**بعد تداخل التكسير**) ، أعني إسقاط المكرر منها تبقى سبعة عشر حرفاً : (**ا ت ح ر س ش ص ض غ ف ق م**

ك ى ل و) ، [ا ت ح ك ل م وى خ زس ش ص ض ع ف ق] .

ويخرج من هذه الحروف تسعة وعشرون اسماً من الأسماء الحسنى ، وهي الحي الحليم الحق الحفي الخلاق الرحيم الرؤوف السلام الخافض الشافي الشكور المصوّر المفضل المحصي الضار الكريم الحكيم الغافر الغفار الغفور الفتاح القيوم القوي الكافي الملك ، مالك الملك الوكيل الوالي الوفي بعدد حروف المعجم وهي التي أراد بقوله توازي الكلمات المعجمة والمعتبر خروجه من الأسماء هو هذا العدد وهذا بيان بديع وبناء رفيع .

الثلاثون : الملك القدير وإنّما ذكر الملك هنا مع أننا ذكرناه سابقاً لوضعه مع القدير وظهور خاصية الجمع ومن نقشه والقمر في شرفه على لوح من فضة ووضعه في أعلى دار الملك فإن ملكه يخلد عليه مدة حياته ولا يرى فيها تضعيفاً [فيه تضعضعاً] وصورته ذلك :

٧٧	٦٨	٩٠	٧٤
٩٣	٧١	٧٦	٦٩
٧٢	٨٢	٧٠	٧٥
٦٧	٧٨	٧٣	٩١

الحادي والثلاثون : المتعالي فمن أكثر من ذكره لا يعالي أحد من الأمور إلا علاه ويصلح لمن يتعرض لمخاصمة أو محاكمة ، ومن وضع مربعه وهو من رصاص وزحل في شرفه أو في بيته كما مر وذكر الاسم بعدده قهر به كل مقاوم وهو من الأسماء الجليلة وهذه صفته :

ملك	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
١٥٥	٩٧	[illegible]	٩٣	١٠١
١٠٩	[illegible]	١٠٤	[illegible]	٩٥
١٠٢	[illegible]	٩٩	١٠٦	٩٤
٩٦	٩١	٩٢	١١٨	١٥٤

الثاني والثلاثون : الحفيظ عدده تسعمائة وثمانية وتسعون وهو اسم سريع الإجابة للخائف في الأسفار لا يزال يذكره في مواطن الخوف وغيرها من المخاوف فلا يريه الله ما يكرهه ، ومن نقش في خاتم فضة وجعل عدده وفقاً ويكسره [تكسيره] حروفاً في باطن الخاتم وحمله معه لو نام في مسبعات الأرض ما ناله ما يكرهه ويزيده بعده يا حفيظ احفظني وهذه صورته [صورة مربعة] :

ح	ف	ى	ظ
ى	ظ	ح	ف
ظ	ى	ف	ح
ف	ح	ظ	ى
[illegible]			
٢٤٣	٢٥٥	٢٥٢	٢٤٩
٢٥٣	٢٤٨	٢٤٤	٢٥٤
٢٤٧	٢٥٠	٢٥٧	٢٤٤
٢٥٢	٢٤٥	٢٤٦	٢٥١

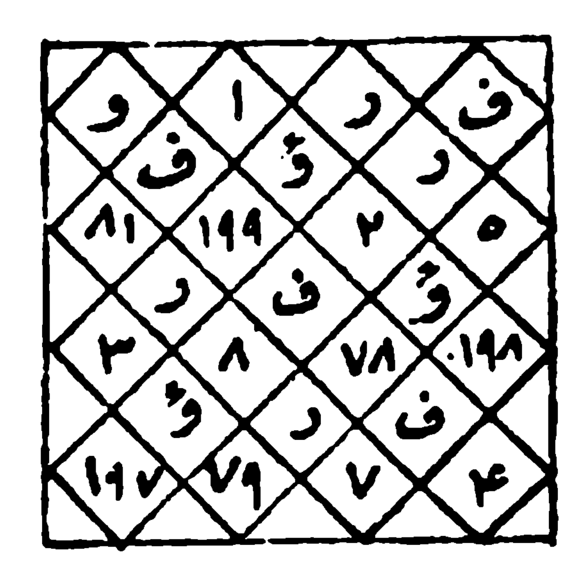
وله مربع يوضع بسر التداخل في شرف الشمس ليكون منه لحامله الحفظ من كل ما يكره وهو هذا :

ظ	ع	ف	ح
٧	٩١	٩	٩٠١
١٢	٩٠٢	٦	٧٩
٧٩	٥	٩٣	١١

الثالث والثلاثون : النور عدده ستة وخمسون ومئتان من أكثر ذكره نوّر الله قلبه وله مربع جليل القدر يوضع في شرف الشمس فيفيد ملكاً دائماً اسمه نافع ونور في مربع على هذه الصورة من سر الحياة باطناً والملك ظاهراً وهو هذا :

٥٥	٧٥	٧٧	٤٩
٦٥	٦١	٥٩	٧١
٥٧	٦٩	٦٧	٦٣
٧٩	٥١	٥٣	٧٣

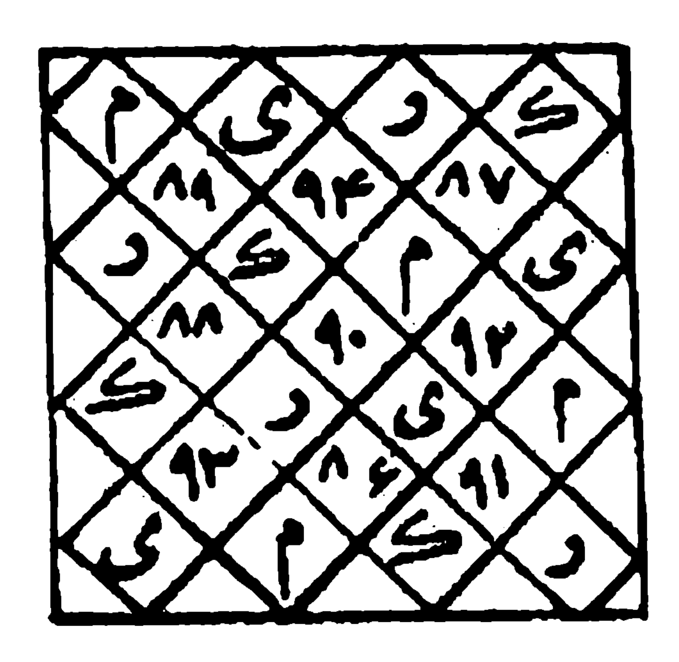
الرابع والثلاثون : الرؤوف من جمع بين مربعه الحرفي ومربعه العددي والزهرة في شرفها كان محبوباً عند جميع الناس وهذه صورته :



الخامس والثلاثون : الكريم عدده مئتان وسبعون من نقشه في مربع أربعة في أربعة بسر التداخل والقمر في شرفه على خاتم فضة وتختَّم به وسّع الله [الله عليه] رزقه وخلقه ونفعه بأسراره ومتعه بأنواره إذا أدام ذكره كل يوم بعدده وهو هذا :

ك	ر	ى	م
٣٩	١١	١٩٩	٢١
١٩٨	١٩	٤٢	١٢
١٣	٤١	١٩	١٩٧

وقيل من نقشه في ساعة الزهرة من يوم الجمعة على فص زمرد وجعله في خاتم بعد ذكره تسعة وثمانين ومئة مرة وتختَّم به ثم ذكره مئة مرة وخرج من بيته لا بد أن يجد من يعطيه شيئاً ولو خرج في النهار مئة مرة ، واعلم أن أعداد الحروف أشباح ومن جمع بين الأعداد والحروف في مربع واحد كان أسرع وأقرب [أقرب وأسرع] وهذه صورته :



السادس والثلاثون : ذو الطول من كتب سبع مرات في سابع ساعة من السابع من الشهر بنّية ما يرومه ويدوم على ذكره على طهارة يسّر الله عليه بلوغ مرامه وإذا وضع في مسبع حرفي على رق طاهر بزعفران ، وألحق به المسبع العددي يوم الجمعة أول ساعة منه أو في الثامنة فرّج الهم وصلح للألفة وإطلاق المسجونين وهذه صورته :

[illegible]	١٩ا	١٣٥	ل٣ل	١٣ط	٤٣ه	٤ل
و٣ط	[illegible]	٢٧ل	٢٣ن	ع و	١١٥	٣٢ل
١٣ى	١٢	١٩ل	٢٩ط	٤٥ه	١٤ل	٤٣ن
٣٣س	٣٤ط	١٠ز	٢٩ه	١٣٩	٦ل	١٥ط
١٢٥	٤٢ل	٣ط	١٢ل	١٣ل	٢٧ن	٩و
١٧ل	٢٣ن	٣٤و	١١٢	٢٦ل	٩ط	٧و
٩ل	٢٦ط	٢٣و	[illegible]	١٣ن	٣١و	١٣٩

(شكل نسخه متن)

زا	١٨او	٣٥	٥٤ل	١٣ط	٣٣و	٤ل
٤٩ط	٢و	٢٧ل	٣٧ن	٩و	١١ه	٣٢ل
١٤و	١٢	١٩ل	٢٩ط	٤٦و	١٣ل	٣٣ن
٣٢و	٣٣ل	١١ن	٣٨و	٣٨	٥ل	١٥ط
١٢٥	٢٢ل	٣ط	٢٤و	٢٠ل	٢٧ن	٨و
١٧ل	٢٣ن	٣٤و	١١٧	٢٢ل	٣٩ط	٧و
٩ل	٢٦ط	٢٣و	٢ل	٢١ن	٣١و	١٤٨

(شكل نسخه بدل)

السابعة والثلاثون : الغني من استدام على ذكره كثرت عليه أسباب الدنيا وسعت عليه أرزاقها ، وكذلك من كتب وعلقت ربحت تجارته وعدده اللفظي ١٠٧٠ أو الرقمي ١٠٦٠ وله مربع كثير النفع في ذلك وهو هذا :

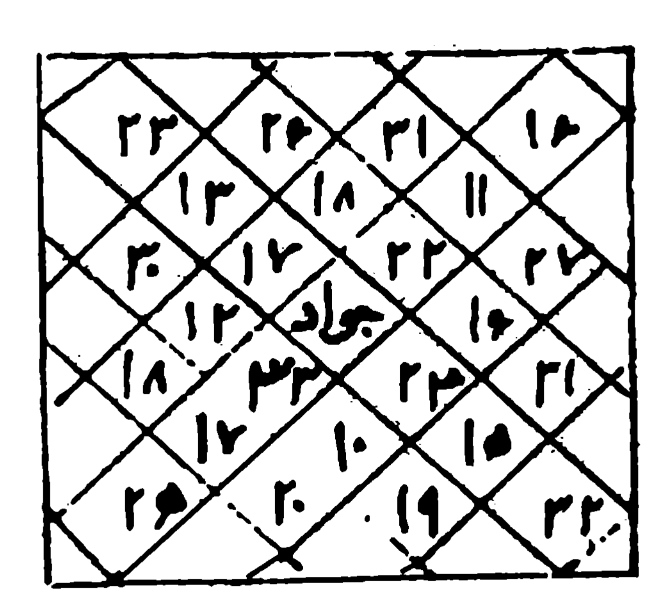
٢٦٤	٢٦٨	٢٧١	٢٥٧
٢٧٠	٢٥٨	٢٦٣	٢٦٩
٢٥٩	٢٧٣	٢٦٦	٢٦٢
٢٦٧	٢٦١	٢٦٠	٢٧٢

الثامن والثلاثون : المغني عدده إحدى عشر ومئة له مربع جليل يوضع في شرف زحل ، أو في شرف الشمس التاسع عشر من الحمل ، من حمله معه وذكر الاسم بعدد حروفه ثم قرأ سورة والضحى بعده وقال عقيب ذلك : اللهمّ يسّر عليّ في اليسر الذي يسّرته على كثير من عبادك وواظب على ذلك أربعين يوماً أرسل الله إليه من يعلمه الحكمة ، إما في منامه أو يقظته ، ومن نقشه على خاتم والزهرة بالميزان وتختّم به أحبه من يراه ومن ذكره كل يوم إحدى عشر مئة مرة وأحد عشر وهو عدده مع حرف النداء أغنى الله فقرع وكشف ضره لا يسأل الله شيئاً من الأسباب إلا أعطاه ما سأل ، فإن واظب على ذلك كان مستجاب الدعوة وهذه صورته :

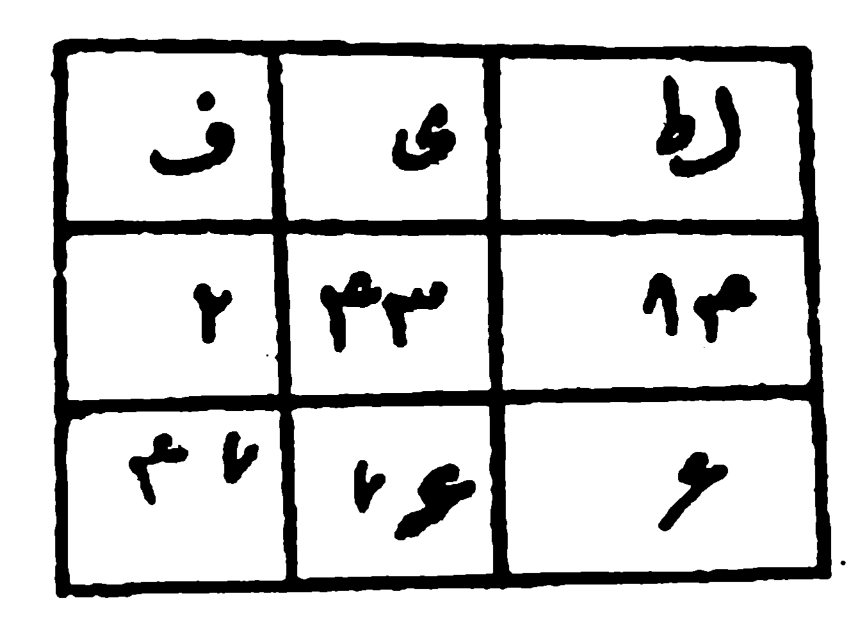
٦٤	٦٧	٧٠	٥٧
٦٩	٥٨	٦٣	٦٨
٥٩	٧٢	٦٥	٦٢
٦٦	٦١	٦٠	٧١

التاسع والثلاثون : الودود .

والأربعون : الحبيب من وضع اسم الودود واسم الحبيب في مثلث مركزه جواد في باطن مربع ستة وتسعين وهو عدد السؤال إذ الحبيب الودود هو السؤال لا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه ومن أراد وضع هذا الشكل العظيم القدر فليضعه في الساعة الأولى [الأولى من] يوم الجمعة والزهرة في شرفها ثم يواظب على ذكر هذه الأسماء فإنه يرى العجب العجاب وهذه صورته :



الحادي والأربعون : اللطيف عدده مئة وتسعة وعشرون مَن أكثر مِن ذكره كان ملطوفاً به في جيمع أموره ووسع الله عليه المقسوم من الرزق ألا ترى أنه يناسب اسمه معطي وذكره عند الحبيب يشير إلى اسمه موسع وهذه صورته [صورة وضعه] :

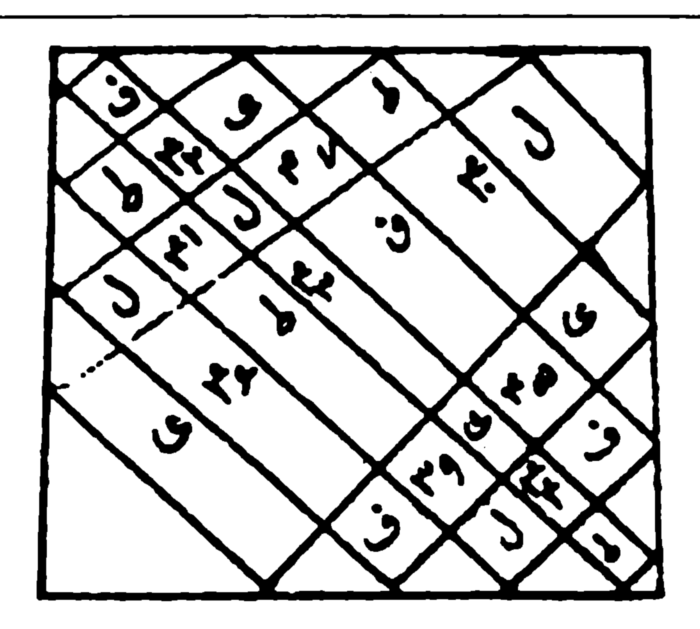


لط	ى	ف
٩٣	٣٣	٢
٦	٤٧	٣٧

وهو ذكر صالح لمن كان اسمه صالحاً لمساواته له ومن وضع مربعه على خاتم فضة بوضع سر التداخل والقمر في شرفه ما تختّم به مكروب إلا وجد برد اللطف والإجابة ومن اشتد به مرض أو كان مقهوراً تحت سلطان طبعه وأحكام عاداته أو أكثر من ذكره يسّر الله عليه الخلاص من ذلك وهذه صورة وضعه المذكور :

د	ط	ى	ف
٧٩	١١	٩	٣١
٧	٢٨	٩٢	١٢
١٣	٨١	٢٩	٦

ومن كتبه [كتبه مرة] في جام ومحاه بماء وعسل وسقاه مَن به مرض عافاه الله ، ومن جمع بين مربعه الحرفي والعددي في مربع واحد كان أسرع للإجابة هذه صورته :



الثاني والأربعون : الواسع ، من أكثر من ذكره وسّع الله عليه رزقه ، وخلقه ، وعلمه واتسع له في الأجل وهذه صورته :

ق	ا	س	ع
٧١	٥٩	٢	٥
٣	٩	٦٩٠	٥٩
٥٧	٦٩	٧	٤

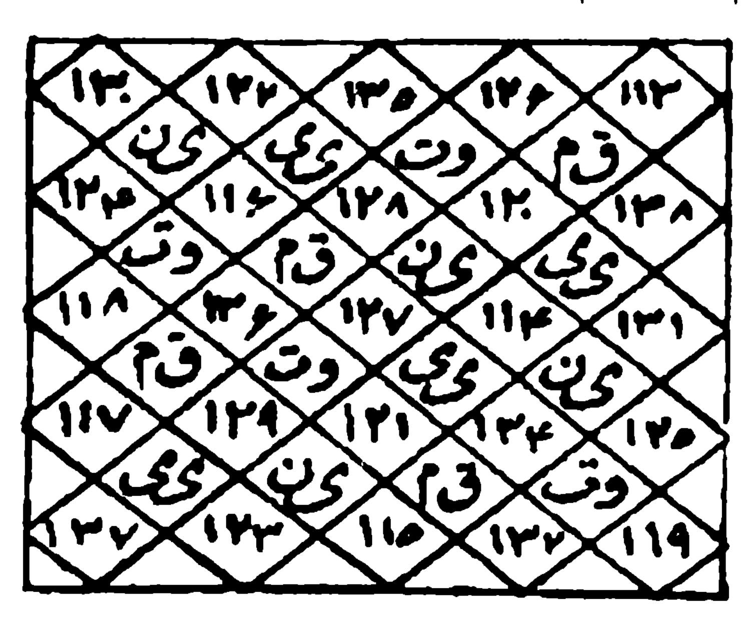
الثالث والأربعون : الشهيد يصلح ذكراً لمن يطلب الشهادة ولمن يطلب المشاهدة وصورة وفقه ومربعه هكذا :

كهيعص	طه	يس	م
٢٤١	٦٩	١٥	١٩٤
١٢	١٩٣	٢٤٢	٧٢
٧١	٢٤٣	١٩٢	١٣

الرابع والأربعون : نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير من أكثر من ذكره كان منصوراً على أعدائه في جميع حركاته وسكناته ولا يسأل الله به شيئاً إلا أعطاه ما سأل وعدده أربعة وعشرون وثمانمئة ووفقه هذا :

النصير ٣٨١	ونعم ١٦٦	المولى ١٢١	نعم ١٦٠
١٩٩	١٧٧	١٥٢	٢٩٦
١١٣	٣٨١	١١٤	٢١٦
١٣١	١٠٠	٤٤١	١٥٣

الخامس والأربعون والسادس والأربعون : القوي والمتين من رسمهما على علم والمريخ في شرفه كان منصوراً على عدوّه في الحرب وكان قادراً على طرده ومن رسمهما على طرف عمامة والشمس في شرفها وتعمَّم بها كان مهاباً عند الخاصة والعامة ، ومن نقشهما في لوح من حديد والمريخ في شرفه انقادت الملوك إلى كلمته فافهم [فافهم ذلك] وهذه صورته :



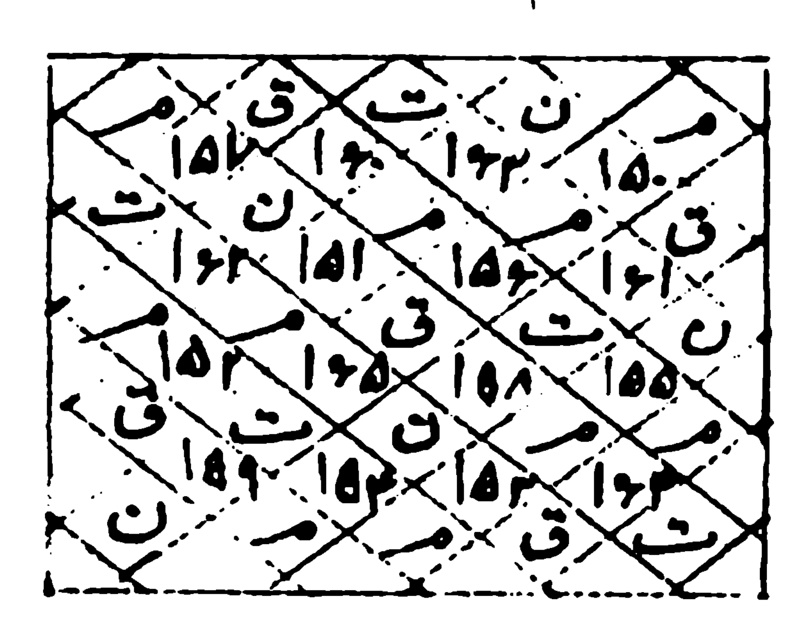
السابع والأربعون : الوارث ، من أكثر من ذكره وهو طالب أمراً بيد غيره أورثه الله إيّاه إما لغنى غيره عنه أو لتقصيره عن القيام به وهو ذكر يصلح للأكابر المستخلفين وأرباب الوراثة وأما مربعه فعلى هذه الصورة :

و	ا	ر	ث
٥٠١	١٩٩	٢	٥
٣	٩	٤٩٨	١٩٨
١٩٧	٤٩٩	٧	٤

الثامن والأربعون : الباعث يصلح لمن ضعفت عزيمته عن أمره ، ومن أكثر من ذكره انبعث على كل خير وهو استيلاء الحياة والصحة على الأبدان وحفظ القوى ، فإذا أردت ذلك فاتخذ ثياباً نظيفة ودخن بعود ومسك وقرنفل واتل الاسم على خلو معدة وطهارة قلب إلى أن يحصل لك عنه [منه] حال فإن الله يمدك بالقوة ويثبتك [يبعثك] على أفعال الطاعة وهذا مربعه العددي والحرفي :

٢٠	٢٥	٣٠	١٥
٢٧	١٩	٢١	٢٤
١٧	٢٨	٢٣	٢٢
٢٦	١٩	١٦	٢٩

التاسع والأربعون : المنتقم ، من أكثر من ذكره ثم دعا على ظالم ، أخذ لوقته وهو من الأسماء القهرية التي هي من أركان [اذكار] عزرائيل وله مربع جليل يوضع في مربع عددي محيط به مربع حرفي مخمس ، إذا كان المريخ في شرفه لا يحمله مظلوم بعدد حروفه إلّا انتصر به على ظالمه في الحال ، ومن وضعه في صحيفة من حديد في ساعة المريخ يوم السبت ، وهي الساعة الرابعة وأخذ في ذكره سبعمائة وثلاثين مرة وهو ينظر إلى الشكل نظر جلال ثم دعا على ظالم أخذ لوقته وهذه صورة الشكل :



الخمسون : التّواب من وضعه في مربع على هذه الصورة :

سبول ٩٦	علي ١١٠	ومحي ١٠٦	منجي ١٠٣
واف ١٠٧	مبيت ١٠٢	الوكيل ٩٧	منيط ١٠٩
صاحب ١٠١	عدل ١٠٤	متين ١١٢	محمود ٩٨
كافي ١١١	مانح ٩٩	منجل ١٠٠	كهف ١٠٥

والقمر في زيادة ، أمنه الله مما يخاف ويسّر عليه التوبة ، وبدل سيئاته حسنات وأعانه على الوفاء والعهد [بالعهد] وقرّبه وأدناه وألهمه لطائف الحكمة ، فتدبّره ففيه أسرار عجيبة لمن كان له ذوق من الحكمة الإشراقية التي لا يطلع عليها إلا آحاد المتألهين .

الحادي والخمسون : الوكيل من أكثر من ذكره ، أغنى الله فقره وشرح بنور التوكل صدره وله مربع خمسة في خمسة من نقشه في حجر من رخام والطالع العقرب وجعله في داره لم يبق حية ولا عقرب ولا شيء من الهوام المضرة إلا خرجت منها بإذن الله تعالى وهذه صورته :

١	١٤	٢٣	١٠	١٩
٢٦	٨	١٦	٤	١٢
١٩	٢	١٥	٢٤	٦
١٣	٢٢	٩	١٧	٥
٧	٢٠	٣	١١	٢٥

الثاني والخمسون : الهادي ، قال بعض علماء هذا الشأن [الفن] ، هو ذكر يصلح لكل سالك في المعركة ما دام متخلصاً إلى نور وهو من الأسماء التي ليس لها مربع ، فإذا أريد إدخاله في مربع وضعت أسماء حروفه على هذه الصورة ، (**ها ء ا ل ف د ا ل ى ا ء**) ويصلح ذكراً لمن كان اسمه عبد الهادي ومن أضاف إلى الهادي العليم والخبير والمبين وتلا ذلك مئة مرة ، وقال في آخر

تلاوته يا هادي اهدني إلى كذا يا عليم علّمني كذا ، يا خبير خبّرني بكذا ، يا مبين بيّن لي بكذا ، وسمي ما شاء من أمر ، ثم نام اطلعه الله في نومه على ذلك .

الثالث والخمسون : الخبير ، يصلح ذكراً لمن أراد أن يطلع على خفي أمر في نوم أو يقظة ومن وضعه في مربع وعطارد في شرفه اطلع به على علوم جليلة وهو هذا :

خ	ب	ي	ر
٢٠١	٩	٣	٥٩٩
٤	٦٠٢	١٩٨	٨
٦٠	١٩٦	٦٠١	٥

الرابع والخمسون : ذو الجلال والإكرام من نقشه في صندوق أو باب دار في ساعة المشتري من نهار الخميس ، وهي الخامسة كان محفوظاً من اللص والسارق ومن أراد أمراً من الأمور فيكثر [فليكثر] من ذكره يرى العجب العجاب بإذنه :

الخامس والخمسون : المذل من نقش وفقه أول ساعة من يوم الأحد وذكره بعدده بنيّة ظالم أو حاسد وهو حامل للوفق ذل له وكفى شره وهو هذا :

م	ذ	لل
٦٩٨	١٤	٣١
٦٢	٣٩	٦٩٩

السادس والخمسون : الحكيم ، من كتب وفقه في رق ظبي أول ساعة من يوم الأحد ، وحمله وهو يديم ذكره كل يوم ثماني وسبعين مرة علّمه الله الحكمة وأشرقها على قلبه ، إذا ذكره بحضور قلب وهذه صورته :

ح	ك	ي	م
٣٩	١١	١٩	٩
١٩	٦	٤٢	١٢
١٣	٤١	٧	١٧

ومن ذلك اسم باسط من وضعه في مربع تسعة في تسعة بالحروف ، ونقش في كل بيت منها [منه] باسط في رق طاهر بمسك محلول بماء ورد وزعفران في تاسع ساعة من يوم الأحد ، وحمله معه أمن من التعب إذا مشى ومن ألم الجوع وقهر الجبارين وطهّر الله باطنه من الأخلاق الرديئة والأدناس البشريّة .

وهكذا في جيمع الأسماء مما لم نذكره ، ومما ذكرنا بعض خواصه وأعماله ما هو مذكور في محله .

قال سلّمه الله تعالى : وفي أوراد الملائكة بها .

المراد بالملائكة ملائكة الأسماء المستخرجة أسماؤهم من الأسماء مثلاً ، إذا أردت استخراج ملائكة وهاب فخذ عدده وهو أربعة عشر واستنطقه وزد عليه الملحق فيكون ديائيل وهو الملك الأول ثم تضرب العدد في نفسه ، فيكون مئة وستة وتسعين وتلحقه

بالملحق فيكون وصقائيل وهو الملك الثاني ، ثم تكعبه بأن تضرب عدد الأول في عدد الثاني وتتبعه بالملحق فيكون دمذغائيل ، وهو الملك الثالث فإذا أردت الخليفة على الثلاثة فتجمع المراتب الثلاث وتستنطقه وتلحقه بالملحق فيكون دنظغائيل وهو الملك الخليفة على الثلاثة ، وإذا أردت الرئيس الحاكم عليهم فكعب عدد الخليفة والمستنطق من التكعيب هو الملك الأعظم والجميع تحت طاعته وهو الملك الذي كتمه هرمس ورمزه ولم يصرح به فافهم فقد صرحت به ، واعلم أن ورد الملائكة مذكور في محله يختص كل بورد يجمعها الاسم الجامع لهم ، وهنا ورد خاص وهو ذكر الاسم بعدد الملك فتذكر الوهاب مثلاً أربع عشرة مرة للأول ومئة وستة وتسعين للثاني وألفين وسبعمائة وأربعاً وأربعين للثالث وألفين وتسعمائة وأربعاً وخمسين للخليفة ، وللرئيس بعدده وتذكر عند كل رتبة من عدده اسمه واسم صاحب تلك الرتبة ملاحظاً ، معنى البديع والرحمٰن والباعث والباطن غائباً فانياً بحاجتك في ظهور الذات ألحق بهذه الأركان الأربعة في كل شيء فيتحقق ذلك الأثر عند تمام تلك الجمعية بلا مهلة فافهم الإبداع في أوراد الملائكة وهذا جهة من جهات كثيرة .

قال [قوله] : وفي الاسم الناقص عن المئة وما يشير إليه وكيفية استجابة الدعاء بالاسم المشار إليه بالاسم الأعظم لأنّا فهمنا منك الإشارات ولا أجبنا التصريح ، لأن أهل دهرنا لا يحتملون ذلك وإن احتملوه لا يكتموه وإن كتموه استعملوه فيما لا يحل لهم .

اعلم : ان المراد بالاسم الناقص عن المئة على الظاهر في الظاهر هو ، هو لأنه أبعد الأسماء عن المشاركة بين الذات

والصفات إذ ليس فيه إلا مفاد الهاء ، وهو محض الإشارة إلى الثابت ومفاد الواو وهو الامتناع عن الإدراك ويحصل به تمام المئة حيث كانت الأسماء الحسنى تسعة وتسعين وتمام الاسم الأعظم لأنك إذا أضفت إلى عدد الأسماء الحسنى وهو تسعة وتسعون عدد حروفه وهو أحد عشر كان مئة وعشراً وهو عدد الاسم الأعظم وهو العلي العظيم وعلى ما هو الحق في الباطن هو معنى هو الذي كان اسمه المعروف لدى جميع الخلق عدده مئة وعشر الدال على عدد الجميع بعدد اسمه وعلى الحيطة بالكل بمعناه حيث الله يقول : ﴿ وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ وذلك هو معنى الأسماء الحسنى كلها ومعنى هو ، وهو معنى الله سبحانه الذي أشار إليه علي بن الحسين عليهما السلام في قوله لجابر : (**ثم معرفة المعاني ثانياً**) وهذا جواب قوله سلّمه الله وما يشير إليه .

وأما كيفية استجابة الدعاء فأن تعرف الواحد ثم معناه ثم بابه فتلحظ فقرك لحاجتك فتقصد بابه وتدعو واحداً طوى بوحدته ذاتك وحاجتك وقصدك ودعائك فيظهر معناه من بابه بحاجتك من بابها وإلى هذه المراتب الثلاث ، أشار [أشار إليه] علي بن الحسين عليه السلام في الحديث المشار إليه سابقاً بقوله : (**المعرفة إثبات التوحيد أولاً ثم معرفة المعاني ثانياً ثم معرفة الأبواب ثالثاً**) وقولكم ولا أحببنا التصريح إلخ ، اعلم أن الاسم الأعظم على أحوال ، فأما الاسم الخاص الأكبر فإن الله تعالى سره عما سوى أوليائه المعصومين لئلا يبطل النظام لو وصل إلى غير المعصوم ولا كلام لنا فيه لعدم علمنا بتركيبه ، وإن كان موجوداً في الحروف النورانية ، وأما غير الاسم اللفظي فمنها ما يحصل بالحال الصادقة

كما [كما يظهر] للمرتاضين بأذكار الأسماء ومنها بتصفية الباطن والتجافي عن دار الغرور وترك الشواغل فلا يكون بينه وبين الله حجاب (**ما زال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**) الحديث ، ومنها ثمرة العلم بالله وصفاته وأسمائه فيدعوه بها ، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ وهو الذي أشرنا إليه هنا فأهل زماننا فاتتهم المراتب الثلاث فهم لا يحتملونه البتة وإن شرحت لهم الحال لم يفهموا المقال : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

قال سلّمه الله تعالى [قوله] : وكذلك الإشارة إلى البسط والتكسير والمزج والوضع في بيان الوفق على حسب الإمكان .

أما البسط : فله أقسام ، بسط حرفي وبسط عددي وبسط التضارب وبسط الترفع وهو ثلاثة أقسام ، ترفّع حرفي وترفّع عددي وترفّع طبيعي ، وبسط طبيعي وبسط غريزي وغير ذلك ، فالبسط الحرفي مثلاً [مثلاً في محمد] (م ى م ح ا م ى م دا ل) ، والعددي من الزبر والبينات مثل بعض ذلك أربعون ثمانية أربعون أربعة فقد يراد من الأول ، (م ى ح ا د ل) أو أحد عشر أو ستة ومن الثاني ، (ا ر ب ع و ن ث م ن ى ة) أو ثلاثة وعشرون أو أحد عشر أو أعداد حرف الإعداد أو اثنان وتسعون من الزبر أو من البيّنات مئة واثنان وثلاثون ويتصرف في كل بما يقتضيه الداعي وبسط التضارب كأن يضرب عدد الحرف في نفسه أو في آخر أو في مرتبة فيستنطق حتى يتولد من الاسم اسم آخر أو أسماء يتصرف فيها ، كذلك أو ضرب حرف من حروف الطالب في حرف من حروف المطلوب واستحصال الحروف الأخرى ، المستنطقة من حاصل الضرب والترفع العددي ، رفع كل حرف من حروف

المطلوب مثلاً من رتبة إلى ما فوقها وأخذ سميه من تلك المرتبة العليا كرفع ميم محمد إلى المئات ، فتأخذ التاء والحاء إلى العشرات فتأخذ الفاء والميم الأخرى كذلك التاء والدال إلى العشرات ، فتأخذ الميم فحصل [فمحصل] ذلك تفتم والترفع الحرفي أخذ الحرف الذي يلي حرف المطلوب من الحروف الأبجدية فمثلاً محمد يؤخذ للميم نون وللحاء طاء وللميم نون وللدال هاء ، فيكون نطنه والترفع الطبيعي ان تأخذ للحرف الترابي ، حرفاً مائياً وللمائي رياحياً وللرياحي نارياً وتترك الناري بحاله فمثلاً محمد الميم ناري والحاء ترابي وكذا الدال فتترك الميم بحالها وتبدل الحاء بالزاي والدال بالجيم فتقول مزمج والبسط الطبيعي عبارة عن كون كل حرف من الحروف النارية طالباً للحروف الرياحية التي في درجته والرياحية تطلب المائية .

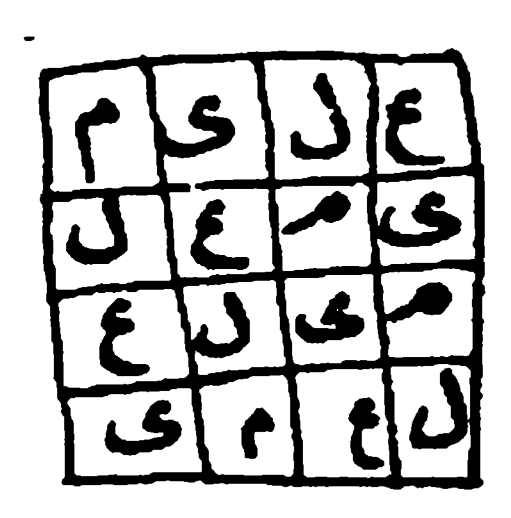
والمائية تطلب الترابية وهذا بدون ملاحظة الحروف بدرجاتها هو الطبيعي وإذا لوحظت فهي الغريزي وغير ذلك كبسط التواخي والتجامع والتقوى والتكسير قد يستعمل في البسط الإبدالي بقول مطلق في تغيير الأحوال وتبديلها كالعلوية بالسفلية وبالعكس والنورانية بالظلمانية وبالعكس والمتصلة بالمنفصلة وبالعكس والروحانية بالجسمانية وهو النورانية والظلمانية وبالعكس والصمدانية بالمجوفة والنهارية بالليلية ، وبالعكس فيهما والنهارية هي التي للكواكب النهارية زحل والمشتري والشمس وعطارد ، إن كان مشرقياً والليليلة هي الكواكب الليلية الزهرة والمريخ والقمر وعطارد ، إن كان مغربياً فلزحل صتض قثظ وللمشتري رخغ فشذ وللشمس طمف وللعطارد نيص جزك وللمريخ لعراهط وللزهرة بوى

كسق وللقمر دحل وكذلك إبدال الصامتة أي المهملة بالناطقة أي المنقوطة والسعيدة أي المهملة والقاف والياء والنون لأنها من الحروف النورانية بالنحسية أي المنقوطة بثلاث واثنتين وبالممتزجة أي المنقوطة بنقطة والشرقية وهي النارية بالغربية ، وهي الهوائية والشمالية ، وهي المائية والجنوبية وهي الترابية بعضها ببعض وفي كلها بالعكس وهذا بحر لا ساحل له عثر العلماء على كثير من أسراره وكتموا كثيراً مما علموا والذي جهلوه أكثر وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً .

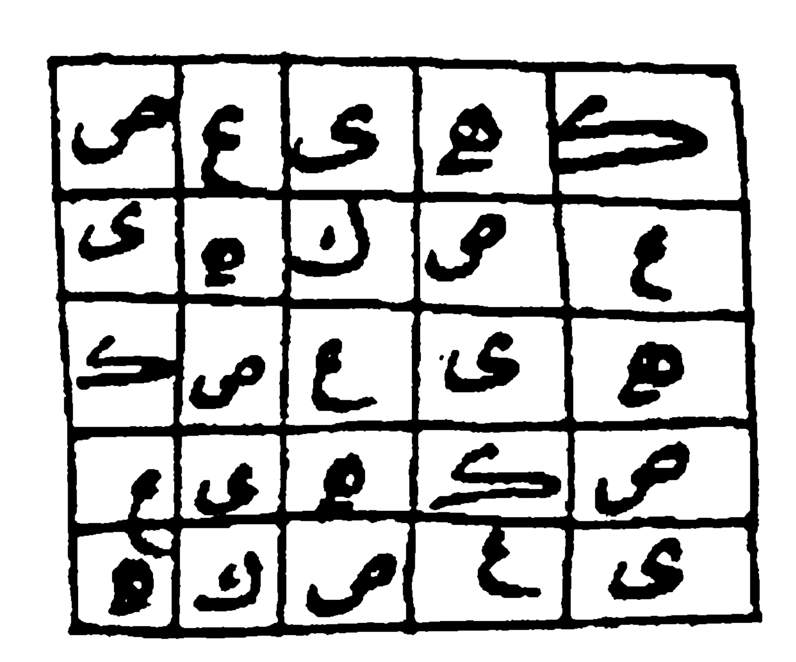
وأما التكسير فله طرق والغاية منه مزج حروف الطالب وحاجته والمطلوب منه لتحصل منه كلمات ، معنى كل كلمة هو الرابطة بين الطالب والمطلوب وحاجته المستلزمة لفعل الفاعل الغني وانفعال المحتاج بالحاجة واستغنائه بالغنى ، وهو التكسير وله ثلاث مراتب صغير وأوسط وكبير ، فالصغير أن تبسط حروف الاسم متفرقة ثم تأخذ آخر السطر وتضعه أول الثاني ، وأول السطر الأول ثاني الثاني وما قبل الآخر ثالث الثاني ، وهكذا ثم تعمل في الثالث من حروف الثاني كذلك مثاله :

وأما التكسير المتوسط أن تضع المربع بعدد حروف الاسم وتبسط حروفه في السطر الأول متفرقة وتضع الحرف الأول من السطر الأول في بيت فرسه من السطر الثاني ، ثم تمم السطر الثاني على الترتيب وتبتدىء في الثالث بأول السطر الثاني تضعه في بيت

فرسه من الثالث ، وهكذا حتى ينتهي العمل إن كان الاسم فرداً وإن كان زوجاً كان مرة واحدة في آخر السطر بسير الفرزان مثال الأول :



وهو المشي في التكسير المتوسط بسير الفرس الخاص في الفرد ، (**ومثال الثاني نسخة ٧**) :

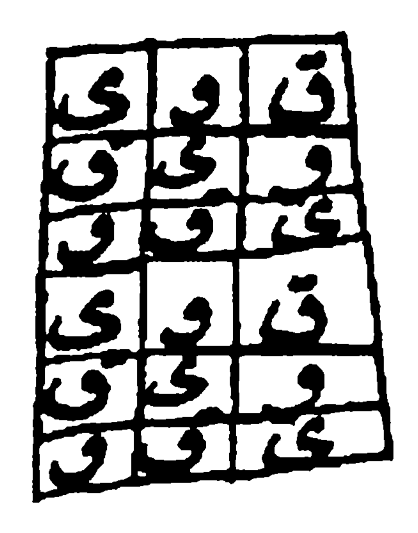


وأما التكسير الكبير فأن تضع حروف الاسم منفصلة في السطر الأول ، فإن كان ثلاثياً فتنقل الحرف الأول إلى أول السطر الثاني والثالث من الأول إلى الثاني من الثاني ، والثاني [الثاني منه] ، إلى الثالث من الثاني [الثالث] وهكذا وإن شئت وضعت الثاني

[الثالث] من الأول في أول الثاني والثالث في الثاني من الثاني والأول [الأول من الأول] في الثالث من الثاني وهكذا مثال الأول :

٤٥	٣٦	٤٧	٤٢
٥٠	٣٩	٤٤	٣٧
٤٠	٤٩	٣٨	٤٣
٣٥	٤٦	٣١	٤٩

ومثال الثاني :



فيكون من الاسم الثلاثي ستة أسماء وإن كان الاسم رباعياً كان منه أربعة وعشرون اسماً وإن كان خماسياً كان منه مئة وعشرون اسماً وهكذا ، والضابط أن تضرب عدد حروف الاسم في عدد الصور الحاصلة من الاسم الذي أقل منه بحرف فيحصل من الثنائي صورتان ومن الثلاثي مضروب [المضروب] الثلاثة في الاثنين فيكون ستة ومن الرباعي مضروب الأربعة في الستة ومن الخماسي

مضروب الخمسة في الأربعة والعشرين وهكذا ، وأما أسرار ذلك وخواصه فمذكور في كتب القوم من أرادها طلبها .

قال سلّمه الله تعالى : **الثالثة** ـ ما تفسير الحروف المقطعة في أوائل السور ، وما معنى الحروف الهجائيّة الأبجديّة من الألف إلى الياء .

الجواب : اعلم أن الحروف المقطعة في أوائل السور هي الحروف النورانيّة على اصطلاح علماء الجفر وهي أربعة عشر حرفاً يجمعها قوله : (**صراط على حق نمسكه**) ، وهي الحروف السعيدة وباقي الحروف سواها ظلمانية ومنحوسة [ظلمانية منحوسة] وفيها من كل نوع من الحروف نصفه فمن المهموسة خمسة الصاد والحاء والسين والسين والكاف والهاء والمهموسة عشرة ومن المجهورة نصفها تسعة ، (**ل ق ر ا ن م ط ى ع**) ، وكذلك الشديدة والقلقلة والمذلقة وسائر الصفات المذكورة في كتب أهل التجويد وهي أي الحروف النورانيّة المقطعة في أوائل السور أربعة عشر حرفاً ، بعدد منازل القمر الطالعة والظلمانيّة أربعة عشر عكسها بعدد المنازل الهابطة .

وإنما كانت أربعة عشر لأنها متضمنة للمبادىء الأربعة التي دار عليها الوجود الخلق والرزق والحياة والممات من فوارة النور واستواء الرحمٰن على العرش بإعطاء كل ذي حق بمسألته حقه من غير استحقاق من الخلق بشيء [لشيء] من مسألته وعطيته ، وإنّما وهبهم ما سألوه من نعمه فهو الوهاب الجواد والوهاب أربعة عشر والجواد أربعة عشر ويد المعبّر عنها بالنعمة وبالنقمة [بالقدرة وبالنعمة] ، أربعة عشر فظهر هنا [هذا] العدد الشريف في هذه

الحروف الشريفة لكونها قريبة لقصبة الياقوت وأبواباً للملك والملكوت والجبروت وسراً مقنعاً بالسر من اللاهوت ، واعلم أن الحروف في أصل خلقها لم يكن لها معنى إلا أنفسها ولذلك صدر كل حرف في اسمه ليسهل فهمه ولاتحاد الاسم والمسمى في الجنسية والنوعية إلا الهمزة صدرت بالهاء لقربها منها وللفرق بينها وبين الألف اللينية ولأن الهاء مجاز الألف المتحركة ، والمتحركة مجاز اللينية والمراد بالمجاز الطريق في تولد الحرف عند القرع أو القلع أو الضغط من النفس بفتح الفاء الذي هو مظهر النفس بسكون الفاء ، وهو أي النفس المعبّر عنه بالألف اللينية السارية في الحروف بالقيومية وهي الألف الأولى ، وأما الألف اللينية الثانية التي هي من الحروف السبعة [التسعة] والعشرين الظاهرة في مثل قال وقائل فهي أعلى وجوه الأولى ومظاهرها ، وأما الواو والياء إذا كانتا لينتين لحقتا بهذه عند الخلوص من شرك المخرج وامتزجتا بها وتمتزج هي بتلك معها [معهما] لأن هذه لا تمسها حركة لأن الحركة كثرة وللواو الياء حالتان ففي حالة اللين تنمحق إنيتهما في هذه وتنمحق هي بما فيها في الأولى فافهم ضرب المثل .

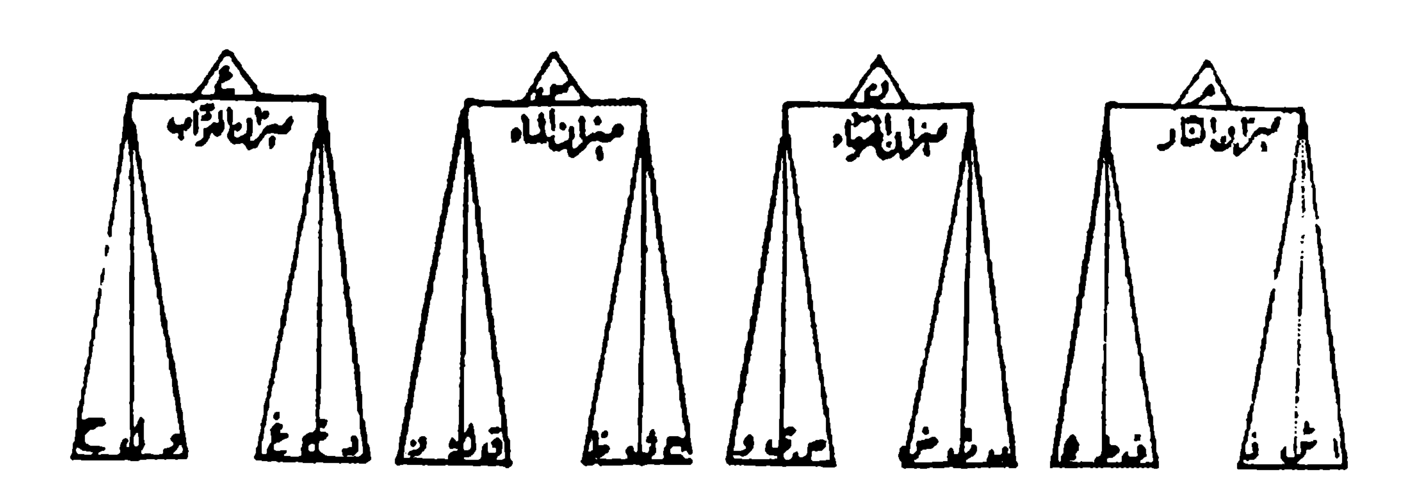
قال الله تعالى : ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ (**وما يعقلها إلا العالمون**) ، وأما معناها فعلى أنحاء كثيرة منها اعلم أن الحروف على ثلاثة أقسام ملفوظ ومكتوب ومسرود فالأول منها ما كان اسمه ثلاثة أحرف وكان ثالثها هو أولها مثل ميم ونون وواو والثاني ما كان اسمه ثلاثة مختلفة يعني ليست معطوفة الأعجاز على الصدور والثالث ما كان اسمه حرفين فالأول ميم نون فالحرف الأول ، في أول سورة والثاني في آخر سورة إشارة إلى الأول

والآخر ، فالأولى سورة البقرة الصفراء والثانية سورة نون بهموت فأشير بهما إلى حامل العالم العلوي وحامل العالم السفلي يعني الغيب والشهادة مجموعهما من إشارة إلى أن كل شيء من فيضه لأنهما حرف صاد وهو البحر الذي تحت العرش حين قال له : **(ادن من صاد)** وهو مداد القلم وكان ذلك حرفين ليتم بدء الخلق بالإثنينية ، ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، والثاني الذي هو المكتوب سبعة ، ألف لام صاد كاف عين سين قاف فأشير بالسبعة إلى طواف الأسبوع لكمال الصنع والمصنوع وهي أحد وعشرون حرفاً بعدد حروف الفاتحة بعد حذف المتكرر إشعاراً بتضمن السر ولظهور صفة الكمال في الثلاثة العوالم لأن كل واحد من هذه السبعة الأحرف جبروت وملكوت وملك فدارت الأصول عليها وتناهت إليها ونسب إلى كل واحد منها واحد من السيارة ويوم من الاسبوع والثالث وهو المسرود منها خمسة را ، ها ، يا ، طا ، حا إشارة إلى الهاء وهي أقل الأسماء وأظهر الإشارات وأخفاها إذ ليس بعد حذف الإشارة إلا المسمى وإنّما قلنا أقل الأسماء لأن الهاء تثبيت الثابت بعد محو الموهوم .

وآخره مدلول الهاء من حيث وقوعها عليه والمستدل بها من حيث وقوعها منه ويشار بها إلى الغيب والشهادة وهذه الخمسة كل منها مثنى غيب لغيب وشهادة لشهادة فالخمسة للهاء وهي الليلة المباركة فإذا أشبعت ظهرت مع التسعة والتسعين بعدد الاسم الأعظم فهي في المخرج أول وباطن وابنها المتولد منها آخر وظاهر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن فالهاء في عالم الأمر تشهد بالبقاء وابنها بالسرمد وهي في عالم الجبروت والملكوت تشهد

بالثبات وابنها بالدهر وفي الملك تشهد هي بالمكان وابنها بالزمان فالملفوظ يشهد بالاثنينية في الإبداع والمكتوب يشهد بالكمال في المخترع والاختراع والمسرود يشهد بوضع الدلالات وتبيين الآيات .

ثم اعلم أن الملفوظ حرف منه يوزن به النار والثاني يوزن به الهواء والمكتوب منه سين يوزن به الماء والعين يوزن به التراب والباقي منها موزون فالألف في الأولى من الكفة اليمنى من ميزان النار واللام في الثانية من الكفة اليسرى من ميزان التراب والصاد في الثالثة من الكفة اليسرى من ميزان الهواء والكاف في الثانية من الكفة اليسرى من ميزان الماء والفاء في الثالثة من الكفة اليسرى من ميزان النار و[وأما] المسرود فكله موزون فالراء في الثلاثة من الكفة اليسرى من ميزان التراب والهاء في الأولى من الكفة اليسرى من ميزان النار والياء في الثانية من الكفة اليسرى من ميزان الهواء والطاء في الثانية من الكفة اليسرى من ميزان النار والحاء في الأولى من الكفة اليسرى من ميزان التراب وصفة الموازين والوزن هكذا :



وأما مقدار كل حرف في الوزن من طبيعته التي أودع إياها من الطبائع الأربع ، فهذا الشكل متضمن ذلك فاستبن منه مطلوبك فأنت [فإنك] إذا عرفت المقدار تمكنت من التقدير في معالجات الأعمال وتكميل الناقص ومعالجة مرضى الإنسان والنبات والمعدن ، وكل عقار طبيعته على نظم حروف اسمه العربية كما قلنا وهو هذا :

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٢ درج	١٠ ـ ـ ـ	المراتب	١	ب	ج	د	١٠	ى	٥٥٨٩ـــــ	٣٠ درجة
٢ دقائق	١٠٠٠٠٠	الدرج	ه	و	ز	ح	٢٦	كو	١٨٦٢٠٠٠٠٠	٣٠ دقيقة
١٠ ثوان	١٠٠٠٠	الدقائق	ط	ى	ك	ل	٦٩	سط	٦٢١٠٠٠٠٠	٣٠ ثانية
١٠ ثوالث	١٠٠٠	الثواني	م	ن	س	ع	٢٢٠	ركـ	٢٢٠٠٠	٣٠ ثالثة
٢ روابع	١٠٠	الثوالث	ف	ص	ق	ر	٤٧٠	تع	٩٠٠	٣٠ رابعة
٢ خوامس	١٠	الروابع	ش	ت	ث	خ	١٨٠٠	غض	٣٠	٣٠ خامسة
	١	الخوامس	ذ	ض	ظ	غ	٣٤٠٠	ضظغ		١
			١٢/٥	وطا	١٣٩	١٩٢				

وإذا أردت معرفة حرف [حروف] منازل القمر من هذه فتعرف الحروف النورانية وما يخصها من المنازل ، لأن الحروف النورانية هي الحروف الروحية والحروف الظلمانية هي الحروف الجسمانية فهذا الشكل متكفل به على ترتيب المشارقة واليونان والفلكيين في الحروف المفردة لأنها هي التي جرى عليها النظام في السلسلة

النزوليّة ولهذا اعتمدتها دون غيرها وإن كان له أثر وهو هذا الشكل :

ناريّة	ا	هـ	ط	م	ف	ش	ذ
هوائية	ب	و	ي	ن	ص	ت	ض
مائية	ج	ز	ك	س	ق	ث	ظ
ترابية	د	ح	ل	ع	ر	خ	غ

المنازل الناريّة	المنازل الهوائية	المنازل المائية	المنازل الترابية
النطح ا	العقرب ب	النزع ج	الثريا د
البطين هـ	المنصرو	الفرد ز	الدبران ح
الجبهة ط	الشولة ي	الهنعة ك	العواء ل
الزبرة م	الغفر ن	الشولة س	السماك ع
الصرفة ف	الزبانى ص	[illegible] ق	الد ر
النعائم ش	الإكليل ت	مؤخرة ث	البلع خ
البلدة ذ	الأخبية ض	سهاء ظ	الترغ غ

فالحروف النورانيّة أربعة نارية ، (ا هـ ط م) ، وثلاثة مائية ، (ك س ق) ، وأربعة ترابية (ح ل ع ر) فالأول في الخلق والثاني في الحياة والثالث في الرزق والرابع في الممات ، ومن ذلك ظهورها في أوائل الأسماء الحسنى فيشار بكل حرف إلى ما يظهر فيه وذلك في فواتح السور وغيرها فالألف الاسم منه الله من حيث ظاهره ومن حيث باطنه كافي وهو غيب لا يدرك ومحيط يُملك ولا يملك ، والباء ظاهر تسبيب وحكمة ترتيب والاسم منه من حيث باطنه جامع ومن حيث ظاهره بديع والجيم جلال وجمال وجمع وإجمال والاسم منه من حيث ظاهره جليل ومن حيث باطنه موجد والدال الاسم منه الدائم وهكذا إلى آخر الحروف .

ومن ذلك ما رواه في التوحيد والعيون عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال : (**إن أول ما خلق الله ليعرف به خلقه الكتابة حروف المعجم وإن الرجل إذا ضرب على رأسه بعصا فزعم أنه لا يفصح بعض الكلام فالحكم فيه أن يعرض عليه حروف المعجم ثم يعطي الدية بقدر ما لم يفصح منها ولقد حدثني أبي عن أبيه عن جدّه عن أمير المؤمنين عليه السلام ، في ا ب ت ث قال الألف آلاء الله والباء بهجة الله والتاء تمام الأمر بقائم آل محمد عليهم السلام والثاء ثواب المؤمنين على أعمالهم الصالحة ، ج ح خ فالجيم جمال الله وجلاله والحاء حلم الله عن المذنبين والخاء خمول ذكر أهل المعاصي عند الله ، د ذ فالدال دين الله والذال من ذي الجلال ، ر ز فالراء من الرؤوف الرحيم والزاي زلازل القيامة ، س ش فالسين سناء الله والشين شاء الله ما شاء وأراد ما أراد وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ، ص ض فالصاد من صادق الوعد في حمل الناس على الصراط وحبس الظالمين عند المرصاد والضاد ضلّ من خالف محمداً وآل محمد صلّى الله على محمد وآله ، ط ظ فالطاء طوبى للمؤمنين وحسن مآب والظاء ظن المؤمنين بالله خيراً وظن الكافرين به تعالى سوء ، ع غ فالعين من العالم والغين من الغنى ، ف ق فالفاء فوج من أفواج النار والقاف قرآن على الله جمعه وقرآنه ، ك ل فالكاف من الكافي واللام لعن الكافرين في افترائهم على الله الكذب ، م ن فالميم ملك الله يوم لا مالك غيره ويقول عزّ وجلّ لمن الملك اليوم ثم تنطق أرواح أنبيائه ورسله وحججه فيقولون لله الواحد القهار فيقول جلّ جلاله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب**

والنون نوال الله للمؤمنين ونكاله للكافرين ، وهـ فالواو ويل لمن عصى الله والهاء هان على الله من عصاه لأي فلاح ألف لا إله إلا الله وهي كلمة الإخلاص ما من عبد قالها مخلصاً إلا وجبت له الجنة والياء يد الله فوق خلقه باسطة في الرزق [بالرزق] سبحانه وتعالى عما يشركون) .

وفي التوحيد والخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : **(سأل عثمان بن عفان رسول الله صلّى الله عليه وآله عن تفسير أبجد فقال صلى الله عليه وآله : تعلموا تفسير أبجد فإن فيه الأعاجيب كلها ويل لعالم جهل تفسيره فقيل : يا رسول الله ما تفسير أبجد ؟ قال صلى الله عليه وآله : أما الألف فآلاء الله حرف من أسمائه وأما الباء فبهجة الله ، وأما الجيم فجنة الله وجمال الله وجلال الدين [جلال الله] ، وأما الدال فدين الله ، وأما هوز فالهاء الهاوية ويل لمن هوى من النار ، وأما الواو فويل لأهل النار ، وأما الزاي فزاوية في النار فنعوذ بالله مما في الزاوية يعني زوايا جهنم ، وأما حطي فالحاء حطوط الخطايا عن المستغفرين في ليلة القدر وما نزل به جبرئيل مع الملائكة إلى مطلع الفجر ، وأمّا الطاء فطوبى لهم وحسن مآب وهي شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه ، وأن أغصانها ترى من [لترى من رواء] سور الجنّة تنبت بالحلى والحلل والثمار متدلية على أفواههم ، وأما الياء فيد الله فوق خلقه : سبحان الله عما يشركون ، وأما كلمن فالكاف كلام الله لا تبديل لكلمات الله ولن تجد من دونه ملتحداً ، وأما اللام فإلمام أهل الجنّة بينهم في الزيارة والتحية والسلام وتلاوم أهل النار فيما بينهم ، وأما الميم فملك الله الذي لا يزول ودوام الله الذي لا يفنى ، وأما النون فنون والقلم وما يسطرون**

فالقلم قلم من نور [النور] وكتاب من نور [النور] في لوح محفوظ يشهده المقربون وكفى بالله شهيداً ، وأما سعفص فالصاد صاع بصاع وفص بفص يعني الجزاء بالجزاء كما تدين تدان إن الله لا يريد ظلماً للعباد ، وأما قرشت يعني قرشهم فحشرهم ونشرهم إلى يوم القيامة وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون) انتهى .

وغير ذلك من المعاني المنسوبة إليها كدلالتها بصفاتها من الهمس والجهر والشدة والرخاء [الرخاوة] وغيرها على مثل ذلك في مسمياتها على الأصح خلافاً للمشهور .

تذنيب : اعلم أن الحروف تدل بطبائعها وتأثراتها [تأثيراتها] على آثار وأفاعيل على حسب طبائعها كما أشير إلى بعض ذلك سابقاً ، كل حرف يعطي ما أودع فيه من الطبيعة على حسب قربه منها وبعده ، وإذا كان في نقشه مركب من حرفين كان له فعل بنفسه وفعل بتلك الجهتين كاللام مثلاً ، فإن لها من الطبيعة الترابية دقيقة فتعمل كذلك وهي مركبة من نون وألف والنون لها ثانية من الهوائية والألف لها رتبة [مرتبة] من النارية فتعمل اللام بتلك الطبيعتين فعلاً وعملاً خاصاً ومثال ذلك **ل** وهكذا سائر الحروف إلا الحرف الأول وهو الألف فإنه بسيط في فعله بالنسبة إلى ما دونه ، وأما بالنسبة إلى ما فوقه فإنه مركب من النقطة وجوداً ولفظاً ونقشاً فهو أعمها [أعمها عملاً] وأعظمها وأخصها وأكرمها .

قال سلّمه الله تعالى : وما أحسن الأوراد وأكمل الذكر وأعلى الأفعال وطريق تزكية النفس على سبيل الاختصار والوصول إلى طريق أهل الحق .

أقول : هذه الأربع المسائل أخص [أخضر ، أخصر] الجواب

عنها وأبسطه أن هذه مذكورة في كتب الأصحاب شكر الله سعيهم في الأدعية وكتب الأخلاق وكتب الشريعة ولم يوجد شيء جل أو قل بطن أو علن إلا وأهل البيت عليهم السلام قد عثروا عليه ، فأحسن الأوراد ما ذكروا وأكمل الذكر ما أوردوا وأعلى الأفعال ما ذكروا وأوضح طريق تزكية النفس ما فعلوا وأمروا به وواصلوا .

وأمّا المسألة الخامسة وهي الوصول إلى طريق أهل الحق فاعلم أنك بعد ما فهمك الله الدين وألهمك اليقين وعرّفك القرآن المبين وأطلعك على سنّة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله أجمعين لن تعدم التحري لذلك والولوج في تلك المسالك ما دمت ملاحظاً لما أشير إليه وهو أنك بعد أن حصل لك العقل المكتسب تفهم بجودة الذكاء والفطنة في معاني الكتاب والسنّة وفي معاني نفسك ، فإنها آيات الله وفي العالم كذلك قال الله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ وتجعل هذه الأربعة متطابقة ما اتفق لك فذلك وما اختلف عليك فإنه من المتشابه الذي يجب الإيمان به وهو في الأربعة والحكم فيه الرد إلى المحكم منها من غير أن ترد شيئاً من المتشابه إلى قاعدة من علم لم يكن مستندها من هذه الأربعة ولا إلى شيء من عادات النفس وأحوالها ولا تعصب لطريق ثبتت [ثبت] عليه النفس ، ولا غير ذلك بل بمحض التخليص والتخلص واستعن بأهل ذلك إن وجدتهم فإن الله من كرمه لا يُخلي أرضه منهم وبهم قوامها ومد طرفك وارفع يدك إلى من لا يخيب سائله ولا ينفد نائله وحينئذ تعنى بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا ﴾ بالنظر في هذه الأربعة والعمل بموجبها ، ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ سبيل الراحة في الدنيا وسلامة الغيب من الشك

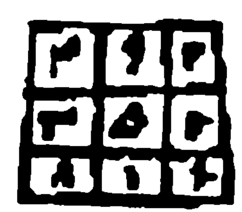
والريب وسبيل ، (**التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله**) ، وسبيل العلم كما أشار إليه الصادق عليه السلام كما رواه الديلمي في أعلام الدين (**ما من عبد أحبنا وزاد في حبنا وأخلص في معرفتنا وسأل مسألة إلا نفثنا في روعه جواباً لتلك المسألة**) انتهى .

وسبيل محبة الله (**كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به**) الحديث ، وسبيل العلم بالله وذلك يوجب خوف مقام ربّه ويتبصّر بعيوب نفسه حتى يشتغل بها عن الناس ولا يعتمد على عمل ويخاف في الطاعة كما يخاف في المعصية وسبيل الفضل والرجاء في الله حتى يشتد طلبه ويعظم أمله في ربّه ويرجو في معصيته كما يرجو في طاعته وسبيل معرفته في المراتب السبع توحيده ومعرفة معانيه وأبوابه ومعرفة الإمام عليه السلام وأركانه والنقباء والنجباء وبذلك تمام الأمر وهو السر في جميع السبل وإلاّ فقد نهى عن السبل وحثّ على السبيل الواحد قال تعالى : ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ** ﴾ فاشرب عذباً صافياً فإن لكل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً .

قال سلّمه الله تعالى : ومعرفة روحانية الأسماء من الملأ الأعلى وخدامها .

اعلم أن معرفة استخراج روحانية الأسماء لها طرق كثيرة ، باعتبار اختلاف تكسير الاسم وبسطه المركب أو البسيط ، وحذف المتكرر بعد العمل وإسقاط الزمام العائد من الوفق الحرفي أو عدم حذف المتكرر وباستنطاق الزوايا والمركز والضلع والمساحة وغير

ذلك ، أو غير ذلك من الوجوه مما يطول فيها الكلام ويخرج بنا عن المرام ولنمثل بمثال استخراج الأرواح من المثلث العددي لخفته وأوليته في الأوفاق الاسمية فنقول : إذا أردت استخراج الملائكة من الاسم الموضوع إعداده في المثلث مثلاً فاعرف أولاً المفتاح وهو في المثلث كما ترى :



وهو أي المفتاح ١ وهو في البيت الثاني من السطر الثالث والمغلاق وهو التسعة والعدل وهو مجموع المغلاق والمفتاح أعني ١٠ والوفق وهو عدد ضلعه ١٥ ومساحته وهو ٤٥ ، والضابط وهو مجموع عدد الضلع والمساحة وهو ٦٠ والغاية وهو ضعف الضلع والمساحة وهو ١٢٠ والأصل وهو حاصل ضرب غايته في مغلاقه وهو في هذا المثال ١٠٨٠ فهو أصل المثلث وهو الأصل الكلي الذي تحمل عليه بقية المراتب السبعة فتطرح منه عدد الملحق العلوي أو السفلي ويستنطق ويضاف إليه ذلك الملحق فيكون منه الملك أو الشيطان فإذا وعيت هذه المراتب الثمانية ، وأردت أن تستخرج الملائكة أو الأعوان الشيطانيّة فتحمل المفتاح وهو واحد على أصله الكلي وهو ألف وثمانون كما ذكرنا فيكون المجتمع ١٠٨١ ، فاطرح منه الملحق العلوي وهو على الأكثر أحد وخمسون وقيل أحد وأربعون وقيل أحد وثلاثون وصورته على أربعة وجوه قيل إيل وقيل يال وقيل ال وقيل ايبل وهو الذي تمثل به والملحق السفلي قيل طيش وهو الذي تمثل به وقيل طش وقيل طاش فإذا

أسقطت من ١٠٨١ أحداً وخمسين بقي ثلاثون وألف فإذا استنطقته كان غل ، فإذا أضيف إليه الملحق كان اسم الملك الأول وهو غلائيل ، وإذا أطرحت من ١٠٨١ عدد الملحق ، والسفلي وهو ٣١٩ بقي ٧٦٢، فإذا استنطقته كان ذسب فإذا أضفت إليه الملحق السفلي كان اسم الشيطان الأول وهو ذسبطيش ، وهو خادم ذلك الملك على السفليات وإن حمل مغلاقه على أصله الكلي وهو ١٠٨٠ كان ١٠٨٩، فإذا أسقطت منه الملحق العلوي [العلوي ٥١] ، واستنطقت الباقي غلح ومع الملحق غلحائيل وهو الملك الثاني ، وإذا أسقط [أسقطت] منه الملحق السفلي بقي ٧١٩ [٧٧٠] وهو ذيط [ذع] ومع الملحق السفلي ذيططيش [ذعطيش] وهو خادم غلحائيل وإن حمل عدله [عدله ١٠] على أصله الأصلي كان الجميع . ١٠٩٠

وبعد إسقاط عدد الملحق العلوي وإلحاقه به غلطائيل وهو الملك الثالث وبعد إسقاط عدد السفلي [السفلي ٣١٩ بقي] ٧٧١ واستنطاقه وإلحاقه [إلحاقه به] ذعاطيش وهو الاسم الشيطاني [الشيطاني الثالث] خادم الملك الثالث وإذا حمل وفقه ١٥ على أصله ١٠٨٠ كان ١٠٩٥ وبعد الإسقاط والاستنطاق والإلحاق غمدائيل وهو الملك الرابع وبعد إسقاط عدد السفلي والاستنطاق والإلحاق ذعوطيش وهو الخادم الرابع للملك الرابع ، وإذا حملت مساحته ٤٥ على أصله ١٠٨٠ كان بعد الإسقاط والاستنطاق والإلحاق غفدائيل [غعدائيل] وهو الملك الخامس وإذا طرح عدد السفلي [السفلي ١٣١٩] ، كان بعد الاستنطاق والإلحاق ضوطيش وهو الخادم الشيطاني الخامس للملك الخامس وإذا حمل ضابطه

[ضابطه وهو ٦٠] على أصله كان بعد الإسقاط والاستنطاق والإلحاق غفطائيل وهو الملك السادس وإذا طرح منه عدد السفلي [السفلي ٣١٩] كان بعد الاستنطاق والإلحاق ضكاطيش وهو الشيطاني السادس خادم الملك السادس وإن حمل غايته ١٢٠ على أصله ١٠٨٠، كان [كان ١٢٠٠] بعد إسقاط العلوي والاستنطاق والإلحاق غقمطائيل وهو الملك السابع الحاكم على الستة السابقة وإذا أسقط [أسقط السفلي] كان بعد الاستنطاق والإلحاق ضفاطيش وهو العون الشيطاني الحاكم على الستة الأعوان السابقة وهو خادم غقمطائيل وبهذين تقسم على السابقين وتزجرهم فافهم الرموز ، وكن بها ضنيناً فإنها من الأسرار الغامضة واعلم أنها الكبريت الأحمر لسرعة تأثيرها وبهذه الطريقة تستخرج أرواح جميع الأوفاق العددية ثم اعلم أن الاستقصاء على الوجوه من العددية والحرفية المفردة والمركبة يطول به المقال والفائدة من هذا المثال وهو يحصل بهذا وعليه نقتصر .

قال سلّمه الله تعالى : وكذلك المعادن والسيارات كل في وضعه لينتج لنا مقابلة العالم الكبير بالعالم الصغير بالصناعة .

أقول : أما الإشارة إلى المعادن والسيارات من حيث ذواتهما فقد مضت فيه إشارات إليهما فراجعها . وأما السيارة والمعادن من حيث التأثير والمقابلة فالذهب بالشمس والفضة بالقمر والزئبق بعطارد والحديد بالمريخ والنحاس بالزهرة والقصدير بالمشتري والأسرب بزحل فطبيعة النجم كطبيعة معدنه في الصناعة كما يظهر ، إلا أن أهل الصناعة حكموا على أن المريخ بارد رطب وأهل النجوم عندهم حار يابس وأما الحديد ففي ظاهره لأنه [فإنه] ذهب

وباطنه فضة وإنما حكموا على المريخ بأنه حار يابس لظاهر فعله وللونه ولذا كان ظاهر الحديد ذهباً وإنما حكم أهل الصناعة [بأنه] بارد رطب لباطنه لأنه فضة كالحديد في باطنه وروي أنه بارد رطب سعد وأنه نجم أمير المؤمنين عليه السلام ، فيتطابق مراد أهل الصناعة وأهل النجوم وأهل الشرع ، قال الله تعالى : ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ وكذا روي في زحل وأنه نجم أمير المؤمنين عليه السلام فحكم أهل الطبع على الظاهر وأهل الشرع على الباطن .

وأما الصناعة فاعلم أنها فريقان ، محقون ومبطلون لأن كل عمل وكل شيء تجده ففيه حق وباطل ومن سلك في تدبير [التدبير] ما ظهر أبطل لقوله تعالى : ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ وأما المحقون فدخلوا باطنه وفيه الرحمة ثم اعلم أنهم جعلوا فلك الزحل من الأرض الأولى ولذا قال الرضا عليه السلام ، (**ما بعث الله نبياً إلا وهو صاحب مرة سوداء صافية**) انتهى .

والمراد بذلك إكليل الغلبة بعد التطهير والتصعيد وأمروا بنفي الفلك السادس لأنه غريب ولا يريدون الأجنبي ولذا قالوا يعني الفلاسفة العرب لا تتحملِ نقل الجبال ولا حمل الصخور واعلم أنك تأخذ الفلكين معاً إلا أن أحدهما صالح وهو السابع ، والسادس طالح ولذا أشار ابن أرفع رأس إلى ذلك في روضته حيث قال :

فخذه ففيه النار والبحر والثرى

ومزن الحيا والنافحات اللواقح

ففرقه تفصيلاً إلى اثنين صالح
فلا خلف بين اثنين فيه وطالح

فأخبر أن السادس طالح وقال أيضاً :

لهرمس أرض تنبت العز والغنى
إذا ما انتفى عنها غريب الحشائش

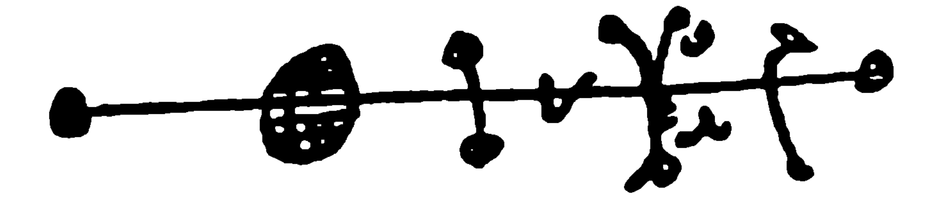
وبالجملة فإذا فصلت الحجر كما مر واستخرجت زحل والمشتري وأزلت المشتري عن زحل ثم صعدته كان هو الأرض الأولى ثم تعمد إلى المريخ وما تحته وتستخرج منه الزهرة ثم تستخرج عطارد ثم تستخرج الشمس في الزهرة وتغسل الأرض الجديدة بعطارد حتى تكون أرضاً مقدسة وهو أرض الحياة التي يدور عليها فلك القمر وصعدها كالأولى واجعلها بيتاً لتزويج الزيبقين وأرضاً لغرس الغصنين ليثمرا بالياقوت واللجين .

قال سلّمه الله تعالى : الرابعة ـ ما الشجرة في القرآن المجيد في قوله تعالى : ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ والشجرة التي [التي هي في الوادي المقدس والشجرة التي] تخرج من طور سيناء والشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة والشجرة الملعونة .

أقول : إن الشجرة المباركة هي الشجرة الزيتونة [شجرة الزيتون] بارك فيها سبعون نبياً منهم إبراهيم الخليل عليه السلام فهي كثيرة البركة يؤتدم بدهنها لقوله تعالى : ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ ويسرج به ويوقد بحطبها ويغسل الإبريسم برماده وهي أول شجرة نبتت بعد الطوفان لا شرقية ولا غربية من [أي في] الشام بين المشرق والمغرب أو لا يفيء عليها ظل شرق ولا غرب بل هي في

سواء الجبل ، وروى جابر بن عبد الله الأنصاري في حديث طويل : (**إنها شجرة [إن الشجرة] محمد بن علي الباقر عليهما السلام ومباركة زيتونة جعفر بن محمد عليهما السلام**) ، وفي رواية طلحة بن زيد عن جعفر بن محمد عليهما السلام (**الشجرة المؤمن**) والشجرة المباركة هي إبراهيم عليه السلام والشجرة المباركة هي محمد صلى الله عليه وآله والشجرة المباركة هي مجمع البحرين الوجوب والإمكان أي الظاهر في ظهوره ، وهي الشجرة الكلية تبارك الله الرحمٰن استوى برحمانيته على عرشه ، عرش النور لسلطان الربوبية ، فأعطى كل ذي حق حقه وأجرى لكل مربوب رزقه والشجرة التي في الواد المقدس والشجرة تخرج من طور سيناء هي الأرض [الأولى] وسبق فيها الكلام والوادي المقدس النفس المطمئنة ، والطور الجسد المطيع الصابر ، الوادي المقدس القلب السليم ، والطور هو العقل المستقيم .

ويقال للشجرة النابتة في الطور الحيواني الناطق وهو [هي] هيولى الإنسان الكريم تنبت في الربيع وهي الشجرة التي استعملها بلصيال ويقال لها حشيشة بلصيال بن جور [حور] الذي عمل قبة الزمان وقد نقل بعض العلماء في كتابه أن الملك الرب ظهر لبلصيال بن جور [حور] قال له : الحقني فأخذه إلى موضع محط الثلج والبرد الشديد فأراه هذه الحشيشة . واعلم أيها الأخ السعيد أنها تنبت في برج الأسد وفي برج القوس فقال له خذ هذه الحشيشة وهي هذه .



(شكل نسخه متن)

(شكل نسخه بدل)

وحطها في قنينة ألفاً ومئة يوم كل يوم يكتب هذا الاسم باليوناني وترميه بالقنينة وهو هذا .

(شكل نسخه متن)

(شكل نسخه بدل)

وبعد ذلك زن الذي في القنينة وكل وزن درهمين له أوقية زئبق ، وحط الزئبق في قدر على نار لينة والقِ عليه من الحشيشة فإنه ينبت على الرياص ذهب فحل ابريز وبالله عليك لا تنسى الفقراء والمساكين هذا ما قال لبلصيال وصفة هذه الحشيشة لونها أخضر أصفر إن شربتها تجده صفة الكمأة وإن شربتها قدر ذراع أو أقل في الأرض تنبت في السنّة في طريقين في برج الأسد وفي برج القوس

مع الأحواج ، وفيها منافع كثيرة والحمد لله وحده وصلواته على نبيّه صلى الله عليه وآله انتهى .

أقول ولذلك قال تعالى : ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴾ لأن فيها الماء الأول ذو الوجهين والماء الأبيض البراق ماء البئر المصري والصبغ الكوشي [الكرشي] والأرض الزحلية والجسد الجديد هذا (**يق**) في الجملة للشجرات الثلاث .

وأما الشجرة الطيبة فروى أبو حمزة الثمالي أنه سأل الباقر عليه السلام [السلم عن] قوله : (**كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء**) فقال عليه السلام : (**قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا أصلها وعليّ فرعها والأئمة أغصانها وعلمنا ثمرها وشيعتنا ورقها ، يا أبا حمزة إن الولد ليولد من شيعتنا فتورق ورقة فيها ويموت فتسقط منها ورقة . وقال رجل آخر : جعلت فداك تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها . قال : ما يفتي الأئمة شيعتهم من الحلال والحرام**) ، وعن ابن عباس هي شجرة في الجنّة .

وقيل : هي كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة أو كلمة التوحيد أو هي بمعنى الأولى عند الحكيم أو هي المؤمن أو هي شجرة الخلد أو هي شجرة المزن وهي شجرة تحت العرش تقطر على البقل والثمر والنبات فما أكلها مؤمن أو كافر إلا وخرج من صلبه مؤمن وفي صحيح الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (**النطفة تقع بين السماء والأرض على النبات والثمر والشجر فيأكل الناس منه والبهائم فتجري فيهم**) ، وفي الكافي عن أبي إسماعيل الصيقل الرازي عن أبي عبد الله عليه السلام ، (**إن في الجنّة لشجرة تسمى المزن فإذا أراد [أراد الله] أن يخلق مؤمناً أقطر منها قطرة**

فلا تصيب بقلة ولا ثمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلا أخرج الله تعالى من صلبه مؤمناً) انتهى .

وإذا قطرت منها قطرة خرقت السماوات إلى أن تسقط إلى الأرض وذلك أن جميع ما [من] في الأرض منه سأل أهل الإجابة وهي الأفلاك التسعة فإذا أجاب الأطلس جرى بسائر المجيبات فله التقدير وله التسخير فكل من التسعة يمده بقبضة من جسده عن طبيعة جسده وفيها شعلة من روحه في تلك القبضة مستجنة فيها استجنان بسيط في بسيط والمحدد يسخرها في تقديرها ، قال الشاعر :

انظر إلى العرش على مائهِ
سفينة تجري بأسمائهِ
واعجب له من مركب دائر
قد أودع الخلق بأحشائهِ
يسبّح في لجّ بلا ساحل
في جندل الغيب وظلمائهِ
وموجه أحوال عشاقه
وريحه أنفاس أنبائهِ
فلو تريه بالورى سائراً
من ألف الخط إلى يائهِ
ويرجع العود على بدئه
ولا نهايات لإبدائهِ

يكوِّر الليل على صبحه
وصبحه يفنى بإمسائهِ

ثم إن حركات الجوزهرات والممثلات والمديرات والخوارج والتداوير في إسراعها ورجوعها وإقامتها واستقامتها اختياريها وقسريها تدور على أربع حركات عن أربعة أسماء وهي الله الرحمٰن الباعث والباطن وهي أركان الاسم هو اسم الذات وهو الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر وهو الاسم الذي لا يقع عليه اسم ولا صفة وقطر هذه الشجرة كل قطرة من ورقه ، وأوراقها قائمة بأغصانها وعدد أغصانها ستمائة وعشرون ألف ألف ألف ألف ألف ألف غصن وأربعمائة وثمانية وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ، غصن وواحد وأربعمائة ألف ألف ألف ألف ألف ، غصن وسبعمائة وسبعة وعشرون ألف ألف ألف ألف غصن وسبعمائة وتسعة عشر ألف ألف ألف غصن وأربعمائة وتسعة وثلاثون ألف ألف غصن وثلاثمائة وستون ألف غصن فالأول سبعة عقود والثاني ستة عقود والثالث خمسة عقود والرابع أربعة عقود والخامس ثلاثة عقود والسادس عقدان والسابع عقد فهذا عدد الأغصان الكلية وفي كل غصن أغصان جزئيّة بالنسبة إلى الكلية وإلا فهي كلية بالنسبة إلى ما فيها من الأغصان الصغار والأغصان الصغار جزئية بالنسبة إليها ، وكلية بالنسبة إلى الأوراق .

وأما عدد أوراقها أعني كم فيها من ورقة لا تصلح لغير واحد ولا تقطر منها إلا قطرة واحدة ، فبأن تقترن إلى كل غصن كلي وإلى كل غصن جزئي فيه وإلى كل ورقة لا تصلح لقطرتين ، عدد نجوم السماء في كل رتبة مما مضى وما يأتي وإلى ما بين كل شيئين

حتى ينتهي كل قران ونسبة بين كل نجم وكل غصن كلي أو جزئي ، من أفراد الكلي في كل الأفراد مجموعة ومتفرقة وهذا لا يدخل في علم ما في الوجود المقيّد ، وذلك مما تفرّد به العليم الخبير ، ولهذا انسد باب الغيب عما في الوجود المقيّد ، مما حواه الوجود المطلق والمشيّة مما تفور به فوارة القدر والبدء من آثار ذلك الاسم الذي هو صبح الأزل وهذه الشجرة هي صورة للشجرة الكليّة المباركة .

وفي مقابلة هذه الشجرة التي هي (**شجرة المزن شجرة**) ﴿ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ ، تنبت في سجين طينة خبال أرض الجحيم أصلها الأعلى قرار وأول نبات ورقها تحت الثرى التي [الذي] لا يعلمه إلا الله وتتم تلك الأوراق في الثرى فيتصلصل قطرها في الطمطام ويتصاعد كالأبخرة من بين معترك تلك المركبات الخبيثات فيأخذ في أدبارها صاعدة لتلاطم أمواج بحور تلك المركبات ، ويتكوَّن في دركات النيران وتنسحق في عواصف الريح العقيم وتتعفن بالبحر الأجاج ويحيا بحياة الهالكين وتكور في محول السنين وترتسم في سجين وتألف [تأتلف] بين الزمهرير والسعير ثم يتخطفها جنود الشياطين وتسير بها في كل واد سحيق ، من السبع الأرضين ، حتى تظهر في النبات والثمار والبقولات فما أكلها أحد مؤمن أو كافر إلا وخرج من صلبه كافر لعين وتلك هي الشجرة الخبيثة ﴿ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ وهي كلمة الكفر الأولى وكلمة الكفر الأخرى من فروعها ، كما أن تلك الشجرة الطيبة بعكسها في كل ما لها وتصرف في تأويل ذلك على أي معنى إذا عرفت الأرض وجهات التصرف كما رواه في معاني الأخبار عن داود بن فرقد قال :

سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : (**إنكم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا ، إن الكلمة لتصرف على وجوه فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب**) انتهى .

وأمّا الشجرة الملعونة فهي الشجرة الخبيثة باطناً ولكنها لما قال فيها (**والشجرة المعلونة في القرآن**) ، لأن أكلها ليس من أصحاب اليمين الذين قال الله لنبيّه صلى الله عليه وآله في حقهم : ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ بل هم ممن قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ وهم رؤوس الشياطين وهم ثمرها قال تعالى : ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ فبلعنهم سميت الشجرة الملعونة المطرودة من الرحمة بعد أن قربت بالإدبار إلى إمكان الإقبال وعرضت عليهم الرحمة فلم يقبلوا فطردهم عن الرحمة عبارة عن إيجاب حكم مقتضى عدم قبولهم لها ، فإنّ من لم يقبل ما يقربه فقد أبعد نفسه لتركه القرب وبأصلها في الخبيث وعدم تحققها في أصل الوجود ، وإنما هي موجودة بالعرض وإنما وجودها دعوى بلا حقيقة ولا برهان لها فبذلك كانت خبيثة فالطيبة ، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ والخبيثة ﴿ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ ، فمعنى ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ﴾ ، إيجاب الحكم عليهم بمقتضى شأن بدئهم في علم الغيب وهو إبعادهم أنفسهم بتركهم ما يقرّبهم فافهم .

وعن أبي عبد الله عليه السلام ، (**أنه صلّى الله عليه وآله رأى قروداً أربعة عشر قد علوا منبره واحداً بعد واحد فلما أصبح قص رؤياه على أصحابه فسألوه عن ذلك فقال صلى الله عليه وآله :**

تصعد منبري هذا بعد جماعة من قريش ليسوا لذلك أهلاً) ، قال الصادق عليه السلام : (**هم بنو أمية**) انتهى .

وقيل هي شجرة الزقوم وقيل هي السكوت [السكون] لا أصل له [لها] ثابت ولا فرع له ثابت وقيل هي شجرة الحنظل وبالجملة فالمقصود موجود .

قال سلّمه الله تعالى : والوادي المقدس والأرض المقدسة .

قد مضت الإشارة إلى هذا كما قلنا سابقاً : إن الوادي المقدسة القلب السليم المملوء بالرضا والتسليم ، والأرض المقدسة النفس المطمئنة الراضية المرضية الوادي المقدس بيت التوليد والتناكح ، والأنوار الفرفيرية ، والأرض المقدسة الجسد الجديد .

قال سلّمه الله تعالى : والتسعة المفسدة في الأرض والعشر [العشرة] ، الجبال والجبل الذي كلّم الله عليه موسى تكليماً وقدّس الله عليه عيسى تقديساً ، واتخذ إبراهيم خليلاً ومحمداً حبيباً والطيور الأربعة والثلاثين اليوم والإتمام بالعشر [بالعشرة] ، والنعل الذي خلعه موسى والاثني عشر [الاثني عشرة] في عدة الشهور والأربعة الحرم .

أقول : التسعة المفسدة في الأرض أعداء صالح عليه السلام إشارة إلى المولود الكريم الصالح يخرجون من الأرض ويهلكون في تسع تساقي كل واحد في تسقية الأول والثاني والثالث ، بقدر ربع الأرض والستة الباقية [الباقية كل] بقدر سدس الأرض وفي كل واحد يخرج مفسد ويهلك في ثلاثة أيام ، اليوم الأول يوم التزويج والمعدن والثاني يوم الجواري والنبات والثالث يوم

التركيب والحيوان فقال : ﴿ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ فأصبحوا في الأول مصفرّة وجوههم وفي الثاني محمرة وفي الثالث مسودة وهذا حكم وطبع وإن خالف المحسوس وأسماء هذه التسعة قدار بن سالف ومصدع بن مهرج وأخوه واب ابن مهرج وغنم بن غنم وعمير بن كورية [كرديه] ، وعاصم بن محزمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن مصفى والهذيل بن عبد رب ، فأما اليوم الأول من الثلاثة فيخرج [فيخرج فيه] من الأرض ثلاثة والثاني ستة واليوم الثالث يهلك في أوله ثلاثة في ثلاث تساقي فيظهر القمر المنير ، وفي آخره يهلك الستة الباقية في ست تساقي فيظهر المولود بكسوة الفرفير ، وهو المولود الصالح وكان هذه التسعة المفسدة خلف تسعة من الجبال العشرة ، وعن شمائلهم حتى أن كل جبل يمينه مصلح وشماله مفسد .

والجبال العشرة : أكبرها ألطفها وأبقاها وهو قلب المؤمن ومحدد الجهات والصاقورة العليا ، ومركب العلل وعلوم الكيف واللم وعرش الاستواء الرحماني والمنظر الأعلى ، والثاني صدر العلم قال تعالى : ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ ﴾ والكرسي الواسع للسماوات والأرض والكتاب المسطور ، والثالث سماء الأمان وسلّم الإيمان وبرج كيوان وجبل ظهور النور والاستعلان ومطيع الرحمٰن وطريق الجنان والرابع خزنة [خزانة] ، العلم ووعاء الحكم ومظهر العلم وحجاب الزبرجد وفلك الكوكب الأسعد ، والخامس جبل السطوة ومظهر القهر العزرائيلي والحجاب الأحمر ، والسادس جبل الهيولى الثانية ومنبع الوجود الفياض والسابع جبل الأكوان الملكوتية المحفوظة في الخزائن الإلهية ،

والثامن جبل الهياكل الرقمية المنزلة بالقدر المعلوم والتاسع جبل الحياة التي حييت بظله الحيوانات ، والعاشر جبل الطور والقاف المذكور ، وهذه الجبال العشرة عاشرها حاملها وتاسعها مثل العاشر ، والعاشر على ظهر التاسع وهما سواء والثامن والسابع ، يجمعهما في الظاهر مقدار واحد من هذه والستة الباقية يجمعها مقدار واحد في الظاهر إلا أن لكل واحد من هذه العشر حكماً ، ويكون له وبه طبع غير الآخر والعاشر يجمعها ويضمها إليه :

وذلك معنى قولهم إن واحداً
سيغلب تسعاً من بنات البطارق

ولا ريب أن جبل قاف محيط بالدنيا .

وأما الجبل الذي كلّم الله عز وجل موسى عليه السلام ، فهو جبل طور سيناء وجبل حوريث فتفقده بكل معنى فقد مر إلى جميعها الإشارة .

وأما الجبل الذي قدس عليه عيسى فهو جبل ساعير كذلك وقيل ساعير جبل بالحجاز يدعى جبل الشراة كان عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام يناجي الله تعالى عليه ، وعنده إجابة الدعاء وقيل ساعير قبة كانت مع موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام كالتخت للملك .

وأما الجبل الذي اتخذ الله عليه إبراهيم عليه وعلى محمد وآله السلام خليلاً ، يعني الذي ظهر له عليه فهو الربوة من منى في مسجد الخيف أو في إيليا وهي مدينة القدس أو في جبل فلسطين عند بئر شيع وهو [هو البئر] الذي حفره وبنى عنده مسجداً .

وأما الجبل الذي ظهر فيه محمد صلى الله عليه وآله فهو جبل فاران من جبال مكة بينه وبينها يوم ، كذا في الخبر عن الرضا عليه السلام ، (**ظهر فيه بربوات المقدسين فوق إحساس الكروبيين**) .

والطيور الأربعة ديك وغراب وطاووس ونسر أو حمامة وألوانها أحمر وأصفر وأبيض وأسود ، وطبائعها حرارة ورطوبة وبرودة ويبوسة وعناصرها نار وهواء وماء وتراب ، وملائكتها جبرئيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل ، وسفليها المذهب وميمون وياقوت ورويعة [زويعة] والمراد بالطيور الأربعة المأمور بذبحها أعداؤك إذا ذبحتها حييّت لك أصدقاء ناصحين ، ديك شهوة هواك وغراب حرص شيطانك وطاووس زينة دنياك ونسر عجب نفسك .

وأما الثلاثون اليوم فهي ذو القعدة التي صامها موسى عليه السلام ، في طور سيناء لتلقي التوراة لأن اليوم الأول للعشر المار إليها بالجبال يوم طبائعها والثاني هو الذي خلقت فيه عناصرها والثالث هو الذي نمت فيه نباتها [نباتاتها] ، فهذه ثلاثون يوماً . وأما الإتمام بالعشر فهو بعشر ذي الحجة وهي اليوم الرابع لتلك العشرة الجبال وفي هذا اليوم حياة تلك الجبال وهي التي أقسم الله بها حيث قال تعالى : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ فانفجر فجر جمع وهو المشعر [المعشر] ، (**ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، إن قرآن الفجر كان مشهوداً**) وهو الإمام الشهيد [المستشهد] في نينوى تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وملائكة السلام وملائكة النصر والليالي العشر الحسن عليه السلام ، والتسعة من ذرية الحسين عليهم السلام ، قعدوا كما أمروا وأشفع هو الزوج وهو علي عليه السلام لأن

العصر هو الضم قال تعالى : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ والوتر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو البرزخ بين البحرين الممزوجين والشفع يوم التروية والوتر يوم عرفة فافهم ، (**والليل إذا يسر**) فاطمة عليها السلام عاشت بعد أبيها أربعين يوماً أو خمسة وسبعين يوماً أو ما شاكلها ، من المدة القليلة فهذه العشر تمام الميقات فنزلت التوراة بعد الميقات وكان قد أخفاها موسى عليه السلام عن بني إسرائيل فتنة لهم وذلك عن أمر سبق من الله ، وإلا فقد وعده الله بالأربعين ثم وعده بالثلاثين وأتمها بعشر وأمر بكتمانها استنطاقاً لما فيهم مما علمه [علمه منهم] ، كما اقتضته من ذواتهم من علمه بهم فكانت هذه العشر حياة الثلاثين كل واحد منها حياة ثلاثة وتلك الثلاثة جبل من الجبال العشر غير تام يعني لم تنشأ خلقاً آخر إلا بواحد من هذه العشر .

وأما النعل الذي خلعه موسى عليه السلام ، فروى سعد بن عبد الله القمي فيما سأل به صاحب الزمان عليه السلام أنه قال عليه السلام : (**إن موسى عليه السلام كان بالوادي المقدس فقال : يا ربّ إني أخلصت لك المحبة مني وغسلت قلبي عمن سواك وكان شديد الحب لأهله فقال الله تبارك وتعالى اخلع نعليك أي انزع حب أهلك من قلبك إن كانت محبتك لي خالصة وقلبك من الميل إلى من سواى مشغولاً**) الحديث .

ومن روى أنها كانت [أنه كان] من جلد حمار ميت فليس على ظاهره لرفع [لترفع] مقام موسى عليه السلام ، عن ذلك كما ذكره الحجة عليه السلام وإنما هو كناية عن صفة ظاهرة وإنّما قيل جلد حمار لأنها عرضية والحمار كناية عن البليد والميت كناية عن

الهالك ، وهي صفوريا بنت شعيب عليه السلام لخبثها وخروجها على وصيه يوشع وقتالها له ظالمة [ظالمة له] فلعدم انتفاعها لصحبة موسى عليه السلام ، وقربه مع ما تشاهد من المعجزات كانت ، ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ و[والأسفار] أسفار التوراة يعني حاملها فلما خلعهما كانتا عقربين لأنهما سنخ النمام وصفته فلما ألقاهما الإنسان من صحبة الإنسانية جرى عليهما المسخ ، فجرى ميل قلبه وميل نفسه إليهما حين ألقاهما فمسخا بذلك الأمر الإلهي وسنته [سنة] ، ومثلاً للآخرين : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ ، وقد جرى كما ترى فافهم .

وأما الاثنا عشر في عدة الشهور فإن المراد بها قصبة الياقوت ، والأصل أن الشمس تجري في الفلك وتقطعه في اثني عشر شهراً ، مثال لظهور شمس الوجود التي هي وجه الواجب ، في هذه البروج الاثني عشر وذلك لأن الاسم المشار إليه كان على أربعة أركان فأخفى الله منها واحداً واظهر ثلاثة لفاقة الخلق إليها ، ولكل واحد من تلك الثلاثة أربعة أركان ، الخلق والرزق والموت والحياة فهذه اثنا عشر ركناً ولكل ركن ثلاثون اسماً فهذه ثلاثمائة وستون اسماً وهذه الاثنا عشر البروج ، وهي الأشهر الاثنا عشر والأئمة الاثنا عشر الذين تظهر فيهم الولاية الكبرى الأزلية بتمامها في الظهور ، واحداً بعد واحد والأربعة الحرم ذو القعدة وذو الحجة ، وعاشوراء ورجب ثلاثة سرد وواحد فرد علي والحسن والحسين والفرد الحجة سلام الله عليهم أربعة أشهر أمروا بالقعود فيها عن القتال فلم يمتثلوا وقاتلوا فيها أولياء الله فلذلك قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ

ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ﴾ فالأول من الأربعة ذو القعدة وفيه دحو الكعبة وذلك هو علي عليه السلام، والثاني ذو الحجة وهو الحسن عليه السلام، والثالث المحرم وهو الحسين عليه السلام، والرابع رجب وهو الحجة عليه السلام قال عليه السلام: (**يا عجباً كل العجب بين جمادى ورجب**)، قال يا أمير المؤمنين ما هذا العجب الذي لا تزال تعجب منه قال: (**ثكلت الآخر أمه وأي عجب يكون أعجب من أموات يضربون هام الأحياء**) الحديث.

وأما قوله: والأيام في قولهم عليهم السلام: (**لا تعادِ الأيام فتعاديك**)، فالمراد بها الأركان الاثني عشر من الأسماء الثلاثة، أعني الله العلي العظيم وذلك أن الوجود الذي هو الرابطة بين الظهور والبطون، ظهر الحق فيه به إن كان [له فكان] ذلك الظهور في أربعة عشر يوماً، كل يوم بعد يوم على سبيل البدلية والانتقال، وهي في الحقيقة وصل وجمع وجمع جمع، ووحدة بل أحدية وتلك المراتب باعتبار الكثرة هي مثاني السبعة الأيام في الأسبوع. فإما باعتبار أيام الشأن وأيام الإيلاج، وإما باعتبار الليل والنهار وإما باعتبار الحركة القسرية والحركة الاختيارية، وإما باعتبار الغيب والشهادة، وإما باعتبار السيادة والعبودية إلى غير ذلك.

فالمراد بالأيام مقامات الله التي لا تعطيل لها في كل مكان ومظاهره في مراتب الوجود بها ومعناها آل محمد صلوات الله عليهم. روى الصدوق رحمه الله بإسناده إلى الصقر بن أبي دلف أنه سأل أبا الحسن الهادي الثالث عليه السلام حين سأله المتوكّل عن قول النبيّ صلى الله عليه وآله: (**لا تعادوا الآيام فتعاديكم**) ما معناه؟ قال عليه السلام: (**نعم الأيام نحن ما قامت السماوات**

والأرض فالسبت اسم رسول الله صلى الله عليه وآله والأحد أمير المؤمنين عليه السلام والإثنين الحسن والحسين والثلاثاء علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد والأربعاء موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأنا والخميس ابني الحسن والجمعة ابن ابني والله يجتمع مصائب الحق فهذا معنى الأيام فلا تعادوهم في الدنيا فيعادوكم في الآخرة) ، ورواه بطريق آخر ورواه هبة الله الراوندي في كتاب الخرائج والجرائح وفيه قال : (**نعم إنه لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وأما السبت فرسول الله**) ، وساق الحديث وفي آخره (**والجمعة القائم منا أهل البيت صلوات الله عليهم**) انتهى .

قال سلّمه الله تعالى : وفي قولهم تحذر من الأيام سبعاً كوامل .

أقول : المراد بها أيام الشهر المعروفة بين الناس وهذه السبعة الأيام التي هي الثالث والخامس والثالث عشر والسادس عشر والأحد والعشرون والرابع والعشرون والخامس والعشرون ، ويستولي عليها حكم رجال الغيب فلا يكاد يصلح فيها عمل كما رُوي عن الصادق عليه السلام ، مما هو مذكور في محله وذكر شيء منها يطول به الكلام وهذه السبعة وردت في الشهر وورد في السنّة اثني عشر يوماً كل شهر يوم .

ورُوي عن الصادق عليه السلام : (**أن في السنّة اثني عشر يوماً من اجتنبها نجا ومن وقع فيها هوى فاحفظوا وفي كل شهر منها يوم ففي المحرم الثاني والعشرون وفي صفر العاشر وفي ربيع الأول الرابع وفي ربيع الثاني وجمادى الأولى [جمادى الأولى] الثامن والعشرون وفي جمادى الثاني [جمادى الثانية] ورجب الثاني عشر**

وفي شعبان السادس والعشرون وفي رمضان الرابع والعشرون وفي شوال الثاني وفي ذي القعدة الثامن والعشرون وفي ذي الحجة الثامن) انتهى .

وورد (**في كل شهر يومان**) روي عن أمير المؤمنين عليه السلام كما نقله المحدّث الكاشاني أنه عليه السلام قال : (**إن في السنّة أربعة وعشرين يوماً نحسات رديّات لا يتم الأمر الذي شرع فيها ولا يعيش الطفل الذي ولد فيها ولا يظفر الغازي الذي غزا فيها ولا تنمو الشجرة التي غرست فيها وفي كل شهر منها يومان ففي المحرم الحادي عشر والرابع عشر وفي صفر الأول والعشرون وفي ربيع الأول العاشر والعشرون وربيع الثاني الأول والحادي عشر وفي جمادى الأول [جمادى الأول] الأول والحادي عشر وفي رجب الحادي عشر والثالث عشر وفي شعبان الرابع مع العشرين وفي رمضان الثالث مع العشرين وفي الشوال السادس والثامن وفي ذي القعدة السادس والعاشر وفي ذي الحجة الثامن مع العشرين**) انتهى .

فعلى هاتين الروايتين يكون في الشهر ثمانية أو تسعة أو عشرة وقد تزيد ككون القمر في العقرب وغيرها وككون سلوك الطريق في مقابلة رجال الغيب حتى ينصرفوا عنها ذلك اليوم وغير ذلك مما هو مذكور في محله .

قال سلّمه الله تعالى وفي قولهم : (عادانا من كل شيء شيء حتى من الطيور العصفور وفي الأيام الأربعاء) .

فأقول : قد روى محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام ذلك في شأن العصفور ، وأن العصافير من سنخ الثاني فلما أتته تستسقيه

قال عليه السلام [لها لا] : (**ولا كرامة**) وفي رجوعه عليه السلام أحاطت به وقد خالطتها القنابر ، فسقاها لأجلها وأمثال ذلك مما ورد فيها ، وأما يوم الأربعاء فلعل المراد منه أربعاء لا يعود كما يدل عليه ما نقل عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام : (**أن رجلاً قام إليه فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن يوم الأربعاء وتطيرنا منه وأي أربعاء هو ؟ فقال آخر أربعاء في الشهر وهو المحاق وفيه قتل قابيل هابيل أخاه ويوم الأربعاء ألقي إبراهيم عليه السلام في النار ويوم الأربعاء وضعوه في المنجنيق**) الحديث .

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام يقول : (**يوم الأربعاء يوم نحس مستمر**) ورُوي عن النبيّ صلى الله عليه وآله بعد أن قال : (**الأربعاء نحس مستمر**) وسئل عن ذلك قال : (**إن الله جلّ جلاله رفع أركان جهنم يوم الأربعاء وربّع زواياها وأشد حرها يوم الأربعاء وما أنزل الله من السماء إلى الأرض رجساً ولا غضباً ولا نقمة إلا في يوم الأربعاء**) ، ورُوي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام : (**احذروا يوم الأربعاء فإنه نحس إلا للطب والأدوية ثم اعلم**) ، أن الجمع بين هذين الحرفين الماضيين أحدهما : (**لا تعادوا الأيام فتعاديكم**) وثانيهما تحذر من الأيام سبعاً كوامل وحتى من الأيام الأربعاء ظاهر لمن تدبر ما مضى من الإشارة من أن الأيام المنهي عن معاداتها هم [هم الأئمة] الاثنا عشر عليهم السلام ، وأن المأمور بالتحذر منها هذه الأيام المنحوسة المشار إليها كما مر ظاهراً وباطناً هي الأيام المنحوسة التي يجب معاداتها فافهم . وروى الطبرسي في أماليه بإسناده إلى

جعفر بن محمد : قال عليه السلام : (**السبت لنا والأحد لشيعتنا والإثنين لبني أمية والثلاثاء لشيعتهم والجمعة لله عزّ وجلّ**) الحديث .

فأشار عليه السلام إلى بعض الأيام المنحوسة هنا وإنما خص الأربعاء في ذلك بالمعاداة لما فيه من كمال المطابقة ظاهراً وباطناً ، فإن أهل الأربعاء كان فعلهم أفضع [أفظع] وهي أربعاء لا تعود إذ ليس بعد ذهاب سلطانهم لهم سلطان وهم المحاق التي غاب فيها قمر الولاية .

واعلم أن السلامة من نحوس هذه الأيام في الالتجاء إلى تلك الأيام التي هي درع الله الحصينة وذمام الله الذي لا يطاول ولا يحاول .

وأما السلامة من نحوس الأيام الظاهرة فرُوي أن بعض البغداديين كتب إلى أبي الحسن الثاني عليه السلام يسأله عن الخروج يوم الأربعاء لا يدور فكتب عليه السلام ، (**من خرج يوم الأربعاء لا يدور خلافاً لأهل الطيرة وقي كل آفة وعوفي من كل عاهة وقضى الله له حاجته**) انتهى .

واعلم أن [أن يوم] الأربعاء لعطارد وهو يكون مع النحس نحس ، ومع السعد سعد فلذلك كان الأربعاء على اتباع [اتباع أهل] النحوس من حيث هم أتباع نحوس وعلى اتباع أهل السعد من حيث هم أتباع سعود وهذه الحيثية صدقة واعتقاد ويقين ، وتفويض ودعاء فعن الصادق عليه السلام قال : (**تصدّق واخرج أي يوم شئت**) ، وروى حماد بن عثمان قال : قلت لأبي عبد الله

عليه السلام : أيكره السفر في شيء من الأيام المكروهة مثل الأربعاء وغيره ؟ فقال عليه السلام : (**افتتح [افتح] سفرك بالصدقة واخرج إذا بدا لك واقرأ آية الكرسي**) .

ورُوي عن سهيل [سهل] بن يعقوب الملقب بأبي نواس أنه قال : قلت لأبي الحسن علي بن محمد العسكري : يا سيدي إنه قد وقع إلي اختيارات عن الصادق عليه السلام ما حدثني به عبد الله بن الحسن بن مطهر عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه عن الصادق عليه السلام في أكثر هذه الأيام قواطع عن المقاصد لما ذكر فيها من النحس والمخاوف فدلّني على الاحتراز عن المخاوف فيها فربما تدعوني الضرورة إلى التوجه إلى الحوائج فيها فقال عليه السلام : (**يا سهل إن لشيعتنا بولايتنا عصمة لو سلكوا بها في لجج البحار الغامرة وسباسب البيداء الغائرة بين سباع وذئاب وأعادي الجن والإنس لأمِنوا من مخاوفهم بولايتهم لنا . فثق بالله عزّ وجل واخلص في الولاء لأئمتك الطاهرين وتوجّه حيث شئت . يا سهل إذا أصبحت وقلت ثلاثاً أصبحت اللهمّ معتصماً بذمامك المنيع الذي لا يطاول ولا يحاول**) ، إلى آخر الدعاء إلى قوله عليه السلام : (**فأغشيناهم فهم لا يبصرون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقلتها عشياً ثلاثاً دخلت في حصن من مخاوفك وأمن من محذورك ، وإذا أردت التوجه في يوم حذرت فيه فقدم أمام وجهك الحمد والمعوذتين والإخلاص وآية الكرسي وسورة القدر وخمس آيات من آل عمران ثم قل : اللهمّ بك يصول الصائل وبقدرتك يطول الطائل ولا حول لكل ذي حول إلا بك ولا قوة يمتازها ذو قوة إلا منك بصفوتك من خلقك وخيرتك من بريتك**

ومحمد نبيّك وعترته وسلالته عليه وعليهم السلام وصلّ عليهم واكفني شر هذا اليوم وضرّه وارزقني خيره ويمنه واقض لي في متصرفاتي بحسن العافية [العاقبة] وبلوغ المحبة والظفر بالأمنية وكفاية الطاغية الغوية وكل ذي قدرة لي على أذية حتى أكون في جنّة وعصمة من كل بلاء ونقمة وأبدلني من المخاوف فيه أمناً ومن العوائق فيه يسراً حتى لا يصدني صادعن المراد ولا يحل بي طارق من أذى العباد إنك على كل شيء قدير ، والأمور إليك تصير يا من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) انتهى .

فتأمل هذا الخبر الشريف وما اشتمل عليه من الإرشاد في حصول النجاة والسلامة من حسن الاعتقاد واليقين فيهم والاعتماد فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما الكلمة في قوله : **(وتمت كلمة ربّك الحسنى ، كلا إنها كلمة هو قائلها ، إليه يصعد الكلم الطيب)** والكلمات التامات والتي تلقاها آدم من ربّه والأسماء التي علّمها آدم إلى غير ذلك من الكلمات القرآنية .

الكلمة الحسنى : التامة على بني إسرائيل هي وعد الله لهم بأن يهلك عدوّهم ويستخلفهم في الأرض وهي تأويل قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ فبنو إسرائيل آل محمد عليهم السلام والكلمة الولاية وخاتم الولاية وهم الذين استخلفهم بما صبروا وجعلهم أئمة وجلعهم الوارثين ، ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ .

وأما الكلمة التي هو قائلها هي كلمة سائل الرجعة إذا بدا له سوء أعماله إذا حمل إلى قبره وشاهد ما هو قادم عليه ، ﴿ قَالَ رَبِّ

ﭐرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ فيرد عليه الموكلون : ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ وذلك أنه تقول كلمة الذين كفروا السفلى وأنكر كلمة الله العليا .

وأما صعود الكلم الطيب إليه فبما تحفه من جنود الله النور وأولي المراكز العليا منه بُدئت وإليه تعود بالكمال والكلم الطيب ، كلمة الشهادتين والصلوات الخمس العلوية ، والعلوية البيضاء والمقربون من أهل محبته وغير ذلك من الأعمال الصالحة والعاملين والصالحين .

وأما الكلمات التامات وهي الله النور والزين والجمال والعماد والقوام والصريخ والغياث والمفرج والمروح والمجيب والإله والرحمٰن الرحيم والكاشف ، والمنزول به الحوائج ، وفي مناقب ابن شاذان عن الحارث وسعد بن قيس عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : (**قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا واردكم على الحوض وأنت يا علي الساقي والحسن عليه السلام الرائد والحسين عليه السلام الآمر وعلي بن الحسين عليه السلام الفارط ومحمد بن علي عليه السلام الناشر وجعفر بن محمد عليه السلام السائق وموسى بن جعفر عليه السلام محصي المحبين والمبغضين وقامع المنافقين وعلي بن موسى الرضا عليه السلام منير المؤمنين ومحمد بن علي عليه السلام منزل أهل الجنة في درجاتهم وعلي بن محمد عليه السلام خطيب الشيعة ومزوّجهم الحور [بحور] العين والحسن بن علي عليه السلام سراج أهل الجنة يستضيئون به والهادي عليه السلام شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن الله إلا لمن يشاء ويرضى**) .

وفيه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه: (**يا علي أنا نذير أمتي وأنت هاديها والحسن عليه السلام قائدها والحسين عليه السلام سائقها وعلي بن الحسين عليه السلام جامعها ومحمد بن علي عليه السلام عارفها وجعفر بن محمد عليه السلام كاتبها وموسى بن جعفر عليه السلام محصيها وعلي بن موسى الرضا عليه السلام معبرها ومنجيها وطارد مبغضها ومدني مؤمنها [مبغضيها ومدني مؤمنيها] ومحمد بن علي عليه السلام قائمها وسائقها وعلي بن محمد عليه السلام سائرها وعالمها والحسن بن علي الهادي عليه السلام ناديها ومعطيها والقائم الخلف عليه السلام ساقيها ومناشدها إن في ذلك لآيات للمتوسمين وهي الكلمات التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر**).

وأما التي تلقاها آدم من ربّه فقيل هي كلمات علمه جبرئيل وهي (**ربّنا ظلمنا أنفسنا**)، وفي تفسير القمي في الصحيح عن أبان بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام إلى أن قال: (**وعلمه**) يعني جبرئيل (**الكلمات التي تلقاها من ربّه وهو سبحانك اللهمّ وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي إنك خير الغافرين سبحانك اللهمّ وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي إنك أنت التواب الرحيم بقي إلى أن غابت الشمس يعني في يوم عرفة رافعاً يديه بها فلما أصبح قام على المشعر فدعا الله تعالى بكلمات وتاب عليه**) [فتاب] الحديث.

ورُوي (**أنهم أسماء أصحاب الكساء**) انتهى، أو أنوارهم التي

في صلبه وهي الكلمات التامات التي مضت الإشارة إلى بعض مقاماتها .

وأما الأسماء التي علمها آدم عليه السلام فأسماء المخلوقات أو مسمياتها أو أسماء الكلمات التي تلقاها منه أو مسمياتها ، المدلول عليها بالأسماء أريها ولم ترها الملائكة .

وأما قوله : « **إلى غير ذلك من الكلمات القرآنية** » فجوابه أن الكلمات القرآنية [الكلمة] ، تطلق على اللفظة وعلى اللفظ الكثير وعلى الذوات وعلى الصفات وعلى القوى وعلى جميع ما في الوجود جملة وتفصيلاً ، وكل كلمة في آية فإن تلك الآية متكفلة ببيان ما أريد منها لفظاً أو معنى أو إشارة أو إيماء أو تأويلاً إلى غير ذلك فحرك تجد .

قال : وما الصلاة الوسطى والصراط المستقيم وما الليالي العشر والشفع والوتر وما المدهامتان وما السدرة المنتهى و[وما] ، جنة المأوى وما رأى محمد حين ما رأى ؟

أقول : أما الصلاة الوسطى فلها إطلاقات تختلف باعتبار حيثيات فالوسطى باعتبار الأولوية والأفضلية صلاة الظهر كما رُوي عنهم عليهم السلام ، إذ الأوسط هو الأفضل والوسطى باعتبار وسط الصلاة [الصلوات التي] ، أولها الصبح وآخرها العشاء وهي بهذا الاعتبار صلاة العصر كما في صحيحة عبد الله بن سنان وغيرها ، وباعتبار العدد كثرة وقلة ، وباعتبار الترتيب الطبيعي صلاة المغرب ، فإنها ثلاث لا أربع ولا اثنتان وهي فاطمة عليها السلام وهي الوسطى في أصحاب الكساء أمر الله بالمحافظة على مودتها والقيام إلى نصرتها عند غروب شمس النبوة وأن أول صلاة فرضت

الظهر فتكون الوسطى [الوسطى هي المغرب] ، فلذا كان وقتها واحداً ووقتها وجوبها إشعاراً في ضيق وقتها بوجوب المبادرة إليها والاهتمام بها وضيق وقتها يقتضي المحافظة [يقتضي الأمر بالمحافظة] عليها وباعتبار احترامها والتأكيد فيها بحيث على ناسيها صيام غده كفارة لنسيانه لها وليس لغيرها هذه المزية وذلك مناسب للأمر بالمحافظة عليها هي صلاة العشاء وباعتبار أنها تشهدها ملائكة الليل والنهار فتكتب مرتين هي صلاة الصبح ولذا لم يزد فيها اعتماداً على هاتين المرتين إشعاراً بسرعة البدار إليها لذلك اعتناءً بها ، واهتماماً بشأنها فبهذه الاعتبارات والأدلة اختلف في أيها هي وهي من الأربعة التي اخفيت في أربعة ، وقيل هي صلاة الجمعة وقيل هي الصلوات اليومية في سائر الصلوات .

وأما الصراط المستقيم فهو الطريق إلى الله من جميع أوامره ونواهيه ومعرفة الإمام ، وفي تفسير القمي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ قال : (**هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته**) ، وفيه عنه عليه السلام في وصفه له فقال : (**ألف سنة صعود وألف سنة هبوط وألف سنة حدال**) والمراد بالحدال بالمهملتين الميل والانعطاف كالقوس لتتم بالصراطين الظاهر والباطن الدورة الوجودية من قوس الحروف الكونيّة وقوس الأسماء الوجودية ويلتقي العين في قاب قوسين وفيه عنه عليه السلام : (**هو أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف ، منهم من يمر عليه مثل البرق ومنهم من يمر عليه مثل عدو الفرس ومنهم من يمر عليه ماشياً ومنهم من يمر عليه حبواً ومنهم من يمر عليه متعلقاً ، فتأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً**) .

أقول : إنما كان أدق من الشعر لأنه سطر قلم الإبداع ولذلك يكون على أصحاب الأفئدة الذين مر بعض وصفهم أوسع مما بين الأرض والسماء ، وإنما كان أحدّ من السيف لأنه يشق الأقدام إلا لمن خفّ من كثافة بشريته وثقلها وما ذكر عليه من أحوال السائرين عليه غير خفي على ذوي الألباب .

وأما الليالي العشر والشفع والوتر فقد مرت الإشارة إليها فلا حاجة إلى إعادتها ولا إلى الزيادة ، خوف الإطالة .

وأما المدهامتان فهما جنتان يكونان [تكونان] للمقربين في الدنيا إذا ماتوا أوت أرواحهم إليهما وفي حديث المفضل بن عمر ، (**إنها تظهر في آخر الرجعات عند مسجد الكوفة وما وراء ذلك بما شاء الله**) ، وهي الجنة التي هبط منها آدم عليه السلام ووصفتا بالمدهامتين لشدة خضرتهما وذكر المفسرون أنها [أنهما] جنة أصحاب اليمين في الآخرة والحق إنها للمقرّبين ولمن تبعهم في محض الإيمان من أصحاب اليمين والمراد بهم الخاصون في الدنيا وهي جنة البرزخ إلا أنها ظاهر لجنة الخلد وإذا أردت الدليل والبيان فتدبّر قوله تعالى : ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ولا ريب أن البكرة والعشي إنما يكون في الدنيا لا في الآخرة ، مع أنه قال ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ وذلك لأن هذه ظاهر تلك ولذا قال : ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ . يعني في الآخرة فتدبر تفهم .

وأما سدرة المنتهى فالشجرة الكلية وشجرة العلم وشجرة الأسماء والصفات وشجرة الحروف الكونية وسدرة المنتهى شجرة

في السماء السابعة غشيها نور محمد صلى الله عليه وآله ليلة المعراج ، وكان لجبرئيل عليه السلام ستمائة جناح وقيل ستمائة ألف جناح فغمس نفسه في عين الحيوان ، فانتفض فخلق الله من كل قطرة من كل ريشة ملكاً على هيئة الجراد من الذهب فيصعدون إلى سدرة المنتهى ، ويغشونها فيسبحون الله بلفظ واحد سبحان الملك القدوس ذو [ذي] الجلال والإكرام ، وقيل سدرة المنتهى شجرة طوبى أغصانها من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وسميت بذلك لانتهاء كل ملك مقرب إليها ونبي مرسل وهي في السماء السادسة والسابعة ، وقيل الذي يغشيها فراش الذهب وقيل نور مثل جراد الذهب ، واعلم أن الذهب يُراد به الاعتدال وطبع الهيولى الثانية لأن السدرة حكم الأولى ويغشيها حكم الثانية .

وأما جنّة المأوى فالجنّة التي تأوي إليها أرواح الشهداء وقد مرت الإشارة إلى شيء من ذلك .

وأما ما رأى محمد صلى الله عليه وآله حين رأى فإنه رأى جبرئيل عليه السلام في صورته التي خلقه الله عليها مرتين إحداهما بالأفق الأعلى أي مطلع الشمس على ساقه الدر مثل القطر على البقل له ستمائة جناح ، و[قد] ملأ ما بين السماء والأرض وثانيتهما في السماء السابعة عند سدرة المنتهى ، كما مر والذي رأى محمد صلى الله عليه وآله رأى أن ينصب علياً خليفته على أمته : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ ، قال علي عليه السلام : (**ليس لله آية أكبر مني ولا نبأ أعظم مني**) .

قال سلّمه الله : وما النفس الناطقة في الإنسان وما النفس الكليّة

في العالم الكلي والنفس المطمئنة والنفس الأمارة والنباتيّة ، وليكن الحق مترتباً [مترتباً ليس] على قدر ما رتبناه ، بل على حسب ما تراه من الترتيب بعبارة يؤخذ منها التفاسير الستة وليكن غير مطلوب عليك إذا عبرت بعبارة فقل هذا على حسب الظاهر ، وإن شئت قلت كذا على ظاهر الظاهر وإن شئت قلت كذا وهلم جرّا ، على ما يمكن من التفاسير .

أقول : وأما النفس الناطقة في الإنسان فهي المعبّر عنها بقولك أنا وهي المشار إليها في الحديث ، (**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**) يعني أن الشيء إنما يعرف بصفته وقد تعرف [تعرف إليك بك] ووصف نفسه لك بك ونقل أن في الإنجيل ، (**اعرف نفسك أيها الإنسان تعرف ربّك ظاهرك للفناء وباطنك أنا**) وفي الحديث القدسي ، (**خُلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي باطنك أنا وظاهرك للفناء**) وفي كتاب الغرر والدرر عن أمير المؤمنين عليه السلام ، (**الصورة الإنسانية هي أكبر حجة الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل الذي بناه بحكمته وهي مجمع [مجموع] صور العالمين وهي المختصر من [في] اللّوح المحفوظ وهي الشاهد على كل غائب وهي الحجة على كل جاحد وهي الصراط المستقيم إلى كل خير وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار**) .

ورواه ملا محسن في قرة العيون وغيره وفي جواب أمير المؤمنين عليه السلام للأعرابي حين سأله عن الناطقة القدسية فقال عليه السلام : (**قوة لاهوتية بدء إيجادها عند الولادة الدنيوية مقرها العلوم الحقيقية الذهنية موادها التأييدات العقلية فعلها المعارف الربانية سبب فراقها تخلل الآلات الجسمانية فإذا فارقت عادت إلى**

ما منه بُدئت عود مجاورة لا عود ممازجة) ، وفي حديث كُميَل رحمه الله عنه عليه السلام : (**لها خمس قوى فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة وليس لها انبعاث وهي أشبه الأشياء بالنفوس الملكية ولها خاصيتان النزاهة والحكمة)** ، وعنه عليه السلام : (**وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل جواره عللها)** الحديث .

واعلم أن الكلام عليه طويل وفيما أوردنا كفاية ، نعم هنا حرف واحد وهي أن هذه الناطقة أول زوج تركب من الوجود الذي هو نور الله ومن الماهية التي هو ظل الوجود وبهذا المركب تتحقق الإنسانية ، فمن الوجود كونه ومن الماهية إنيته وهي [هي من] كينونة [كينونة الحق] بمنزلة الصورة في المرآة من الوجه فمن عرف نفسه عرف ربّه ، فمن عرف الصورة عرف الوجه ومن عرف وصف الصورة عرف وصف الوجه .

وأما النفس الكلية فهي بمنزلة النفس الناطقة في الإنسان وفي حديث الأعرابي عن أمير المؤمنين عليه السلام لما قال السائل : ما النفس اللاهوتية الملكوتية [الملكوتية الكلية] ؟ فقال عليه السلام : (**قوة لاهوتية وجوهرة بسيطة حيّة بالذات أصلها العقل منه بدئت وعنه وعت وإليه دلّت وأشارت وعودها إليه إذا كملت وشابهته ومنها بدئت الموجودات وإليها تعود بالكمال ، فهي ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى من عرفها لم يَشْقَ أبداً ومن جهلها ضلّ وغوى)** ، وفي حديث كميل عنه عليه السلام والكلية الإلهية ، (**لها خمس قوى بقاء في فناء ونعيم في شقاء وعز في ذلّ وفقر في غناء وصبر في بلاء ولها خاصيتان الرضا**

والتسليم وهذه التي مبدأها من الله وإليه تعود) ، قال الله تعالى : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ **(والعقل وسط الكل انتهى)** .

وهذه هي بمنزلة تلك من الإنسان الجزئي إلا أن تلك قبضة من هذه لأن هذه هي اللوح المحفوظ والكتاب المسطور وهي التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : **(فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد)** ، واعلم أن هذه قد يعبر عنها بالكرسي الذي هو أعلم الظاهر وقد يعبر عنها بمحل المشيّة الإلهية وذات الذوات إلى غير ذلك من أسمائها .

وأما النفس المطمئنة فقد تطلق تارة على ما يقابل العقل بعد قتلها وتعليمها عمل العقل حتى تطمئن وتتخلق به وهذه في الأصل هي النفس الأمارة فتكون بالمجاهدة لوامة وهي التي تلوم صاحبها على المعصية بل قد تلومه على الطاعة وعلى المعصية لما فيها من النور ، فإذا غلبت عليها سطوات الجبروت لامت على المعصية خاصة وهي التي قال تعالى : ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ ، فإذا استولت على إنيتها سبحات الجبروت حتى فنيت فكلوا مما أمسكن عليكم فإذا حييت بالقتل كانت أخت العقل وإليه الإشارة بتأويل قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ ﴾ وهو العقل فإذا كانت كذلك كانت أخت العقل وكانت مطمئنة إليه بذكر الله .

وأما النفس الأمارة فهي المقابلى للعقل وهي وجه الماهية التي ما شمت رائحة الوجود وإنما كانت أمارة بالسوء لأن الوجود ظل الكامل فهو متهيىء للكمال فله نهايات وهي أنحاء كمالاته يميل إليها طلباً لكمالاته والماهية ظهره وجدت بالعرض تبعاً له فلزمها ما لزمه فهي متهيئة بالطلب [لطلب] كمالاتها كالوجود إلا أن الوجود كماله وجود والعدم كماله عدم فلها نهايات هي أنحاء كمالاتها تميل إليها طلباً لكمالاتها من الشرور والإعدام من النفس الأمارة كما أن الوجود إنما ينظر إلى كمالاته من الخيرات من العقل فالنفس أمارة بالسوء الذي هو مناسب لوجودها لذاتها .

وأما النفس النباتية فقوة أصلها الطبائع الأربع وإيجادها عند مسقط النطفة مقرها الكبد مادتها من لطائف الأغذية فعلها النمو والزيادة وسبب فراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت عود ممازجة لا عود مجاورة عن علي عليه السلام نقله الملا في قرة العيون والشيخ المكي في المنازل وفي جوابه عليه السلام لكميل (**لها خمس قوى ماسكة وجاذبة وهاضمة ودافعة ومربية ولها خاصيتان الزيادة والنقصان وانبعاثها من الكبد**) انتهى ، وهي قوة جسمانية لا تجرد فيها بل تقبل القطع الحسي فافهم .

وقوله: (**بعبارة تؤخذ منها التفاسير الستة**) يريد بها تفسير الظاهر وظاهر الظاهر والباطن وباطن الباطن والتأويل وباطن التأويل وقد مضى الإشارة إلى بعض ذلك فشيء مبين كما أريد وشيء غير مقيد ببيان ولا يمكن فيه غير ذلك ويأتي من ذلك شيء إن شاء الله تعالى .

قال سلّمه الله تعالى : المسألة الخامسة ـ قول رسول الله صلى

الله عليه وآله : (**اللهم زدني فيك تحيرا**) مع علو مقامه وقول علي عليه السلام : (**لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً**) .

أقول : يريد ما وجه الجمع بين كلامه صلى الله عليه وآله مع أنه أعلى مقاماً من علي عليه السلام بما لا يخفى وبين كلام علي عليه السلام والجمع بين ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الله أن يسأله زيادة العلم وسأل هو ربه أن يزيده فيه تحيراً ، والمراد من طلب زيادة العلم طلب ما لم يعلمه ما يمكن [مما يكن] في حق الممكن مما لم يكن ومما يطرأ من النسخ ومن المحو والإثبات من سر البداء مما لم يكن بعد لدوام افتقار الممكن أبداً ولدوام المدد فما أفاض عليهم ففي قبضته وما لم يصل إليهم ففي قبضته وتلك الإمدادات ظهوراته بكل لكل ولا غاية لذلك الذي يسمى فوارة النور لأن ذلك ينبوع آثار العلم المطلق والقدرة الجامعة والكرم والأيادي الواسعة وهو سبحانه يظهر فيما يشاء لمن يشاء ولا غاية [غاية ثم] ولا نهاية لتلك الظهورات لكونها آثار ربوبية الحق التي هي كينونته التي هي علمه بها ولا غاية لعلمه ولا لصفته ولا لأثر تلك الصفة .

فإن في الاطلاع إلى ذلك كمال المعرفة وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله بعد هذا (**اللهم زدني فيك معرفة**) ولي في مثل هذا المقام كلام في إتيان [بيان] هياكل التوحيد وأثر تعلق العلم بالمعلوم إذا استخرجت الكنز منه عرفت أن ما طلبه صلى الله عليه وآله لا غاية له بل هو وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى وأن الإمكان المطلوب [المطلق] الذي هو ظل الكينونة التي هي علمه بخلقه هو منشأ الحيرة المطلوبة فابذل جهدك في فهمه لتحظى بمكنون علمه

فإن العاثر عليه أعز من الكبريت الأحمر ولا تعد عيناك [عيناك عنه] فليس وراء عبادان قرية وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي في بيان ما يمكن العبارة عنه من صفة تعلق علم الله بالمعلومات من حيث هي معلومات إذ بدون تلك الحيثية لا سبيل للممكن إليه وتلك الصفة صفة رسم لا صفة قدم ، فإن القديم تعالى [يتعالى] عن الحدوث بكل اعتبار والعبارات تعبير وتفهيم وإن كان ذلك النظر بعين منه فإن ذلك النظر وتلك العين من المعاني وهي فينا من المعاني السفلى وهي من المعاني العليا كالشعاع من المنير وتلك العليا هي التعين الأول ، وهو أول مظاهر الذات فافهم .

فأقول : اعلم أن الله سبحانه علم المعلومات بعلمه الذي هو ذاته إذ لا شيء غيره بما يمكن في ذواتها وما يمتنع في رتبة الإمكان وهو إذ ذاك عالم إذ لا معلوم وعلمه بها هو كينونة الذات على ما هي عليه مما له لذاته بلا اختلاف ولا تكثر وهو الربوبية ، إذ لا مربوب فاقتضت ذواتها بما هي مذكورة به في كل رتبة من مراتب الوجوب والجواز من الأزل إلى الحدث إلى الأبد الذي هو ذلك الأزل ما يمكن لها ويمتنع في الإمكان في كل رتبة بحسبها من صفة الكينونة التي هي ربوبية تلك الاقتضاءات ، وتلك الصفة هي نور الكينونة وظلّها ، وتلك الاقتضاءات هي سؤال المعلومات ، ما لها من تلك الصفة فحكم لها ثانياً حين سألها بسؤالها بما سألته في كل رتبة بما لها فيها وهذا الحكم ، هو تلك الصفة التي هي ظل الكينونة وهو الربوبية إذ مربوب وبها قام كل مربوب في كل رتبة

بحسبها وتلك المعلومات بكل اعتبار لا شيء ، إلا أنها لا شيء في الأزل بمعنى الامتناع إلا بما هي شيء في الحدوث بمعنى الإمكان في الإمكان .

وأما في الإمكان فهي شيء بما شاء ، كما شاء يعني أنها شيء بذلك الحكم وهو ظل الكينونة فأعطاها بحكمه ومشيّته ما سألته من الوجود وأمكن فيها ما اقتضته من الإمكان ، وإن لم تقتضه في الوجود فما [فيما] لم تقتض وجوده في الوجود تقتضي وجوده في الإمكان وهاتان الرتبتان اقتضاء ما يمكن لها من تلك الصفة المذكورة لأنه إذا شاء اقتضت ما في الوجود في الإمكان ، وما في الإمكان في الوجود لأن ذلك هو مالها من تلك الصفة التي هي المشيّة التي بها الاقتضاء وذلك حكم الاختيار الربوبي فلم يقتض [فلم تقتض] إلا ما شاء لأن مشيّته هي الربوبية إذ مربوب وهي صفة الربوبية إذ لا مربوب ، كما مر ولم يشأ إلا ما اقتضته من مشيّته وتلازمهما في التحق الظهوري وتقدم المشيّة على الاقتضاء ذاتاً كمثل تلازم الفعل والانفعال في التحقق الظهوري كالكسر والانكسار ، وتقدم الكسر على الانكسار ذاتاً وإن تساوقا في التحقق الظهوري وتلك الربوبية إذ لا مربوب التي هي الكينونة كما مر ، هي علمه بمخلوقاته أولاً وصفتها التي هي ظل الكينونة وظل الربوبية إذ لا مربوب علمه بمخلوقاته ثانياً .

قال تعالى : إشارة إلى الرتبتين ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ فما شاء من علمه يحيطون بشيء منه كما شاء فافهم وهذا العلم الذي لا يحيطون بشيء منه أي الكينونة هو من علمه بذاته الذي هو ذاته (**كيدك منك**) كما في رواية حمران بن أعين عن

أبي جعفر عليه السلام وكما في رواية هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام ، (**وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم سبحان ربّك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين**) وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

فتفهم هذا الكلام راشداً موفقاً لتعرف مطلوبه الذي يوجب الحيرة التي لا هداية فيها ولا ضلالة ولا معرفة ولا جهالة ، وهو انغماسه في بحر تلك الصفة التي هي صفة الكينونة الذي لا ساحل له لأنه صلى الله عليه وآله كلما تسنم درجة وضم له رفيع الدرجات درجة ولا غاية لذلك .

وأما قوله عليه السلام : (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً) ، مع أن مقامه دون مقام النبيّ صلى الله عليه وآله للإجماع أو [و] حديث ، (**لولاك لما خلقت الأفلاك**) وقول علي عليه السلام : (**أنا عبد محمد صلى الله عليه وآله**) وقوله عليه السلام : (**رسول الله أمامنا حياً وميتاً وأنا من محمد كالضوء من الضوء**) فتوجيهه من وجوه أحدها وهو أظهرها أن المراد بكشف الغطاء الموت ، والغطاء الجسد غطاء على الروح ولما كان الإنسان إذا زكى نفسه بالعلم وجاهدها بالجهاد [جاهد الجهاد] الأكبر حتى يقتلها كما أمره الله تعالى قامت قيامته وكشف عنه الغطاء وعرف موصوله ومفصوله وعرف من أين وإلى أين وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد بحيث يكون وجوده علة للأكوان كان موته الذي هو كشف الغطاء الجسماني لا يزيده يقيناً لأنه قد أمات نفسه لقوله : (**هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين**) ، وإنما يزداد يقيناً

بما سيكون من لم ينكشف له الأمر على ما هو عليه في الواقع فلذا قال عليه السلام : (**لو كشف الغطاء**) أي الجسم من [عن] الروح يا لموت (**ما ازددت يقيناً**) لعدم جهله بشيء من الأحوال الموعود بها التي لا تدرك إلا بعد الموت ولعدم احتمال وقوع نقيض ما أشرف عليه وقول النبيّ صلى الله عليه وآله : (**اللهمّ زدني فيك تحيرا**) ليس من هذا القبيل فلم يتحقق التناقض ولنقتصر على هذه لظهوره .

قال سلّمه الله تعالى : والتلفيق بين قوله عليه السلام : (**عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً**) وبين قوله تعالى لموسى : (**لن تراني**) .

أقول : اعلم أنه ليس شيء بحقيقة الشيئيّة لذاته إلا الواجب تعالى وما سواه فهو شيء بالواجب لا بنفسه ولا بسوى الواجب غيره فمن شهد هذا المشهد فقد رأى الله تعالى أبداً رقيباً عليه لأن كل ما سوى الله شيء بالله لا غير ومن لم ير الله تعالى كذلك فقد عمي [عمي قلبه] عن الحق وحقق [حقيق] من [لمن] لم يتحقق تأمل قوله عليه السلام يعني الحسين عليه السلام في مناجاته يوم عرفة في الحرف الذي قبل هذه الحروف قال عليه السلام : (**أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً**) الدعاء ، وفيه (**ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك**) ، فبمثل هذا تستبصر أمرك .

وأما قوله تعالى : [تعالى لموسى عليه السلام] ﴿لَن تَرَانِي﴾ لما

سأله القوم السبعون الذين اختارهم الرؤية وأخبرهم أنها لا تصح على الله إذ الأشياء إنما تدرك أمثالها وإنما تشير الآلات إلى نظائرها وألحوّا عليه فاستأذن ربّه أن يسأله ما سألوه ليبيّن لهم استحالة ما طلبوا بسبب ما يترتب على تلك المسألة فأخبره تبييناً لهم بما يترتب على ذلك بعد أن أجابه ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ فلا تنافي بين الرؤية في الأول لأن المراد تحققه بها [بها تحققه] بذاته في كل شيء وعدم تحقق ما سواه في كل حال وإليه الإشارة بقول الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي موجود في حضرتك و[وفي] غيبتك وهذه رؤية الشهود والمعرفة وبين تلك الرؤية فإنها رؤية الحواس والإدراك والإحاطة .

قال سلّمه الله تعالى : والتلفيق بين التوصل له بالتفكر في مصنوعاته ، وإنما سمّي العالم عالماً لأنه يعلم به الصانع وبين قوله عليه السلام : (**أعرفوا اللّه بالله والرسول بالرسالة**) وقوله عليه السلام (**يا من دلّ على ذاته بذاته**) .

اعلم أن معرفة الله على مراتب أحدها الاستدلال بالآثار على المؤثر ولذا قال بعضهم إنما يسمى العالم عالماً لأنه يعلم به الصانع أي يستدل به على وجود صانعه وهذه معرفة المتكلمين وأهل الظاهر ، وهذا يفيد وجود الصانع لأن الأثر يدل على المؤثر وأما قوله عليه السلام : (**اعرفوا الله بالله**) فهي معرفة أولي الأفئدة فالجهتان مختلفتان فلا تنافي [تنافي نعم] قد يراد بالنظر في المصنوعات التفكر والاعتبار لينتقل بذلك إلى مشاهدة ظهور المؤثر في آثاره فإذا شاهد الظهور نفي حيث ولم وكيف وعاين ظهوره بها لها فيكون ذلك معرفة الله بالله ألا تسمع إلى قول سيد الشهداء عليه

السلام في مناجاته دعاء يوم عرفة قال عليه السلام : (**إلهي أمرتني بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السرّ عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها إنك على كل شيء قدير**) ، تأمل قوله عليه السلام حتى ، (**أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها**) وقوله : (**مصون السّر عن النظر إليها إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها**) .

ولا نعني بالشهود إلا صون السرّ عن النظر إليها وعدم الاعتماد عليها وهذا في الحقيقة معنى ، (**اعرفوا الله بالله**) [بالله إذ معنى اعرفوا الله بالله] أن تعرفه [تعرفه به] لا بصفة أحد من خلقه فلا ندّ له ولا بعكس شيء من خلقه فلا ضد له ، ومعنى قولنا أن تعرفه به أن يتوجه سرك إلى شيء ثابت بحقيقة الشيئيّة كما نعت به نفسه من غير إشارة ولا كيف ولا شيء سواه الدال على ذاته بذاته [بذاته على بذاته] بحيث لا تشهد في وجودك [وجودك غيره] ولا وجود لك غير وجوده الظاهر لك بك ولا تراه بسواه لأن تلك عين منه رأيته [رأيته به] قال الشاعر :

ومخطوبة الحسن محجوبة
فلا تألفن سوى إلفها
إذا ما تجلّت إلى عاشق
وأهدت إليه شذا عرفها
تغيب الصفات وتفنى الذوات
بما أبرز الحسن من وصفها

فـــإن رام عـــاشـــقـــهـــا نـــظـــرة
ولـم يـسـتـطـعـهـا فـمـن لـطـفـهـا
أعـــارتـــه طـــرفـــاً رآهـــا بـــه
فـكـان الـبـصـيـر بـهـا طـرفـهـا

ومعنى آخر هو أنك إذا وصف لك شخص قصراً ولم تره ولم تعلم به فقال فيه : مثلاً خمسة بيوت كبار فإنك لا تنكر ذلك . وإن قال صغار لم تنكر . وإن قال لك ذلك القصر هل هكذا هو [هو هكذا] أو لا ، فإنك تقول لا أعلم فلا تجد في [من] نفسك نفياً ولا إثباتاً وذلك لأنك لا تعلمه .

ولو قال لك هو قصر مصنوع ؟ قلت : نعم لأنك عرفته بنظائره لا بنفسه والحق سبحانه لو قيل لك هو أحمر قلت لا هو أبيض ، قلت لا هو طويل قلت لا هو كذا قلت لا حتى تعد جميع ما يسعه وجودك وأنت تنفيه ولو قيل هو موجود قلت : نعم فهذا أدل دليل على أنك عرفته وإلا لم تنف عنه ما لا يليق به فلو لم تعلم بوجوده لما قلت نعم إنه موجود ، ولو عرفته بغيره كما عرفت القصر بغيره من القصور ولم تنكر ما قيل لك في القصر وإن كان مخالفاً للواقع لأنك لا تعرفه وأنكرت ما قيل لك في الحق تعالى أنه بصفة شيء من الخلق لأنك تعرفه ولو عرفته تعالى بغيره لشبهته به ووصفته بصفته فإذا كنت قد عرفته لنفسك [لنفيك] ما لا يجوز عليه وإثباتك لما يجوز عليه ولم تعرفه بغيره كذلك كنت إنما عرفته به لا بسواه والأصل في ذلك أن الشيء إنما يعرف بصفته لا بصفة غيره فألوهيته إنما تعرف بصفتها وصفتها ما أظهر في هويتك من تلك الصفة

وذلك هو ظهوره لك بك فتعرفه بما أظهر فيك الذي هو حقيقتك وإنما [أنا] أعرفه بما أظهر في هويتي الذي هو حقيقتي من الوجود وهو ظهوره لي بي لا بما أظهر فيك فكلٌّ يعرفه بما تعرف له به وليس ذلك شيئاً غير ذلك العارف ولذا قال صلى الله عليه وآله : (**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**) فالمعرفة بالآثار معرفة وجود ومعرفة الله بالله معرفة شهود .

قال سلّمه الله : وما التوفيق بين قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ ، ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ والآيات الدالة على أن ما عمل أخيراً ينسخ الأول من خير وشرّ وبين قوله : ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ ، ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ .

أقول : يريد بهذه الآيات بيان القول بالإحباط وعدمه واختلاف الآيات ظاهراً في مفاد هذا المعنى ولنا كلام في تحقيق هذه المسألة في أجوبة مسائل الشيخ الأواه الشهيد الشيخ عبد الله بن محمد بن أحمد بن غدير البحراني تغمده الله برحمته وأحل بقاتله وبال نقمته في بيان بطلان القول بالإحباط بما لا مزيد عليه في التحقيق ولا يُداني في التدقيق فمن أراده وقف عليه في رسالتنا المذكورة ولنذكر بعض الإشارة وهي أن الإحباط لا يتحقق في الحسنة المتحققة .

وأما الحسنات التي لم تتحقق يجري فيها الإحباط وعلى هذا يحمل الآيات الدالة على ذلك والروايات كذلك ، والمراد بالمتحقق ، ما كان أصله ثابتاً بأن قصد به وجه الله على الوجه المأمور به وغير المتحقق غير الخالص في أصل دواعيه فإن المتحقق لا يضره ما يمر عليه لأن أصله ثابت وغير المتحقق أصله

مجتث فإذا جاءت به [جاءته] ريح الهوى طار كالرماد ، وفي الكافي عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قيل له وأنا حاضر ، الرجل يكون في صلاته خالياً فيدخله العجب فقال عليه السلام : (**أول صلاته بنيّته إذا كان [إذا كان أول صلاته بنيته] يريد بها ربّه فلا يضره ما دخله بعد ذلك فليمض في صلاته وليخسأ الشيطان**) ، وفيه في صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : (**إذا أدى الرجل صلاة واحدة تامة قبلت جميع صلواته وإن كن أو كانت غير تامات**) الحديث .

والمراد من قوله (**قوله عليه السلام : غير تامات ما هو أعم من الأجزاء بدليل قوله عليه السلام : بعد وإن أفسدها لم يقبل منه شيء [شيء منها] ولم تحسب له نافلة ولا فريضة وإنما تقبل النافلة بعد قبول الفريضة وإذا لم يؤد الرجل الفريضة لم تقبل منه النافلة**) الحديث ، فظهر أن معنى الأداء تامة موافقة الشرع وإن كانت غير تامة هو الإفساد فبيَّن عليه السلام أن الواحدة التامة لا يتطرق إليها إحباط لأن أصلها ثابت وإنما يتطرق الإحباط إلى العمل الذي ليس له أصل وإن كان يوهم الجاهل أنه عمل صالح وليس صالح [صالحاً] بل هو باطل في صورة صحيح ، ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ ، فقد تكون من مثل هذه أعمال في صورة الحسنات وهي ميتة إذ لا روح فيها من النية الصادقة فإذا قوبلت بالسيئات عادلتها وأسقطتها بل هي في الحقيقة سيئات .

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ ، فإذا صدر من عبد عمل صالح حقيقي كان أصله متصلاً بالنور وإلا فليس بصالح ، ومحتد النور ، لا

يلحق به محتد الظلمة ولا تحصل الموازنة ، وبالجملة فالإحباط يتحقق في غير الخالص لأنه ليس بعمل صالح .

وأما التوفيق بين (**وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم**) وبين ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ الآية ، فبان الأثقال التي مع أثقالهم هي في الحقيقة من لطخ طينتهم وأوزار بدع ابتدعوها فحملوا ثمارها وقال صلى الله عليه وآله : (**ومن يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شراً يحصد ندامة**) ، وهو معنى (**لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فلا تنافي**) .

قال سلّمه الله تعالى : وما التوفيق بين قوله عليه السلام : (**ولكني أتخوف عليكم عذاب البرزخ**) وبين ما دلّ على أنهم يحضرون الأموات في قبورهم وحسابهم .

أقول : إن تحقيق هذه المسألة مما يطول به الكلام ولا يسعه المقام ولكني في راحة من جهة من ألقي إليه هذا الجواب وهو السائل لأنه تكفيه الإشارة ، والقليل يكفيه عن تطويل العبارة .

فاعلم أن الأعمال صفات العامل ولكل موجود وجودان فالأعمال وجودها الدنياوي هو ما ترى ، ووجودها الأخروي ما أخبر به الشارع صلى الله عليه وآله من النعيم ونيات العاملين ثلاث وأيام الحصاد ثلاثة فالأعمال التي لا روح لها وإنما الباعث عليها من النية إنما هو في الدنيا للدنيا ويوم حصاد هذا العمل الدنيا وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ والأعمال التي منشأ بواعثها الخيال فيوم حصادها البرزخ ، والأعمال التي دواعيها من القلوب والأفئدة فيوم حصادها الآخرة ويحصد

[يحصدون] منها في اليومين الأولين قليلاً مما يأكلون فمعاصي هذه الفرقة المحقة في الحقيقة كلها أو جلّها من القسمين الأولين لأن صدور المعاصي منهم عن [من] أمر عارض وهو لطخ الطين الخبيثة ونفوسهم طيبة طاهرة فإذا تلوث [تلوثت] تلك الظواهر طهرت في البرزخ على حسب المقتضى والذين يحضرونهم في قبورهم وحسابهم هم الذين يطهرونهم ليردوا عليهم يوم القيامة طاهرين فلا منافاة .

قال سلّمه الله تعالى : وما التوفيق بين الأخبار الدالة على أن الناس يحشرون كلهم عرياناً [عرايا] يوم القيامة وبين ما دلّ على أن المؤمن يخرج مكسياً من حلل الجنة .

أقول : وهذه المسألة أيضاً أغرب من أختها ولكن التلويح لديه تصريح .

اعلم أن الأرض تأكل ما عليهم من الأكفان وتنقص منهم الأرض ، أعراضهم وأغراضهم ويحشرون كما أُنشئوا إذ قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ فتعودون عراة لا ستر يواري عورات معاصيهم ولا كثافة جسد تغطي أعمالهم عن الناظرين ولا حلة تكتم نتن فائح ذنوبهم بل أسرارهم مكشوفة وأحوالهم بادية معروفة قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ، وأما المؤمنون فقد اكتسوا بلباس التقوى ، ذلك خير فسَتَر الله بها عوراتهم ، وأنوارهم أشرقت بأعمالهم وخلة إخوانهم المتقين بيّضت وجوههم وطيّبت روائحهم وهي حلل من الجنّة أنزلها سبحانه في الدنيا فلبسوها قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا

يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ، وروى الصدوق رحمه الله في كتاب مدينة العلم بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : (**تنوقوا في الأكفان [الأكفان] فإنكم تبعثون بها**) انتهى .

(**وفيه أجيدوا أكفان موتاكم فإنها زينتهم**) وروى صاحب كتاب سير الأئمة بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال : (**إن أبي أوصاني عند الموت فقال يا جعفر كفنّي في ثوب كذا وكذا فإن الموتى يتباهون بأكفانهم**) الحديث ، واعلم أن هذا الكفن المعروف إذا كان من مال طاهر كما قال موسى بن جعفر عليه السلام كما رواه المفيد في إرشاده إلى أن قال عليه السلام : (**وأكفان موتانا من طهر أموالنا وعندي كفني**) انتهى .

فإنه إنما تبلى الأرض ظاهرة ويخرج مستتراً بباطنه فإنهم يتباهون بأكفانهم ولا تبلى الأرض إلا ما كان من جنسها فافهم راشداً موفقاً .

قال سلمه الله : وما معنى قول جبرئيل عليه السلام عند موت محمد صلى الله عليه وآله : (**هذا آخر هبوطي إلى الدنيا فالآن أصعد منها ولا أنزل أبداً**) ، وبين ما دلّ على نزوله إلى الأرض .

أقول : معناه هذا آخر هبوطي إلى الدنيا بإنزال الوحي لأن محمداً صلى الله عليه وآله خاتم النبيين ، وأما نزوله إلى الأرض بعد ذلك فهي لغايات أُخر كإظهار معجز لأمير المؤمنين عليه السلام كما نزل في مسجد الكوفة صلوات الله عليه فسأله : (**أين جبرئيل**) وغير ذلك وكذلك على أبنائه الطاهرين عليهم السلام أو

نزوله لإسماع الصوت وإنزال وحي الإلهام وغير ذلك ، وأما نزوله إلى الأرض بالوحي فهو من خواص الأنبياء عليهم السلام وقد مات خاتم النبيين صلى الله عليه وآله .

قال سلّمه الله تعالى : وما التوفيق بين قوله تعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وبين قوله تعالى : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ ، على حسب ما نحن فيه وكل ذلك لأجل المعرفة التي تمكن في حقنا بالنسبة إلينا وانتزاع المعرفة من نفسي والترقي إلى الموعظة الحسنة ثم الحكمة .

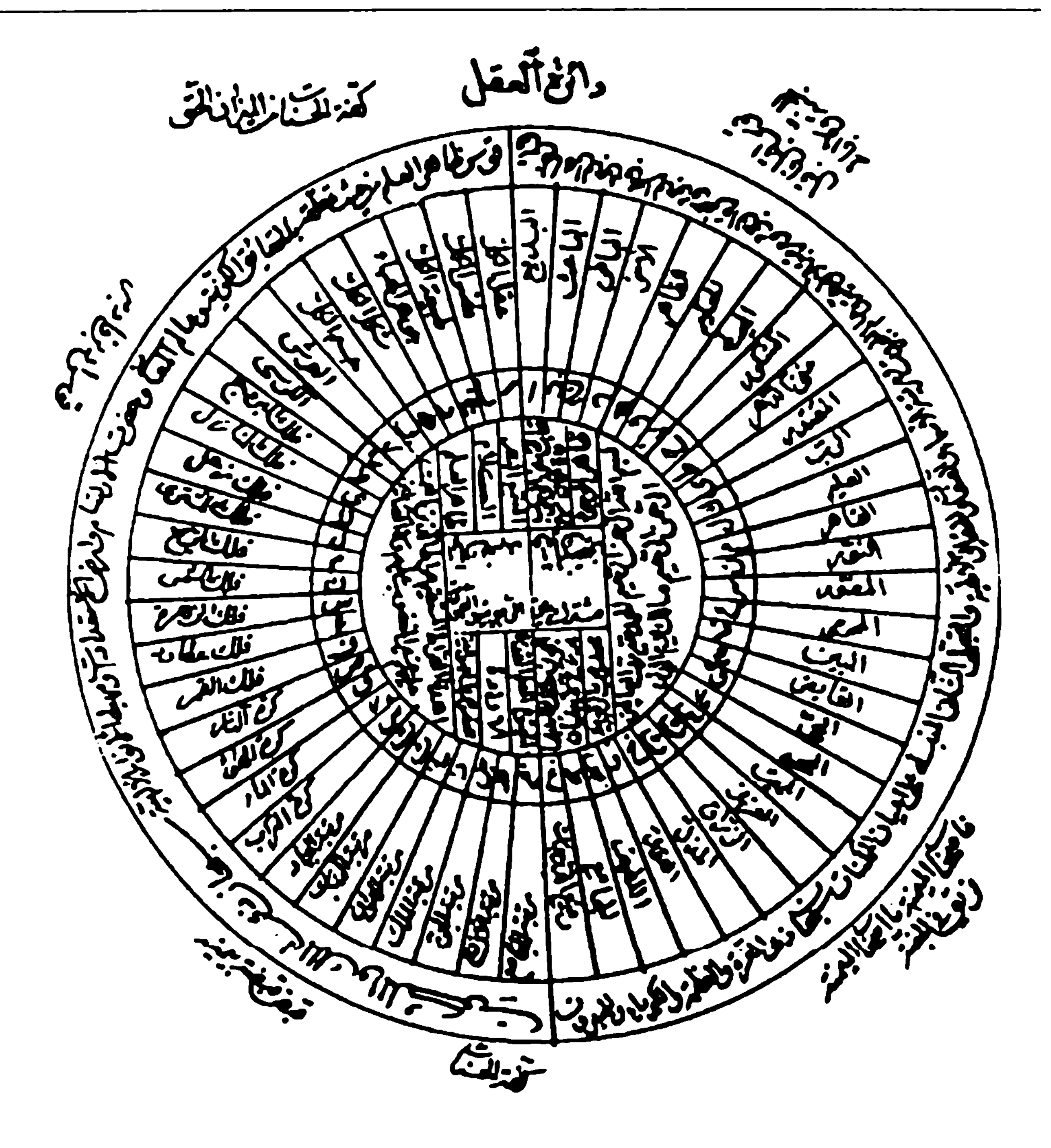
أقول : قد ذكر [ذكر قبل] بعض الإشارة إلى ذلك أن الأعمال صفة العاملين فلا تكون صفة زيد صفة لعمرو فلو وزر وزره ، لكان صفته صفته على أن الصفة إنما أوجدها الله بموصوفها فلا تكون موجودة بغيره ، وإلا لم تكن صفة له فلا يحمل شيء من حمل مثقلة وإن دعت إلى حملها وهذا حكم معقول ومنقول ، وأما قوله تعالى : ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ فهذا معنى قد تكفل ببيانه أخبار الطينة وأن هذه الأثقال من لطخ طينتهم فلا تنافي بينها وبين الأولى .

وأمّا قوله سلّمه الله : (على حسب ما نحن فيه وكل ذلك لأجل المعرفة التي تمكن في حقنا بالنسبة إلينا) الخ ، فقد أشير إلى مطلوبه على حسب ما يقتضيه الحال إلا ما لا يمكن القول به فقالوا عليهم السلام : **(ما كل ما يُعلم يُقال ولا كل ما يُقال حان وقته ولا كل ما حان وقته حضر أهله)** انتهى .

فكل ما حان وقته ذكر وقد أشير إلى أشياء [أشياء كتمتها الإشارات كما] كتمتها العبارات .

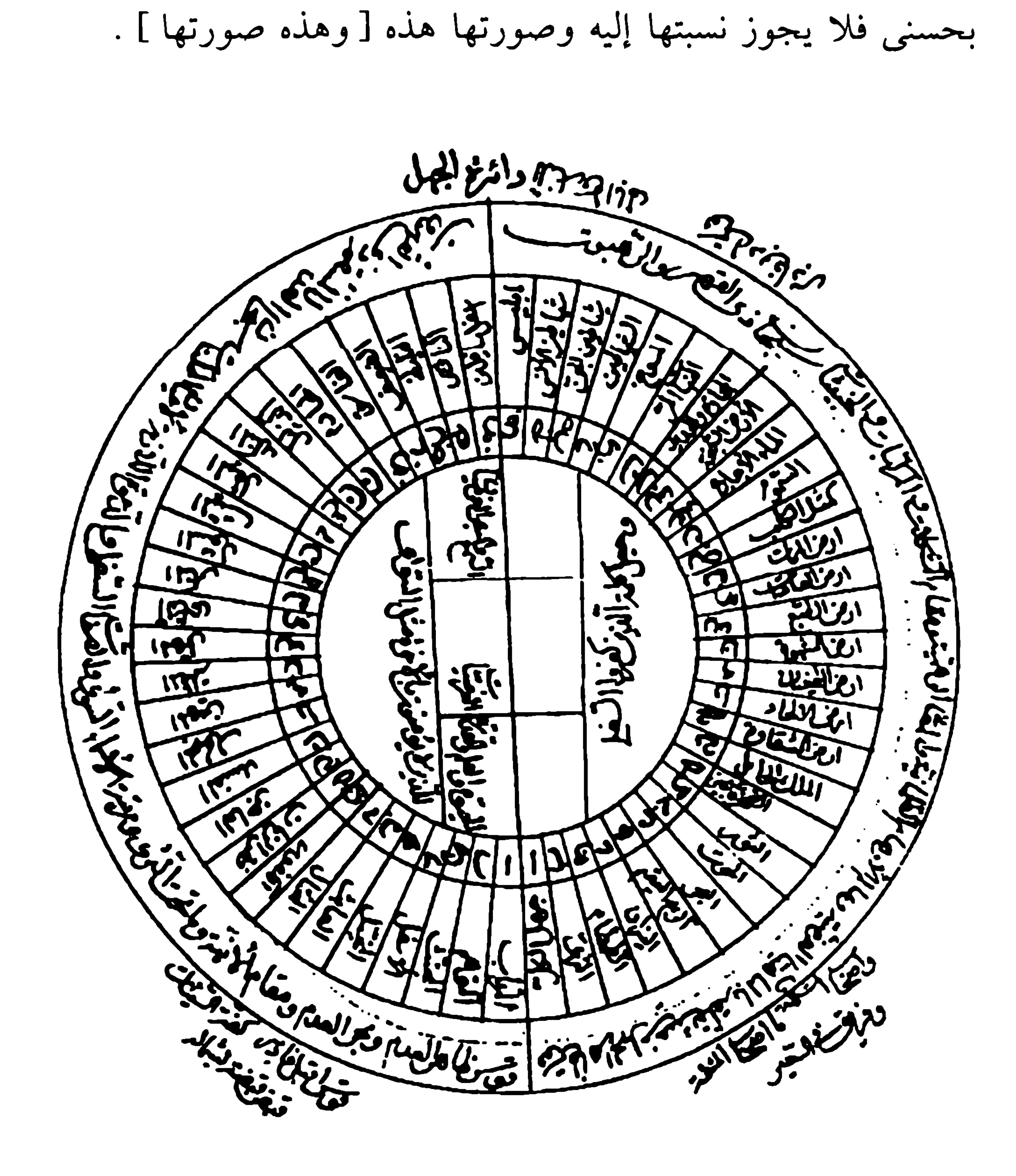
قال سلّمه الله تعالى : السادسة ـ أن تصف لنا وضع دائرة العقل وما يقابلها من الأسماء والحروف ، بأن يكون قوس أقبل وقوس أدبر وما يقابلهما من الأسماء مثل ما وصفت لك وكذلك الحروف ، وكذلك دائرة الجهل ليمكن وضعها على النحو الذي أشرت لك فيه .

أقول : أما معنى دائرة العقل ومقابلها بدائرة الجهل فقد تقدم ذكر ذلك ، ولم يبق إلا صورة تلك النقشية باعتبار ترتيب أنواعها على سبيل التمثيل ، واعلم أن وراء دائرة العقل التي حدثت من (**أدبر فأدبر وأقبل فأقبل**) ، وحدثت بحركتي هذه الدائرة دائرة الجهل فبإدبار العقل أقبل الجهل وبإقباله أدبر الجهل ، وستقف على مثال كل منهما فتراهما متعاكسين في الحقائق الكونية والأسماء والحروف ، ووراء هذه دائرة الأمر والإبداع ولها أسماء في الاصطلاح منها التعين الأول والقلم [العلم] المطلق والوجود المطلق والوحدة الحقيقية وفلك الولاية المطلقة والتجلي الأول والرابطة بين الظهور والبطون والمحبة الحقيقية والحقيقة المحمدية وقابلية الأولى ومقام أو أدنى وبرزخ البرازخ والبرزخية الكبرى وأحدية الجمع ووراء هذه الدائرة رتبة الذات والوجوب ولها أسماء باعتبار الاصطلاح منها اللاتعين وأزل الآزال وغيب الغيوب والوجود البحت ومجهول النعت وعين الكافور وذات ساذج ومنقطع الإشارات والمنقطع الوجداني وغيب الهوية وعين المطلق وذات بلا اعتبار ومرتبة الهوية ، وأما دائرة العقل ظاهراً فهي مشتملة على قوى ظاهر العلم وباطناً مشتملة على قوس ظاهر الوجود هذه صورتها :



وهذه دائرة الجهل وكفة السيئات من الميزان الحق وهي بعكس دائرة العقل في الوضع ، وفي الاقتضاء والأسماء والصفات وفيها عكس كل ما في تلك الدائرة ، دائرة العقل بحيث لو سقط شيء من دائرة العقل لم يسقط إلا على ضده العام من دائرة الجهل ، وإنما لم نذكر أسماء الإقبال والمقابلة بصورة الإقبال والصعود والنسبة إليه ظاهراً الوجهين أحدهما ، أن تلك الأسماء هي معارج الإقبال ودائرة الجهل لا صعود فيها ولا إقبال لها بالذات فلم نذكر الأسماء

المقابلة لما فيها من الأعيان . وثانيهما ، أن تلك الأسماء ليست بحسنى فلا يجوز نسبتها إليه وصورتها هذه [وهذه صورتها] .



واعلم أنه قد بدا لنا أن نذكر أسماءها السوأى فإنها أصحاب الشمال قال تعالى : ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ ، وتدبر

الوضعين يظهر لك المكتوم من البين وينحل عنك شرك الأين ، وما لم يذكر في هذه الدائرة فلأجل ما قلناه سابقاً فتدبّر والسلام على محمد وآله الطاهرين .

قال سلّمه الله تعالى : ما حدّ الزهد المبغي منا والذي ينبغي لنا والذي ينبغي استعماله ؟

أقول : إن الزهد له مراتب باعتبار مراتب الزاهدين : زهد المقربين قال صلى الله عليه وآله : (**لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به خوفاً مما فيه بأس**) ، وسئل الصادق عليه السلام عن الزاهد [الزاهدين] في الدنيا قال : (**الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عقابه**) وزهد أصحاب اليمين ما رواه السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت [قلت له] ما الزهد في الدنيا ؟ قال : (**ويحك حرامها فتنكبه**) ، يعني أن الزهد ترك ما حرّم الله وهو زهد أصحاب اليمين .

واعلم أن الزهد زهد عن الفاني ورغبة في الباقي فطالب الدنيا للآخرة ولما يريد الله زاهد وصدقه أن يتوكل على الله ولا يعتمد على ما سواه قال الصادق عليه السلام : (**ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ألا تكون بما في يديك أوثق منك مما [بما] عند الله عزّ وجلّ**) ، وكأنه عليه السلام يريد بقوله ولا تحريم الحلال إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ ﴾ يعني أن الزهد ليس ترك [بترك] ما أحلّ الله بل ما تثقه [بالثقة] بما عند الله وعدم الركون إلى دار الغرور وشكر النعم وشهودها من المتفضل بها ، قال أبو الطفيل عامر بن واثلة : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام

يقول : (**الزهد في الدنيا قصر الأمل وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرّم الله عزّ وجل**) انتهى .

وشكر النعمة [النعم] باللسان والجنان والأركان وسئل علي بن الحسين عليه السلام عن الزهد فقال : (**عشرة أجزاء فأعلى درجة الزهد ، أدنى درجة الورع وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا ألا وأن الزهد في آية من كتاب الله تعالى:** ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾) وفي النهج عنه عليه السلام ، (**الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال سبحانه وتعالى :** ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ **ومن لم يأس الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه**) انتهى .

ثم اسمع قوله تعالى [قوله الله] ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ الآية ، واعلم أن الأمانة اقتحام العقبة كما قال تعالى : ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ والعقبة على ثلاثة أحوال ، عقبة الولاية وعقبة التكليف وعقبة التوحيد ، **فالأولى** يعني التوالي بالأئمة عليهم السلام فك رقبة بهم وبمعرفتهم تفك الرقاب من النار ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ يعني به رسول الله صلى الله عليه وآله وقرباه ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ هو أمير المؤمنين عليه السلام ترب [يترب] بالعلم أي مستغنٍ به كثر علمه كأنه بقدر التراب والمراد بالتراب ما في اللوح المحفوظ مما كتب القلم [القلم وإليه الإشارة] بقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ﴾ يعني بموت العلماء .

فالمراد باقتحام العقبة موالاة يتيم ذا مقربة أو مسكين ذا متربة يعني محمداً صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ،

والثانية: عقبة التكليف وهي على ثلاث عقبات: الأولى عقبة الطاعة قولاً وفعلاً بموافقة الكتاب والسنّة بالإخلاص وهي رتبة العوام، والثانية: عقبة حفظ الجوارح عن [من] المحارم واستعمالها في الطاعة بموافقة الكتاب والسنّة بالإخلاص وهي للخواص، **والثالثة**: عقبة حفظ الباطن من الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية بموافقة الكتاب والسنة بالإخلاص وهي للخصيصين، وقدمت هاتين العقبتين لكونهما شرطين. **للثالثة**، وهي عقبة التوحيد أن تمحو الكثرة فإنها موهومة وأنت [أنت فيها] تتوجه إلى وحدة بحت وهي وجهه الذي حيثما تتوجه وإليه توجهك في حضرتك وغيبتك ومما ينبغي أن تخرق سفينة نفسك بمنقار الناقور وتطهرها من صفات الفجور لتخرج من الظلمات إلى النور على يد خضر العقل وكليم المناجاة وتقتل غلام شهوتك وتبني جدار طاعة الله لتستخرج كنز معرفته.

قال بعض العارفين: من خرق سفينة عجبه وقتل غلام تكبره وبنى جدار زهده كشف له عن سر معرفته بربّه وقال لنفس بلقيس والدنيا عرشها والقلب سليمان والآخرة ملكه والعقل الهدهد فسلط يا أخي هدهد العقل بمرسوم النقل على بلقيس النفس وهددها بجنود الحق ولا تقبل منها هدية الخداع وأرسل عليها عفريت الخوف ونكر لها عرش شهوتها وأمرها بالدخول إلى صرح التسليم فإذا قامت عليها الحجة وشهدته صرحاً ممرداً بعد ما كان لجة فعند ذلك ترجع إلى ربّها راضية وتسعد بالسعادة الأبدية [الأبدية مثل] النفس كمثل المرأة كلما تجدد لها ثوب ظهرت به للناس ليُرى عليها أو تدعوهم به إلى نفسها انتهى.

ثم اعلم أن الطهارة على ثلاثة أقسام : طهارة الشريعة بالماء والتراب وطهارة الطريقة بالتوبة عن السيئات وطهارة الحقيقة بعدم رؤية الحسنات ، والمعرفة على ثلاثة أقسام : معرفة العبد ذات وصفات وروح ، ومعرفة العبادة نية وأفعال وأقوال ، ومعرفة المعبود أسماء وأفعال وصفات ، والعلم على ثلاثة أضرب : علم شريعة وهو يؤخذ من المنقول بنظر العين أو سماع الأذن وطريقته الكسب بالدرس والسماع وثمرته الإخبار عن الله ، وعلم طريقه يدرك بالقلب بواسطة الإلهام وطريقه العمل بالأول مع الإخلاص والمجاهدة وثمرته المعرفة ، وعلم حقيقة وهو بالسر بفيض الحق من غير واسطة إلا نفس ذلك الفيض وطريقه العمل بالأولين وثمرته القرب والأنس والمشاهدة . فالأول شجرة ثابتة ، والثاني ثمرة دانية ، والثالث خاصية إلهية باقية فمن أرادها فعليه بتحصيل الثمرة الكاملة وليجتهد في إحسانها ومن أراد هذه فعليه بغرس الشجرة وإصلاح أرضها ، وتنقيتها ، وسقيها ، وكثرة تعاهدها عن الشوك وعن كل مفسد كالرياح والسبخ وكثرة السقي وقلة المضرين وتب عن ذلك كله توبة نصوحاً ، والتوبة على ثلاثة أقسام توبة بالأقوال وهي توبة العوام وتوبة بالأفعال وهي توبة الخواص وتوبة بالأحوال وهي توبة خواص الخواص فالأولى عن السيئات والثانية عن الحسنات والثالثة عما سوى الله .

واعلم أن العلماء قد ذكروا كثيراً من علوم الأخلاق وتهذيب النفس وكيفية سلوك الطريق المستقيم العادل إلى الله تعالى في كتبهم وأخبار أهل العصمة عليهم السلام مشحونة بذلك فمن أراده وقف عليه .

قال سلام الله تعالى : السابعة ـ شرح قول الإمام الهادي عليه السلام في رسالته لأصحابه في الأمر بين الأمرين والمنزلة بين المنزلتين وهذه صورته : (**من علي بن محمد سلام على من اتبّع الهدى ورحمة الله وبركاته . فإنه ورد علي كتابكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر ومقالة من يقول منكم بالجبر ومن يقول بالتفويض وتفرّقكم في ذلك وتقاطعكم وما ظهر من العداوة بينكم ثم سألتمونا [سألتموني] عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كله**) .

أقول : هذه الرسالة الشريفة نقلها الشيخ المفيد رحمه الله من كتاب تحف آل الرسول صلّى الله عليه وعليهم وقد اشتملت من بيان المنزلة بين المنزلتين في أفعال العباد والرد على أهل الجبر والتفويض على ما لا يوجد مثله من البراهين القاطعة الإلزامية من طريق المجادلة بالتي هي أحسن وقد تضمنت أدلة الموعظة الحسنة وأدلة الحكمة على أكمل وجه .

وينبغي أن نقدم قبل الشروع في الكلام عليها كلمات في الإشارة إلى بيان رتبة هذه المسألة وأنها لا ينبغي أن يخوض فيها إلا الأقلون الذين هم أعز من الكبريت الأحمر وأقل من الغراب الأعصم ، وإلى بيان أقل ما يكفي من الاعتقاد فيها لغير الأقلين ، وإلى بيان حقيقة مبدأ المنزلة المشار إليها ، وإلى بيان مصدرها ومحلها ومتعلقها وغير ذلك ، إلّا أن الكلام في ذلك كله على سبيل الإشارة والاختصار والاقتصار لأن بسط الكلام فيها حتى تنجلي لكل ناظر تملأ الأسفار ويفني الأعمار ويشغل الليل والنهار .

فأقول : اعلم أن هذه المسألة أحدّ من السيف تشق الأقدام وأدق

من الشعر تزلّ الأقدام عند السير [المسير] عليها ، لأن فيها عقبات كؤود لا يقطعها بسهولة إلا محمد وأهل بيته سلام الله عليهم حتى أنهم نهوا عن الكلام فيه وحذّروا كل التحذير ، روى الصدوق بسنده أن رجلاً سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن القدر فقال عليه السلام : (**بحر عميق فلا تلجه**) ثم سأله ثانية فقال عليه السلام طريق مظلم فلا تسلكه ثم سأله ثالثة فقال عليه السلام ستر [سر] (**الله فلا تتكلفه [فلا تهتكه]**) ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في القدر : (**إن القدر سرّ من سرّ الله وستر من ستر الله وحرز من حرز الله مرفوع من حجاب الله موضوع عن خلق الله مختوم بخاتم الله سابق في علم الله وضع الله العباد عن علمه ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانية ولا بعظمة النورانية ولا بعزة الوحدانية لأنه بحر زاخر مواج خالص لله عزّ وجلّ عمقه ما بين السماء والأرض عرضه ما بين المشرق والمغرب أسود كالليل الدامس كثير الحيّات والحيتان يعلو مرة ويسفل أخرى في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطلع عليها إلا الواحد الفرد فمن تطلع عليها فقد ضاد الله في ملكه ونازعه في سلطانه وكشف عن ستره وسرّه وباءَ بغضبٍ من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**) انتهى .

وإنما حذّر عليه السلام عنه لأن العقل لا يدرك الأستواء فيه لأن ذلك فوق العقل ولا تعلم الطريق المثلى فيه إلا بطور وراء العقل وهو الفؤاد المعبّر عنه بالتوسم في قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ وبالوجود وبنور الله في قوله عليه السلام : (**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى**) فلا يوجد [نعم قد يوجد] من يكون عنده ذلك النور ولا يعلم المنزلة ولقد وقفت على كثير من

كلام العلماء الفحول من أهل العرفان وأصحاب الأنوار الشعشعانيّة كشيخنا الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي في المجلى وشيخنا الملا في الوافي ، وقرة العيون وسائر كتبه وغيرهما من العلماء الذين يشقون بمتشابه علومهم الشعر ويستخرجون بغوامض أفكارهم من لجج بحار المعاني والأسرار الدرر فإذا وصلوا إلى هذه المنزلة خبطوا خبط عشواء وتاهوا في حندسها تيه عمياء ولا يزدادون بالتعمق فيها إلا بعداً ولا يهتدون إليها رشداً لأن تلك الأنوار التي نظروا بها قد مزجوها بظلمة من علوم مبنية على قواعد غير مشيدة بنور الله وإنما هي من كلام بعض الحكماء ، ممن سقط إليه من الحق شيء خفي عليه مفصوله وموصوله فهيأ له مبادىء وأسباباً رتبها بفكره ومن أقوال بعض العلماء ممن نال شيئاً ناقصاً فتممه من صدره وسطره ولم يعلموا أن الفكر والعقل وما حواه الصدر من العلم قاصرة عن ذلك إذ لا يدركه إلا ما كان منه ولا يعود إليه إلا ما برز عنه ولهذا قال الصادق عليه السلام كما رواه المفيد [الصدوق] رحمه الله في توحيده عنه عليه السلام : (**لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما فيها الحق أوسع ما بين السماء والأرض التي فيها الحق لا يعلمها إلا العالم أو من علمها إياه العالم**) انتهى .

وإلى ذلك الإشارة بما رواه في البصائر عن الصادق عليه السلام : (**إن حديثنا صعب مستصعب شريف كريم ذكوان ذكي وعر لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن . قيل : فمن يحتمله ؟ قال عليه السلام : مَن شئنا وفي رواية نحن نحتمله**) انتهى .

فأبان عليه السلام أن هذه المنزلة بين المنزلتين لا يعلمها أحد إلا بتعليم العالم وهو الإمام عليه السلام فلا يسلكها إلا الأقلون وهم المعلّمون الذين نظروا بنور الله وكل من سواهم فيكفيه أن يعرف أن الله سبحانه لم يجبر العباد على الأفعال ، ولم يفوّض إليهم الأمور [الأمر] بل كلف تخييراً ونهى تحذيراً . فإذا اعتقد على سبيل الإجمال أنه تعالى لم يهمل العباد في أفعالهم ولم يجبرهم عليها كما قال الرضا عليه السلام : (**إن الله لم يطع بإكراه ولم يُعصَ بغلبة ، هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه**) . كان مؤدياً لما يُراد منه ولا يكلف الخوض في هذه اللجج الغامرة ولا معرفة المنزلة بين المنزلتين بالكنه لتعذر ذلك على كثير من الناس .

أما الأقلون المشار إليهم فعليهم ذلك لأنهم مرابطون على الثغر الذي تهجم منه جنود الشياطين على رعيّتهم من المسلمين ، فإنهم إذا قبلوا منهم الرعية حرقت أنوارهم جنود الشياطين ، فعليهم ذلك لتوقف الدفاع عنهم عليه ولا يجوز لهم تركهم لأنهم أنعامهم كما قال الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ وقال الباقر عليه السلام : (**الناس كلهم بهائم إلا قليل من المؤمنين ، والمؤمن قليل والمؤمن قليل**) .

وأما مصدرها فعلم أن أول فائض من الإبداع الوجود ، وهو الموجود من حيث ربّه لا من حيث نفسه والماهية وجدت تبعاً للوجود وهي الحيثية الثانية ، أما الوجود فهو الماء الذي به حياة كل شيء وهو أثر الرحمة قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ

مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًاۚ ﴾ ، فالرحمة هي النقطة التي هي السر المقنع ، بالسر والرياح النفس الرحماني والألف الأولى ، وبعده السحاب المزجي وهو مذكور في هذه الآية في قوله تعالى : ﴿ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾ وهي الحروف قبل التأليف والسحاب الثقال المشيّة والإبداع وعالم كن والكاف المستديرة على نفسها والكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر ، وهذه الأربعة هي مراتب الإبداع والمشيّة وعالم الأمر ، والماء المنزل هو الوجود والبلد الميت أرض الجرز والقابليات والماهيات والزيت المضيء ، والدواة الأولى والبلد الطيب الماهية الطيبة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، والذي خبث من الماهيات لشدة إنيته لا يقبل الوجود إلا نكداً أي إلا ما جرى عليه من الكون لا ما يقربه من اختياره .

ولا تتوهم أن الماهيات لها وجود قبل الوجود ، لا في العلم ولا في الاعتبار ولا في الخارج وإلا لاستغنت عن الوجود لأنها إنما كانت شيئاً بالوجود وشيئيته وهذا حكمها في كل مقام لها من الوجوب ، والجواز لا يقال أنها إنما أوجدها كما علمها وإلا لزم الجبر لأنّا نقول لو كان كذلك لزم ثبوت شيئيتها قبل الوجود فيلزم قِدَمها لأنها غير موجودة فتعدد القدماء ويلزم أنها أعطته علمه بها كما قاله بعض المتمشرقين فيكون محتاجاً إليها في علمه بها وإنما أوجدها كما علمها على ما هي عليه مما يمكن لها لذاتها ، وما يمكن لها لذاتها إلا ما اقتضته من مشيّته لها ، وما شاءها إلا كما اقتضته من مشيّته ، إذ لا شيئية لها إلا بمشيّته وإنما اشتق الشيء من

المشيّة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يوم الغدير قال : (**إذ كان الشيء من مشيّته**) فلا ثبوت لها ولا شيئية قبل الوجود ولم يشأ إلا ما علم إذ لا يمكن في المشيّة إلا ما علم فلا شيئية لغيره إلا بمشيّته ، نعم الماهية هي شيئية الوجود من حيث نفسه لأنه لا شيئية له من حيث موجده فافهم .

ولي كلام ذكرته في خطبة أنشأتها في عيد الأضحى ، فيه بيان حقيقة هذه المنزلة فتدبره تظفر بمرادك وهو قولي في الثناء عليه تعالى ، أنشأ ما انشأ لا من شيء فيكون معه وابدأ ما أراد لا بشيء [لشيء] وإلا لما ابتدعه بل خلق الخلق على مستقرهم إذ خلقهم بدعوة سرهم فأعطاهم ما سألوه من حكمهم وفطرهم إذ شأن المختار اختيار شأن أمرهم ولو كان موجباً لجرى فعله بقسرهم فتعالى في غنى ذاته وعزة أفعاله وصفاته عن خَيرِهم وشرِّهم ، (**بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون**) انتهى .

وقد تقدم مراراً الإشارة إلى ذلك خصوصاً عند الكلام على قوله صلى الله عليه وآله : (**اللهمّ زدني فيك تحيراً**) ، ولما كانت الماهية لا وجود لها إلا بتبعية الوجود كانت مشيّة الله للوجود ولجميع كمالاته أولاً وبالذات ومشيّته سبحانه للماهية ولجميع كمالاتها ثانياً ، وبالعرض فتكون مشيّة العبد للحسنة بالذات لأنها من كمالات الوجود من مشيّة الله لها بالذات لأنه تعالى شاء الوجود وكمالاته بالذات ومشية العبد للسيئة بالذات لأنها من كمالات الماهية من مشيّة الله لها بالعرض ، لأنه تعالى شاء الماهية وجميع كمالاتها بالعرض والماهية ضد العام للوجود ، وكل شيء من كمالاتها ضد عام لعكسه من كمالات الوجود وأما محلها فاعلم أنه

لما فاض الوجود من كتم الوجود انعكست عنه الماهية لأنها ظلمة [ظله] وانفعاله عند فعل القادر ويعبر عن الوجود بالنار وعن الماهية بالزيت ، وعنه بالكلام وعنها بالمعنى وعنه بالماء وعنها بالأرض الميتة ومجموعهما الإنسان ، ولما كان الممكن لا غناء له عن المدد في حال وإلا لم يكن حال انقطاعه عن المدد شيئاً وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ وكان مدده من ثمرات أقواله وأفعاله وأحواله ، لأن الله سبحانه يوجد صفة الشيء بذلك الشيء وإلا لم يكن صفة [صفته] بل هي شيء آخر وإليه الإشارة بقول عليّ عليه السلام : (**وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله**) .

ولما كان الإنسان مركباً من شيئين متضادين كل منهما طالب لكماله وغذائه ولا يكون إلا من جنسه وكان لكل منهما ميل وشهوة إلى ما طلب وكسب لذلك السبب تركبت فيه الشهوة المركبة ، إلا أن تركبها على سبيل التعاقب والبدل لأنها في الحقيقة شهوتان متضادتان [متضادان] وللوجود وجه خاص به وباب يستعمله في مطالبه وهو العقل وللماهية وجه خاص بها وباب تستعمله في مطالبها وهو النفس الأمارة بالسوء يجمع منشأهما القلب فالعقل عن يمينه والنفس عن شماله وله أذنان وعلى كل حال منهما داع من الرحمٰن ، فعلى اليمين داعي العقل وهو ملك مؤيد يلقي إليه المعونة من الله على فعل ما طلب الوجود وندبه إليه من كمالاته الثابتة وذلك الملك صورة الرأس القائم الخاص بذلك الشخص من العقل الأول المنطبعة في المرآة اليمنى التي هي العقل من قلب ذلك الشخص ، وعلى الشمال داعي النفس وهو شيطان مقيض

يلقي إليه الخذلان بالله لا منه في تزيين فعل ما طلبت الماهية وندبها إليه من كمالاتها المجتثة التي لا قرار لها وذلك الشيطان صورة الرأس المنكوس الخاص بذلك الشخص من الجهل الأول المنطبعة في المرآة الشمال التي هي النفس الأمارة [الأمارة من] قلب ذلك الشخص وأمدّ سبحانه الملك بجنود من مقتضيات الفضل والرحمة واللطف والإيقان وأمّد سبحانه الشيطان بجنود من مقتضيات العدل والغضب والقهر والخذلان .

فالإنسان بين آمر وناهٍ من نفسه وجعل سبحانه للعبد الآلة والصحة وهي [هي التي] يكون العبد بها متحركاً مستطيعاً للفعل مدداً وإعانةً على الطاعة لكنه عزّ وجلّ جعلها صالحة للمعصية [للمعصية لأن ذلك الصلوح من تمام قابلية كون الطاعة طاعة ، إذ لو لم يصلحا للمعصية] لم يقدر العبد عليها وإذا لم يقدر عليها كان مضطراً إلى الطاعة فلا يكون مطيعاً ، إذ الطاعة لا تتحقق حتى يقدر على المعصية وتركها ويفعل الطاعة مختاراً والوجود والماهية متشابهان متضادتان كالشاخص وظله وكذلك شهوتاهما وإرادتاهما وباباهما ومطلوباهما ليتحقق الاختيار والصلوح في الآلة والصحة .

قال تعالى : ﴿فَجَعَلْنَهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ وإلى تركب الداعي والشهوة في الإنسان المستلزمان للاختيار أشار الصادق عليه السلام ، فيما كتب على يدي عبد الملك بن أعين حين كتب عبد الرحيم القصير على يدي عبد الملك بن أعين كما رواه الصدوق رحمه الله في توحيده فكتب عليه السلام : (**سألت عن المعرفة ما هي ؟ فاعلم رحمك الله تعالى أن المعرفة من صنع الله عزّ وجلّ في القلب مخلوق والجحود صنع الله في القلب مخلوق وليس للعباد فيهما**

صنع ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب فبشهوتهم الإيمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين وبشهوتهم الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضلالاً وذلك بتوفيق الله لهم وخذلان من خذله الله فبالاختيار والاكتساب عاقبهم الله وأثابهم) .

ثم قال عليه السلام بعد ذلك : (**وسألت رحمك الله عن الاستطاعة للفعل فإن الله عزّ وجلّ خلق العبد وجعل له الآلة والصحة وهو القوة التي يكون العبد بها متحركاً مستطيعاً للفعل ولا متحرك إلا وهو يريد الفعل وهي صفة مضافة إلى الشهوة التي هي خلق الله عزّ وجلّ مركبة في الإنسان فإذا تحركت الشهوة في الإنسان اشتهى [اشتهى الشيء] وأراده فمن ثم قيل للإنسان مريد فإذا أراد الفعل وفَعَل كان مع الاستطاعة والحركة مستطيعاً متحركاً فمن ثم قيل للعبد مستطيع متحرك ، فإذا كان الإنسان ساكناً غير مريد للفعل وكان معه الآلة وهي القوة والصحة اللتان بهما تكون حركات الإنسان وفعله كان سكونه لعلّة سكون الشهوة فقيل ساكن ووصف بالسكون فإذا اشتهى الإنسان وتحركت شهوته التي ركبت فيه اشتهى الفعل وتحركت بالقوة المركبة فيه واستعمل الآلة التي يفعل بها الفعل فيكون الفعل منه عندما تحرك واكتسبه فقيل فاعل ومتحرك ومكتسب ومستطيع أو لا ترى أن جميع ذلك صفات يوصف بها الإنسان**) الحديث .

فافهم ما ألقي إليك وما تضمّنه هذا الحديث الشريف ، فإن في ذلك تمام بيان الحقيقة بالحق وإن أردت زيادة البيان فعليك في رسالتنا التي وضعناها في هذ الشأن لشيخنا الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد أبي دندن الأحسائي وبرسالتنا التي كتبناها للشيخ

عبد الله ابن الشيخ مبارك القطيفي الجارودي فإنهما قد تكفلتا بطلبة الطالبين ورغبة الراغبين في الحق واليقين وقد تركت أشياء ينبغي أن أذكرها هنا اكتفاء بإيراد هذا الحديث لأنه تكفل بها فتدبره وإنما اكتفيت به لأني لو بيّنت ذلك طال فيه الكلام والحمد لله وحده .

وأمّا متعلقها فهو جميع ما في الأرض لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وجميع الأعمال والأقوال والأحوال مما يتعلق به التكليف وجميع المعتقدات من مدركات العقول والخيالات والأفكار ومظاهرها وبرازخها وبالجملة كل ما يتعلق به التكليف وتفصيل ذلك يظهر للعارفين المراقبين العاملين .

واعلم أن لهذه أمثالاً ذكرها الله تعالى في كتابه على سبيل التلويح والتنبيه وخلق تلك الأمثال في الإنسان وفي العالم قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ وقال : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ ، وتلك الأمثال لا يمكن حصرها ولهذا قال الشاعر :

كل شيء فيه معنى كل شيء
فتفطن واصرف الذهن إلي
كثرة لا تتناهى عددا
قد طوتها وحدة الواحد طي

ولكن منها كلام الإنسان ومنها الصورة في المرآة أو [و] غير

ذلك مما لا يحصى وأظهر الأمثال نور الشمس والظل ولنمثل فيه لظهوره ، فنقول : إن الشمس إذا أشرقت وقع نورها الذي لا يخرج عن قبضتها على وجه الجدار وإن شئت قلت على يمينه فظهر ، فبظهوره الظل عن خلف الجدار وإن شئت قلت عن شماله فاستنار وجه الجدار بنور الشمس وأظلم خلف الجدار بالظل وتلك الاستنارة من الشمس وإليها تعود إلا أنها لا تظهر إلا بالجدار إذ لولاه لم تظهر الاستضاءة ، وإن كانت موجودة عند الشمس وأولى بها من الجدار ألا ترى أنها إذا غربت تبعتها الاستنارة والظل الذي بدا من الجدار وإليه يعود إلا أنه لا يظهر إلا بالشمس لا منها وإلا لعاد إليها لكنه لا يتحقق إلا بالشمس .

ألا ترى كيف تحركه وتصرفه وبتحركها يتحرك وإن لم يتحرك الجدار قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ فالجدار أولى بالظل لأنه منه ويعود إليه وبالشمس لا منها ولا إليها فالشمس الظاهر ، أعني القرص الذي تشعشعت عنه الأنوار مثل للوجود المطلق الذي هو عالم الأمر والإبداع والمشيّة والنور الظاهر على يمين الجدار ، هو الوجود والظل الظاهر على شمال الجدار ، هو الماهيّة ومجموعهما هو الإنسان وإن شئت قلت النور الظاهر على يمين الجدار مثال للحسنة والظل الظاهر على شمال الجدار مثال للسيئة . وقد قلنا آنفاً إنه لولا الجدار لم يظهر نور الشمس ، وإن كانت أولى به لأنه نورها ولولا الشمس لم يظهر ظل الجدار وإن كان أولى به من الشمس لأنه ظله ولهذا قال تعالى في الحديث القدسي (**أنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني**) الحديث .

وهو كما نقول في المثال المذكور حرفاً بحرف الشمس أولى بالنور الظاهر على الجدار ، والجدار أولى بالظل من الشمس وكما تقول إرادة الشمس أي إيجادها للنور الظاهر أولاً وبالذات وللظل ثانياً وبالعرض لأن إيجادها للظل إنما هو تبع لإيجاد النور كذلك تقول إيجاد الله للحسنة أولاً وبالذات وإيجاده للسيئة ثانياً ، وبالعرض لأن إيجاده سبحانه للمعصية إنما هو تبع لإيجاد الطاعة لأن إيجاد المعصية ثانياً من تمام قابلية الطاعة للإيجاد أولاً ، وإلا لم تكن الطاعة طاعة ولأنها إنيتها كما أشرنا [أشير] إليه فيما مر [مر فلاحظ تفهم إن شاء الله تعالى] ولاحظ رسالتينا المذكورتين تزدد بياناً والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ويأتي إن شاء الله تعالى زيادة بيان .

وإذ قد انتهينا إلى هنا فلنشرع في المقصود على سبيل الاقتصار والاختصار [الاختصار والاقتصار] بين تلويح وتصريح فنقول قوله عليه السلام (**وخوضكم في القدر**) ، يشير إلى أنكم لم تسلكوا طريق الحق في القدر الذي هو المقام الثالث من مقامات عالم الأمر والذي هو وضع الحدود والهندسة والتقدير في أفعال العباد حيث لم تستضيئوا بنور العلم ولم تلجؤوا إلى ركن وثيق .

وقوله عليه السلام : (**ومقالة من يقول منكم بالجبر**) يعني به أصحاب أبي الحسن الأشعري ومن حذا حذوهم فإنهم ذهبوا إلى أنه لا مؤثر في الوجود إلا الله المتعالي عن الشريك في الخلق والإيجاد يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا علّة لفعله ولا رادّ لقضائه ، (**لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون**) ولا مجال للعقل في تحسين الأفعال وتقبيحها بالنسبة إليه بل يحسن صدورها عنه تعالى

والأسباب التي ارتبط بها وجود الأشياء بحسب الظاهر ليست أسباباً حقيقة ولا مدخل لها في وجودها لكنه تعالى أجرى عادته بأنه يوجد تلك الأسباب أولاً ثم يوجد المسببات عقبها فكل من الأسباب والمسببات صادرة عنه ابتداء كذا قالوه وأنت إذا تأملت كلامهم وجدته على ما فيه من التناقض مثل قولهم أسباب ولا مدخل لها فإنها إذا كانت أسباباً ولو ظاهراً كان لها مدخل وإلا فلا ورأيته ليس مغترفاً من علم وإنما هو تمويه وفتنة وزيغ طلباً للاستغناء عن الحق وأهله ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ مع ما فيه من لزوم نسبة الظلم إلى الله تعالى الذي نزّه نفسه منه [عنه] وتمدح بنفيه عنه ومن ردّ قوله والعمل بقولهم حيث يقول : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ، ويأتي إن شاء الله ما يبرد الغليل [الغليل ويشفي العليل] .

وقوله عليه السلام : (**ومن يقول بالتفويض**) ، يشير به إلى أصحاب واصل بن عطاء من المعتزلة ومن حذا حذوهم ممن يقول بالتفويض فإنهم ذهبوا إلى أن أفعال العباد مخلوقة بقدرتهم واختيارهم ليس لله في ذلك مدخل ، فأشركوا من حيث لا يعلمون ولقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في شأن المفوضة وهم القدرية قال عليه السلام : (**إن أرواح القدرية تعرض على النار غدواً وعشياً حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة عذّبوا مع أهل النار بأنواع العذاب فيقولون يا ربّنا عذبتنا خاصة وتعذبنا عامة فيرد عليهم** ﴿ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾) انتهى .

مع ما يلزم في ذلك من تكذيب الآيات مثل : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ وإبطال الروايات مثل قول الرضا عليه السلام : (**إن الله لم يُطع بإكراه ولم يُعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه**) الحديث .

ولقد رأيت كثيراً ممن يقول بالمنزلة بين المنزلتين ويكفر أهل الجبر ولا يعرف مرادهم وإن كانوا مخطئين ، ويكفر أهل التفويض وهو منهم وإن كانوا كاذبين حيث إن من رأيت يقول إن الله سبحانه وتعالى ليس له في أفعال عباده إلا الأمر والنهي القوليان المعروفان عند العامة ، وإنه خلق لهم الآلة والصحة الصالحتين ثم رفع يده عنهم وهذا في الحقيقة نفس التفويض وهل هذا إلا مثل من أمره سيده بأن خُذ هذه المئة الدينار وامضِ يوم الخميس واشتر من سوق بغداد من فلان الشيء الفلاني ، ثم مضى العبد عن سيده فلو كان كذلك لوقع الوصل في الحال الأولى والفصل في الثانية ولكان لله تعالى حالين [حالان] ولما كان مالكاً لما ملكهم ، ولخرج عن يده ما في قبضته ولما كان مع كل شيء لأن الحال الثانية غير الأولى ولما صح .

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ يعني من كل شيء على السواء إلى غير ذلك ولما لم يدركوا غير هذا القول أو الجبر وعرفوا بطلانهما قالوا : إن التفويض هو القول بالاستقلال ، وأما إذا قلنا إنه خلق الآلة والصحة وعرفنا النجدين وأمر ونهى فهذا هو المنزلة بين المنزلتين ولا يعلمون أن ذلك نفس التفويض وإنما المنزلة بين المنزلتين هو أن نقول إنه خلق بإرادتنا المستخدمة لآلاتنا وما يترتب عليه من نحو العمل أفعالنا إلا أن خلقه الطاعة [للطاعة] بالذات

والمعصية [للمعصية] بالعرض فلو خلقنا لا بإرادته كان تفويضاً ولو خلق لا بإرادتنا كان جبراً ولو خلق [خلقه] وخلقنا معه كل مستقل بإرادته كما قال بعضهم : إن كلا القدرتين متعلقتان بالفعل الواحد أولاً وجوز اجتماع علتين على معلول واحد لكنّا مستغنين في إيجادنا فنكون مستغنين في وجودنا ، هذا هو الشرك الصريح ولو خلق المعصية بالذات كما تقول الجبرية لم يعرف الخالق من المخلوق لأن الله سبحانه لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه للدلالة عليه ولو خلق الطاعة بالعرض كما يلزم المفوضة لكان مراده غير الطاعة والمعصية ، فإذا لم يكن غيرهما كان مراده لم يكن قط فوجب ما أوجبنا وسقط ما أسقطنا :

فمن كان ذا فهم يشاهد ما قلنا
وإن لم يكن فهم فيأخذه عنا
فما ثم إلّا ماتلوناه فاعتمد
عليه وكن في الحال فيه كما كنا

الأبيات ، فكأني بقوم إذا سمعوا ما أقول وفهموا معناه قالوا آمنا به وكأني بآخرين إذا سمعوه [سمعوا] تاهت خواطرهم فيه ولم يفهموه وإن استحسنوه :

قد يُطرب القمري أسماعنا
ونحن لا نفهم ألحانه

وكأني بآخرين إذا سمعوا كلامي هذا وأمثاله في كثير مما مرّ قالوا فيه ارتفاع لأن فيهم انخفاضاً أو قالوا هذيان ووزنوه بموازينهم المعوجة لأنهم لا يحسنون السباحة وغرقوا في تلك اللجة ، ﴿ وَلَوِ

ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ ، وإنما كتبت هذه الكلمات التي ليست من ظاهر المقصود لأني أتيت بها تنبيهاً للمتسرع قبل التأمل وترهيباً للمتورّع عن التحمل فافهم .

وأمّا حصر المفيد رحمه الله التفويض في معنى قوله إن التفويض هو القول برفع النظر عن الخلق في الأفعال والإباحة لهم مع ما شاؤوا من الأعمال وهذا قول الزنادقة وأصحاب المباحات انتهى .

فإن أراد معنى اصطلح عليه فلا مشاحة [مشاحة فيه] وإن أراد أنه هو المعنى المراد فدون ذلك خرط القتاد ، أما سمعَ ما في رواية حريز وابن مسكان في التعريض بأصحاب التفويض عن أبي عبد الله عليه السلام : (**أنه لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع بمشية وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب فمن زعم أنه يقدر على نقص واحدة فقد كفر**) ، وعن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال : (**لا يكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلا بسبع بقضاء وقدر وإرادة ومشيّة وكتاب وأجل وإذن فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله أو ردّ على الله**) انتهى .

وقال الصادق عليه السلام : (**ومن زعم أن الخير والشّر بغير مشيّة الله فقد أخرج الله من سلطانه ، ومن زعم أن المعاصي بغير قوة الله فقد كذّب على الله ، ومن كذب على الله أدخله [أدخله الله] النار**) انتهى .

ولا يقال إن هذا يلزم منه الجبر لأنا قد بيّنا مراراً في أجوبتنا في

هذه المسائل المتقدمة وسيأتي أن هذا هو المنزلة بين المنزلتين ، وإنّما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**طريق ظلم فلا تسلكه**) ، لأنه عليه السلام يعلم أنه الصراط المستقيم أحدّ من السيف وأدق من الشعر ، فإن أمكنك على سلوكه بمصباحنا وإلا فلا تكذب بما لم تحط به علماً ولما يأتك تأويله .

وقوله عليه السلام : (**وتفرقكم في ذلك وتقاطعكم**) الخ ، اعلم أن غير أهل الحق من القائلين بالجبر والتفويض لما كانوا أصحاب الدولة والمملكة ولم يسلموا ولم ينقادوا لأهل الحق عليهم السلام ، بل استكبروا وعتوا عتواً كبيراً ، تلبّسوا في كل صورة حتى انخرط بهم الشيطان في وادي الخذلان إلى التلبس بالعلم وخاضوا فيه بغير مصباح هدى فخبطوا في الظلمات وأسسوا الشبهات لأن كل مفتون ملقن حجته ، ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ .

ولما كان اتّباع أهل الحق ضعفاء يخافون أن يتخطفهم الناس عاشروهم وجلسوا معهم وتكلّموا معهم في ذلك ، دخل على بعضهم من الضعفاء تلك الشبهات لقرب الشبهة من ذلك اللطخ الذي ترى فيهم في الأظلة فقال منهم بالجبر وقال منهم بالتفويض : وذهبوا منهم [مثلهم] كل مذهب ، فنصبوا لهم ساداتهم عليهم السلام علامات عند شبهات الطرق للطريق المستقيم وجعلوا تلك العلامات مرموزة المراد مطوية [مطلوبة] المقصود لئلا يطّلع عليها إلا من شاؤوا كما قالوا عليهم السلام ، وجعلوا لها صورة ظاهرة تغني من اقتصر عليها إذ حسن القول ما لم يضمر خلافه عن قصد

له إذا لم يقدر على المعنى المستور كافٍ في المأمور به لأنه حينئذٍ هو المقدور وإنما ناسب [ناسبت] الشبهة لمبادئها فيهم وأشبهت عليهم لأن داعي الحق يوحي إلى عقل المرء فيميل العقل بشهوة الوجود إلى أحد نهاياته ومطالبه مما له أو لأحد مراكبه ويرى المرء ميلاً من نفسه إلى ذلك الشيء الذي يطلبه وداعي الباطل يوسوس إلى نفس المرء الأمارة فتميل النفس بشهوة الماهية إلى أحد نهاياتها ومطالبها مما لها أو لأحد مراكبها ، ويرى المرء ميلاً من نفسه إلى ذلك الشيء الذي يطلبه وإن كان الداعي الأول هو الملك والثاني هو الشيطان ، لأنه الذي لا يرى شيئاً من خارج فيطيع الملك ويعصي الشيطان وإنما يكون ميله إلى أحد مطلوبيه فلما كان ميل النفس مشتبهاً لميل العقل ومطلوب النفس مشتبهاً لمطلوب العقل وكلّ من المطلوبين خلق الله منه كفاية طالبه بحيث لا يجوز أن يطلب الحق [العقل] من مطالبه شيئاً لا يجده إلا في [في مطالب] النفس أو تطلب النفس شيئاً من مطالبها لا تجده إلا في مطالب العقل فلا يكون ممكناً ، فلا يكون مختاراً .

وكانت أيضاً الآلة والصحة صالحتين لأن يستعملها العقل في مطالبه والنفس في مآربها فلما كان كذلك اشتبه الداعيان اللذان هما من المرء ولا يعلم أنهما [أيهما] داعي العقل فيتبعه أو داعي النفس فيجتنبه فأكمل الله به [عليه] الحجة بحجة منه كاملة ، وهي الأنبياء والأوصياء عليهم السلام الأقوياء الذين لا يلتبس عليهم داعي الرحمٰن وداعي الشيطان الذين عصمهم بتسديده وأيدّهم بتأييده واختارهم لذلك قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ فوضعوا عليهم السلام على كل شيء دليلاً مطابقاً

وشاهداً ناطقاً لئلا يضلّوا ، فمن لم يأخذ عنهم هلك من حيث لا يعلم وإليهم الإشارة بقول الصادق عليه السلام : (**هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا وأشركوا من حيث لا يعلمون**) ، ولما كانت الشبهة أقرب إلى الأفهام الكدرة تمكنت في قلوب أهلها وأسسوا عليها اعتقاداتهم وأدخلوا ضعفاء الشيعة فيها وهم الذين ليس لهم قلوب يعقلون بها فمهّد عليه السلام لضعفاء شيعته ولعلمائهم دليلاً إلزامياً لهم إلى ظاهر على طريق المجادلة بالتي هي أحسن ليشد به قلوب المؤمنين ويدفع به شبه المعاندين .

فقال عليه السلام : (**اعلموا رحمكم الله تعالى أنّا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله عزّ وجلّ لا تخلو من معَنَيْين ، إما حق فيُتبع وإما باطل فيُجتنب . وقد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك ، إنّ القرآن لا ريب فيه عند جميع أهل الفِرَق وفي حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه مصيبون مهتدون وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تجتمع أمتي على خطأ [ضلالة] فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق ، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً والقرآن حق لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه ، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حيث اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب فإن هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة**) .

أقول : لما كان منشأ اختلاف من اختلف من الشيعة والمحبين إنما هو بالإصغاء إلى أقوال العامة وخوضهم في ذلك لاتّباع

الأهواء فأخذت بهم طرفي الإفراط والتفريط عن الاستواء لأن الاستواء الذي هو المنزلة بين المنزلتين لا يظفر بها من نحو ذاته إلا من أشهده الله خلق السماوات والأرض وخلق نفسه فإن ذلك على حكم الاستواء والمنزلة بين المنزلتين ، أو من علمه إياه [إياها] العالم أراد عليه السلام أن يمهّد قاعدة من مقدمات يقينيات مسلمات عند القائل بالجبر والتفويض اللذين هما الإفراط والتفريط ليضطروا إلى الإقرار بالحق وإلى تركه بعد ظهوره بلا خفاء عند كل أحد [واحد] وفي الحالين يظهر للقائلين من الشيعة فساد الطرفين وسلك عليه السلام في التقرير ظاهراً طريق المجادلة بالتي هي أحسن ولم يسلك طريق الحكمة لأن ذلك لا يذوقه إلا المتوسمون ولا طريق الموعظة الحسنة لأن ذلك لا يمسّه إلا المطهرون الذين يطلبون العلم زاداً ليوم المعاد فقال عليه السلام : (**إنّا نظرنا في الآثار**) الخ .

قوله عليه السلام : (**فوجدنا عند جميع من ينتحل الإسلام**) لأن غيرهم منهم من ينفي التكليف فلا يرى حقاً ولا باطلاً وكذلك من لا يعقل .

وقوله عليه السلام : (**لا تخلو من معنيَيْن إما حق فيتُبع أو باطل فيُجتنب**) ، يعني إما حق فهو أحق أن يُتّبع أو باطل فيحق أن يُجتنب لا أن كل حق متبع أو كل باطل مجتنب فإن الواقع أن من الحق ما هو منبوذ ومجتنب ومن الباطل ما هو متّبع محمول على الأعناق .

وقوله عليه السلام : (**وقد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم**) ، قرر فيه مقدمة مسلمة عند الخصم لأنها على النحو الذي

يعتمدونه في مسألة الإجماع الضروري وإن كنا نعتمده أيضاً إلا أنّ اعتمادنا عليه من جهة اعتقادنا أنّ زمان التكليف لا يخلو من حجة لله معصوم مفترض الطاعة لا تكون واقعة في الأرض إلا ولله فيها حكم يظهر على يدي هذا الحجة ، وهو الواسطة بين الله وبين خلقه فاعتمادنا على اجتماع [إجماع] الأمة لدخول قوله عليه السلام فيهم ، فلو انفرد عنهم كان هو الحجة دونهم فإن قيل : فما الفائدة في الإجماع حينئذٍ إذا كان الاعتماد على قوله خاصة منضماً ومنفرداً .

قلنا : قد تتحقق [يتحقق] الفائدة فيما إذا دخل في المجمعين من لا يعلم نَسَبه ولا اسمه فإنّا نحكم بحجية الإجماع حينئذٍ لدخول قوله عليه السلام في جملة أقوالهم وذلك بعد استقرار المذاهب ، فيكون الخلاف حينئذٍ خلاف الإجماع وهو غير مسموع .

وأما عندهم فاجتماع أهل [أصحاب] الحل والعقد من أمة محمد صلى الله عليه وآله لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ الآية ، رتب سبحانه الذم والوعيد على اتباع غير سبيل المؤمنين وذلك يتحقق بمخالفتهم قولاً وفتوى [فعلاً] فيكون اتبّاعهم في ذلك واجباً وهو معنى حجية الإجماع ولقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ وقبول الشهادة منهم المفهوم من الآية دليل على كونهم عدولاً ولو حال اجتماعهم ويستحيل اجتماعهم على الخطأ ولقوله تعالى : ﴿ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ فدلّ ذلك على أمرهم بكل معروف ونهيهم عن كل منكر لأن الألف

واللام للاستغراق لأنهم لو أمروا ببعض ونهوا عن بعض لم يتحقق الوصف ولم يكونوا خير أمة .

فإن قيل : إنّ منهم من لا يكون كذلك قلنا في حالة [حال] الافتراق نعم . أما في حالة الاجتماع على أمر واحد فلا ، وإلا لم يكن خير أمة لأنهم حينئذٍ متفقون على المنكر هذا خلف ، فإذا ثبت ذلك كان اجتماعهم حجة وهو ما نريد ولقوله صلى الله عليه وآله : (**لا تجتمع أمتي على ضلالة**) ، وهذا الحديث هو إن لم يكن متواتراً لفظاً لكنه متواترٌ معنى ، وإن اختلفت ألفاظه مثل قوله صلى الله عليه وآله : (**لا تجتمع أمتي على الخطأ**) انتهى .

(**سألت ربي أن لا تجتمع أمتي على الضلالة فأعطانيها**) انتهى .

(**يد الله على الجماعة**) انتهى .

(**لم يكن الله ليجمع أمتي على ضلال**) ، ورُوي (**ولا على خطأ**) انتهى .

(**عليكم بالسواد الأعظم**) ، وأمثال ذلك ، والمتواتر بالمعنى يفيد العلم المانع من النقيض ولا نريد من الحجية إلا ذلك ويستحيل عادة أن يجتمع هذا الخلق الكثير والجم الغفير على الخطأ ولم يكن من أحد منهم نكير وهذا الاجتماع بهذه المثابة لا يكون إلا عن دلالة وقد كشف عنها ذلك الاجتماع فخلافه خلاف الدلالة [للدلالة] فيكون الخلاف خطأ لأنه لا عن دلالة وهذا معنى حجيّة الاجتماع وكلامهم في الإجماع نقول به أيضاً لا من جهة الاجتماع بل من دخول المعصوم عليه السلام فيهم لا يقال إن الاجتماع من الكل يستحيل وقوع الخطأ عنه عادة ، وإن لم يكن

الحجة فيهم لأنّا نقول لو لم يكن فيهم استحال الصواب بل الوجود لأنه العلة في ذلك كما دلّت عليه النصوص منهم مثل ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت ذهبوا وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض**) ، ورواه أيضاً صدر الأئمة موفق بن أحمد المالكي وغير ذلك ، وبالجملة فلا فائدة هنا للمناقشة لحصول الاتفاق من المسلمين على صحة هذا الإجماع وهو اجتماع جميع من ينتحل الإسلام قاطبة وحجة [حجيته] منا ومنهم لما مر ، فإذا حصل ذلك الاجتماع على أمر كان صواباً لا شك فيه عند الكل .

وقوله عليه السلام : (**إن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع أهل الفِرَق**) ، يعني أنهم اجتمعوا لا اختلاف بينهم على ذلك عند جميع أهل فِرَق الإسلام على اختلاف مذاهبهم اتفقوا على حقية القرآن .

ثم قال عليه السلام : (**وهم في حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه**) ، يعني أنهم في حال الاجتماع مقرون بتصديقه وإلاّ لم يكن اجتماع لأنهم مختلفون في كثير من تأويل كثير من آياته ، ولكنهم حال الاجتماع مقرون بصحة ما دلّ عليه إذا اجتمعوا على دلالته على ذلك الشيء .

فإن قلت : قد يجتمعون على دلالته على شيء ، ولكن تلك الدلالة بالنسبة إليهم مختلفة ، فمنهم من دلّ الكتاب عنده [عنده على] ذلك الشيء علماً ونصاً [يقيناً] ، ومنهم من دلّ عنده على ذلك الشيء اعتقاداً وهو لا يمنع من النقيض في نفس الأمر وإن امتنع عند المعتقد . ومنهم من دلّ عنده من باب الراجحية وإن جوّز

النقيض فكيف يمكن الاجتماع على الإقرار بتصديق الكتاب وتحقيقه وإنما تصديقه في دلالته ، فإذا اختلفوا فيها كيف يمكن الاجتماع في الاختلاف ؟ قلت مراده عليه السلام أنهم أجمعوا على أن القرآن حق وأنّ ما دلّ عليه صدق لا يحتمل فيه الباطل ولا الكذب ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وإنما اختلف من اختلف في أنه هل يدل على هذا الشيء أم لا ؟ إذ لا ينكر أحد من المسلمين صحة ما دلّ عليه حتى أنك لا تجد قائلاً يقول إن هذا الشيء يدل عليه الكتاب وهو باطل وإنما هو إذا أراد بطلان ذلك الشيء ، أنكر الدلالة وتأوّل الكتاب وغيره . وأما إذا أقر بالدلالة فلا ، سواء كانت تلك الدلالة علماً أو اعتقاداً أو رجحاناً إذا لم يبلغ النقيض التساوي [المتساوي] لتعين المصير عليه إلى تلك الدلالة ويتحول الاعتقاد والرجحان علماً بعد العلم بالاتفاق فلا تغفل .

وقوله عليه السلام : (**فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً**) ، يريد أن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر بذلك كما مر في قوله صلى الله عليه وآله : (**لا تجتمع أمتي على ضلالة**) ، ونبّه عليه السلام بقوله : (**هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً**) ، على جواب اعتراض يستشعره الخصم للإلزام بإمامة الأول ، لإجماع الصحابة الذين هم أهل الحل والعقد من أمته صلى الله عليه وآله ، يعني أن بعض الأمة الذين هم أهل الحل والعقد مخالفون لهذه الدعوى كعلي بن أبي طالب عليه السلام وسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وأضرابهم الذين هم خواص الصحابة ، ولا سيما علي بن أبي طالب عليه السلام الذي

قال صلى الله عليه وآله فيه في المتفق عليه عند الرواة من الفريقين ، قال صلى الله عليه وآله : (**الحق مع علي وعلي مع الحق يدور حيثما دار**) ، ومثله كثير فإذا خالف أحداً كان الحق معه بحذافيره بنص رسول الله صلى الله عليه وآله المتفق عليه فسقطت الدعوى وبطل الاستدلال .

وقوله عليه السلام : (**فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه**) إلخ ، يريد به أنه إذا دلّ على ما دلّ عليه الخبر بأي دلالة كانت وأنكر الخبر طائفة كانوا أقروا بدلالته على ما دلّ عليه الخبر كذلك لزمهم الإقرار بما دلّ عليه الخبر ضرورة لإقرارهم بما يوجب ذلك ضرورة وهو اجتماعهم في الأصل على تصديق الكتاب .

ثم فرّع عليه السلام على ذلك حكم منكِر ذلك ، بعد ذلك البيان فقال عليه السلام : (**فإن هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة**) أي ملة الإسلام حيث أنكرت ما علم من الدين ضرورة .

فإن قلت : هذا وأمثاله مما ورد عن آبائه عليهم السلام يدل على أن صحة الحديث وفساده إنما يعلم بالعرض على الكتاب ، فإذا شهد الكتاب بتصديقه وجب قبوله ، وإلا رد ويرد عليكم شيئان أحدهما أن احتجاجات أئمتكم عليهم السلام في الرد على مخالفيهم في ترك القول بالحجة من الله وقولهم كفانا كتاب الله في بقاء التكليف لأن فيه جميع ما يحتاج إليه الخلق من أمور دينهم ودنياهم قال تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ وهو الكتاب وإن التزامهم عليهم السلام لهم بوجوب القول بالحجة هو أن الكتاب صامت يحتاج إلى ناطق به عن الله تعالى لأنه يحتمل وجوهاً كثيرة ، لا تنضبط حتى أن الثنوي يستدل به والدهري

والمجسمة [المجسم] وغير ذلك والمحق والمبطل أصولاً وفروعاً وما كان هذا حاله لا يجوز أن يكون حجة لله [الله] ، على خلقه لأنه بنفسه من دون ناطق به لا يقيم حجة ولا يدفع شبهة فلا بدّ من إمام ناطق به يبيّن محكمه من متشابهه ومجمله من مبيّنه وناسخه من منسوخه وينقطع الخصم بهذا لأن الكتاب الناطق هو المبين للكتاب الصامت حتى أن الناطق ليأول الكتاب ويصرفه في مواضع عن ظاهره إلى ما يخالف الظاهر ، بل إلى ما لا يجوز في اللغة ولا في العقول ويخبر بنسخ آية وبثبوت حكم آية نسخت تلاوتها ويجب منه قبول ذلك كله لأنه معصوم عن الخطأ والجهل بأحكام الله وقد قامت الأدلة القاطعة على ذلك وشهدت له المعجزات الخارقة ، فتكون على هذا تتوقف على معرفة صحة دلالة الكتاب الصامت على قوله لأنه هو الدليل بها فلو توقفت معرفة صحة دلالة الخبر على الكتاب كان دوراً ظاهراً ، وثانيهما أن الأخبار عن النبيّ والأئمة صلوات الله عليهم متظافرة متواترة المعنى على أن (**من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**) ، فإذا كان المعنى المستفاد من القرآن ، لا بدّ أن يكون مسموعاً من الأخبار فكيف تكون صحة الأخبار ، إنما تحصل بشهادة الكتاب لها وقد قلنا إن شهادته مستفادة منها هذا خلف وهو كالأول في دوره .

قلت : قد أجيب عن ذلك كله بأجوبة يطول الكلام بإيرادها وملخص بعضها أن القرآن منه ما يعرف من اللغة بحيث لا يحتاج في فهمه إلى سماع مثل : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ ومثل ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فلو ورد ما يدل على إباحة قتل النفس المحرّمة بغير حق علم أنه باطل وما يدل على إلهين كذلك ، ومنه

مجمل يحتاج إلى بيّنة وتفصيل [تبيينه وتفصيله] مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ يحتاج إلى بيان عدد الركعات ، وأحكامها ، ومقدار النصاب ، ووقته ، وغير ذلك فهذا لا يعرض عليه الخبر ولا يشهد بإجماله بتصديق الخبر ، نعم الأمر بالصلاة ووجوبها ووجوب الزكاة مثلاً من حيث الفرض يعرض عليه ويشهد بالتصديق إلى غير ذلك من النظائر ، وهنا وجه وهو أعجبها لا يكاد يهتدي إليه ، ولا إلى الاستدلال به إلا الأقلون وهو أن من القرآن حروفاً جامعة لبست صورة الآحاد وانطوت على ما لا يكاد يتناهى من الأفراد قد عرفت من حيث جزئيتها من اللغة بحيث لا يجهلها أحد مثل قوله تعالى : ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ومثل ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ولهذا قال صلى الله عليه وآله : (**ويل لمن لاكها بين لحييه و**) [ثم] (**لم يتدبرها**) ، فلو كانت مما يتوقف فهمها على السماع لما ذم من لم يتدبرها فإن كل من عرف اللغة العربية أدنى معرفة عرف أن مفادها إثبات الوحدة لله ونفي الكثرة .

ولم تعرف تلك الحروف من حيث كليتها في بادىء الرأي ، فإذا نظر فيها أولئك الأقلون وهم الذين إليهم النظر لا إلى غيرهم فإن من سواهم رعاياهم وأنعامهم عرفوا كلّيتها ، فلو ورد خبر مثلاً دلّ على قدم الكلام بمعنى أنه غير محدث ولا مصنوع وعرضه أولئك الأقلون عرفوا أنه إن لم يكن محدثاً بمعنى المصنوع وتعددت الآلهة وكذلك لو ورد خبر بقدم المشيّة ، كذلك ونظائر هذا الحرف في القرآن كثير ، وكذلك في السنّة كثير وهو المشار إليه في أمرهم عليهم السلام بالعرض على السنّة مثل : (**لا تنقض اليقين بالشك أبداً**) ، ومثل ، (**إلا بيقين مثله**) ، فإذا ورد خبر يدل على نقض

اليقين بالشك في غير ما استثني من الثلاث المسائل البلل المشتبه وغسالة الحمام وغيبة الحيوان ، أو ورد خبران متعارضان أحدهما مطابق والآخر مفارق فما شهدت له السنّة من مثل ، (**لا تنقض اليقين بالشك**) ومثل ، (**الناس في سعة ما لم يعلموا**) إلى غير ذلك وهو كثير في الأصول والفروع فهو حق وإلا فباطل .

وأما قول بعضهم إن التمييز [التميز] بين محكم القرآن ومتشابهه وناسخه ومنسوخه ومجمله ومبينه ، لا يعلم من غير المعصوم عليه السلام وكذا قول محمد أمين في الفوائد المدنية من أن المراد به عرض الحديث الذي جاء به غير الثقة على واضحات كتاب الله التي هي من ضروريات الدين والمذهب فساقط من عين الاعتبار ، فالعرض على الكتاب على مثل ذلك [ذلك مما] ، لا يحتاج إلى الخبر في فهم المراد منه سواء كان من اللغة أو بالإلهام كما قال علي عليه السلام : (**إلا أن يؤتى الله عبداً فهماً في القرآن**) أو بإخلاص العمل وحسن المعرفة كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وقول الصادق عليه السلام : (**ما من عبد أحبنا وزاد في حبنا وأخلص في معرفتنا وسئل عن مسألة إلا ونفثنا في روعه جواباً لتلك المسألة**) .

وقد تقدم أو عرفت بالآثار المستفيضة بحيث أفادت العلم أو يعلم كون هذه الآية من المحكمات أو عرف بالإجماع ، أو غير ذلك من طرق اليقين . فالعرض بهذا النحو لا يستلزم الدور فافهم . فكان ما ذكره الإمام عليه السلام وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين ، السلام جدلاً ناصحاً لامعاً وبرهاناً قاطعاً ونوراً ساطعاً ونقضاً قامعاً

وعلماً نافعاً ودليلاً جامعاً على طريقة كل من أهل الفرق إلزاماً لهم بالمنزلة بين المنزلتين وأنه لا جبر ولا تفويض كما مضى ويأتي والحمد لله وحده .

ثم لما كانت الأعمال ظاهرها وباطنها من علم أو عمل أو اعتقاد من علم الحقيقة أو الطريقة أو الشريعة ، فروعاً من شريعة المتعبّد بها والسان لها وأنّ الأصل ظاهراً وجوب طاعته وامتثال أوامره ونواهيه والتسليم له والرد إليه وباطناً معرفة الله ، وهذا الواجب الطاعة هو السبيل إلى الله وهو مجاز تلك الحقيقة والمعنى والباب والوجه والجناب إلى غير ذلك أراد أن يبني على ذلك الأس الراسخ ، قصر الولاية الباذخ الذي كل شيء من التكاليف من المعتقدات والأعمال فروعه وأتباعه فقال عليه السلام : (**فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبر وردَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وجد بموافقة الكتاب وتصديقه بحيث لا تخالفه أقاويلهم حيث قال إني تارك [مخلف] فيكم الثقليَنْ كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما تمسكتم بهما وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**) انتهى .

إنما قال عليه السلام : (**فأول خبر**) الخ ، ليبيّن ثبوت أساس ما هو بصدده وتعريضاً بالغير الذين يبنون على غير أساس ثابت ولأن في بعض شقوق هذه المسألة ما لا يدركه كل أحد لا من شيعته ولا من غيرهم لدقة مأخذه وبعده عن الإفهام فإذا أراد تيسيره على المخاطبين بناه على أصل ثابت ، إما بالتفرع [بالتفريع] عليه أو باللزوم وغير ذلك فيكون أقطع للحجة ولو وكله إلى ما يفهم منه وهو من دليل الحكمة لا نكره من لم يكن له فيها نصيب أو غالط

فيه بالجدل فعل عليه السلام ذلك تسهيلاً للذكر وتقريباً في الأداء والإفهام وإنما عبّر بلن في قوله : (**لن تضلوا**) للدلالة على التأييد للتنبيه على أن المأمور بالتمسك بهم معصومون ، معصوم من اتبعهم من حيث هو متبع لكون كل واحد من الكتاب ومنهم مبنياً على صاحبه ، والكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولو لم يكونوا عليهم السلام معصومين لأتاه الباطل حيث يبتني عليهم [ينتهي إليهم] فافهم .

وفي نفي الافتراق بلن ، كذلك إشارة إلى أن الكتاب لا يكفي بدونهم ولا بيان نافع فيه إلا بما بينوا فيه [منه] فالعامل به بدونهم نابذ له وراء ظهره والمتمسك به ولم يتمسك بهم ، (**كباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه**) لا كما تأولوه الأغيار الذين لا يفرقون بالليل والنهار ، (**لتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة**) من أنّ المراد بنفي الافتراق هو التمسك بالكتاب والمحبة للعترة وقد تعبدهم الله في كتابه على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله بقوله تعالى : ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ ، وبقوله صلى الله عليه وآله : (**لا تتقدموهم فتزلقوا ولا تتأخروا عنهم فتزهقوا ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم**) ، إلى غير ذلك ، (**ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً**) .

وإليه الإشارة بقوله عليه السلام : (**بحيث لا تخالفه أقاويلهم**) ، يعني أن القرآن نطق وشهد بتصديق هذا الخبر وقد جمعوا على صحة ما صدقه الكتاب جمع [مع] ما هو عليه من الشهرة ، بل هو من المتواتر معنى نقله المعتمدون من الفريقين

بطرق كثيرة وله شواهد في كتاب الله التي هي مناط صحته .

قال عليه السلام : (**فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصاً مثل قوله عزّ وجلّ** ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ **وروت العامة في ذلك أخباراً لأمير المؤمنين عليه السلام أنه تصدّق بخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية**) .

بيّن عليه السلام شاهد ذلك الخبر من الكتاب وقوله عليه السلام : (**نصاً**) المراد بالنص هو ما لا يحتمل غير ما يفهم منه لغة ، يعني أنه لا يحتمل لغة غير ما يُفهم منه ، لا أن كل ما يفهم لغة يحتمل لجواز الاحتمال العقلي الخالي من المستند إلى شيء فإنه عليه السلام سابقاً لشهادة الكتاب بذلك ، ولا يضره الاحتمال العقلي بلا دليل في الآية المستشهد بها كما احتمله الأغيار من أن الولي هو المحب أو الصديق أو النصير ، وكذا المولى والمالك والعبد والمعتق والصاحب والقريب كابن العم ونحوه والجار والحليف والابن والعم والنزيل والشريك وابن الأخت والولي والربّ والناصر والمنعم والمنعم عليه والمحب والتابع والصهر [الظهير] ، إلى غير ذلك فإن الولاية التي تثبت [ثبتت] لله ولرسوله هي التي تثبت [ثبتت] لعلي عليه السلام ، بنص الكتاب بلا ارتياب وكذلك قوله صلى الله عليه وآله : (**ألست أولى بكم من أنفسكم ؟**) قالوا : بلى ، قال صلى الله عليه وآله : (**من كنت مولاه فعليّ مولاه**) ، وفي آخر (**من كنت وليه فعلي وليه**) ، فالاحتمال بعد النص والبيان إنما هو من قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا

مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الآية .

ثم قال عليه السلام : (**وروت العامة أخباراً لأمير المؤمنين عليه السلام**) الخ ، احتج عليهم بما رووا ليكون أقطع لحجتهم وليكون إجماعاً من الفريقين وهي كثيرة ، منها ما قاله الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان وقد روى عن عمر بن الخطاب أنه قال تصدقت بنيف وعشرين صدقة وأنا راكع لأن [لعله أن] ينزل في مثل ما نزل في علي عليه السلام فلم ينزل [ولم ينزل] في شيء وعن الأمير الأعظم صلاح الدين بإسناده عن ابن المبارك عن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب أخرجت مالي صدقة يتصدق بها علي وأنا راكع أربعاً وعشرين مرة على أن ينزل في ما ينزل [مثل ما نزل] في علي بن أبي طالب عليه السلام فما نزل ومن مناقب الفقيه ابن المغازلي في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ قال الذين آمنوا ، علي بن أبي طالب وفي كتابه رفعه إلى أبي عيسى رفعه إلى ابن عباس قال : مر سائل على رسول [برسول] الله وسرد الحديث قال : وكان نقش خاتمه الذي تصدق به سبحان من فخري بأني له عبد وفيه أيضاً رفعه إلى ابن عباس وأبي مريم قال دخلت على عبد الله بن عطا قال ثم حدث علينا بالحديث الذي حدثني به عن أبي جعفر عليه السلام قال : كنت جالساً عند أبي جعفر إذ مرّ عليه عبد الله بن سلام فقلت : جعلت فداك هذا الذي عنده علم الكتاب ؟ قال : (**لا ولكنه صاحبكم علي بن أبي طالب عليه السلام الذي نزلت فيه آيات من كتاب الله**

﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾) الآية .

ومن تفسير الثعلبي أبي إسحاق أحمد بن إبراهيم رفعه إلى أبي حكيم والسدي غالب بن عبد الله إنما عنى بقوله سبحانه ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ وتلا الآية إلى قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ علي بن أبي طالب عليه السلام لأنه مرّ به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه وبإسناده رفعه إلى عبد الله بن عباس قال : بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذ أقبل رجل معتم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إلا وقال الرجل : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال ابن عباس سألتك بالله من أنت ؟ فكشف عن وجهه وقال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البدري أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بهاتين وإلا صمتا ورأيته بهاتين وإلا فعميتا يقول : **(عليٌّ قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله)** أما أني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فقال : اللّهم اشهد أني سألت [سالت في] مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يعطني أحد شيئاً وعلي عليه السلام راكع فأومأ بخنصره اليمنى وسرد الخبر وتلا هذه الآية .

وعن عبد الرزاق في تفسير هذه الآية قال : نزلَتْ في علي عليه السلام ، وأمثاله كثير فجعل عليه السلام هذه الآية شاهدة لذلك الخبر ولما احتمل أن يكون بعض من المخالفين يقول إن الخبر

المذكور هو الذي بين دلالة الآية فكيف يجعلونها شاهدة له فجعل بيان الآية معلوماً من الأخبار المستفيضة من طرق المخالفين فضلاً عن المؤالفين بحيث لا يكاد يرتاب في ذلك إلا مؤتفك مكابر لمقتضى عقله لأن التجويز العقلي بغير مستند لا يقبله العقل وإنما يقبله شبه العقل وهو النكراء والشيطنة ثم لما كان الخبر الأول مجملاً في هذا الاعتبار أردفه بالمبين تعرفاً [تفريعاً] على ما مر وتشييداً لما أسس وقرر .

فقال عليه السلام : (**فوجدنا رسول الله قد أتى بقوله من كنت مولاه فعليٌّ مولاه في غدير خم**) وبقوله : (**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي**) .

ذكر منه ما يتأدى به الغرض من الحديث وهو حديث غدير خم من المتواترات المتفق عليه من الفريقين لا ينكره إلا جاهل أو مكابر . وذكر محمد بن يحيى بن هران شارح القصيدة الموسومة بالقصص الحق في مدح خير الخلق صلى الله عليه وآله قال : وأما حديث يوم الغدير فهو من الأحاديث المتواترة عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، وقد رُوي من طرق كثيرة عن خلق كثير من الصحابة بعضها روايات أهل البيت عليهم السلام وبعضها من أحاديث غيرهم من علماء الحديث .

وفي بعض الروايات زيادات وما ينكره إلا مكابر مباهت فمن روايات أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ما رووه بالإسناد عن البراء بن عازب قال : أقبلت مع النبيّ صلى الله عليه وآله في حجة الوداع فكنا بغدير خم ، فنودي فينا أن الصلاة جامعة وكسح للنبيّ صلى الله عليه وآله تحت شجرتين فأخذ بيد علي بن أبي طالب

عليه السلام فقال : (**ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟**) قالوا : بلى يا رسول الله قال : (**هذا مولى من أنا مولاه ، اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه**) ، فلقيه عمر فقال هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة ، ورووا بالإسناد إلى زيد بن أرقم ثم ذكر على اختلاف في اللفظ وزيادة في المعنى ثم قال : وروى بعضهم من طريق الحاكم أبي سعد المحسن بن كرامة وذكر الحديث ثم قال : قال الحاكم أبو سعد رحمه الله وحديث الموالاة وغدير خم قد رواه جماعة من الصحابة في [و] تواتر النقل به حتى دخل في حد التواتر فرواه زيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري وأبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله الأنصاري إلى أن قال : (**وأما روايات**) غير أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ، فقد روى عن الرسالة النافعة للإمام المنصور بالله من مسند الإمام أحمد بن حنبل هذا الحديث المذكور ومن طرق كثيرة بنحو ما سبق وحكاه أيضاً عن جامع رزين وعن مناقب ابن المغازلي الشافعي وذكر أنه رفع الحديث المذكور إلى مئة من أصحاب رسول الله قال وذكر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ خبر يوم الغدير وطرقه [طرقه من] خمسة وأربعين طريقاً وأفرد له كتاباً سمّاه كتاب الولاية وذكر أبو العباس أحمد بن عقدة خبر يوم الغدير ، وأفرد له كتاباً وطرقه من مئة طريق وخمسة طرق ولا شك في بلوغه حدّ التواتر وحصول العلم به ولم يعلم خلاف من [ممن] يعتد به الأئمة وهم بين محتج به ومتأوّل له إلا من ارتكب طريقة البهت ومكابرة العيار ، (**تم كلامه وفي**) المستدرك بالإسناد إلى زيد بن أرقم قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع

ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمن قال صلى الله عليه وآله : (**كأني دعيت فأحببت أني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**) ثم قال : (**إن الله جلّ وعزّ مولاي وأنا ولي كل مؤمن ومؤمنة**) ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال : (**من كنت وليّه فهذا وليّه اللهمّ والِ**) .

وذكر الحديث بطوله هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله ، وفيه عن زيد بن أرقم نزل رسول الله صلى الله عليه وآله عشية فصلّى بين مكة والمدينة عند سمرات خمس دوحات عظام فكنس الناس ما تحت السمرات ثم راح رسول الله صلى الله عليه وآله هنيئة فصلّى ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ووعظ فقال : ما شاء الله أن يقول ثم قال : (**أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتبعتموهما ، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي**) ثم قال : (**أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم**) ثلاث مرات ، قالوا : نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**من كنت مولاه فعلي مولاه**) انتهى .

ومن مناقب الفقيه ابن المغازلي الواسطي الشافعي بإسناده إلى الوليد بن صالح عن ابن امرأة زيد بن أرقم قال : أقبل نبيّ الله صلى الله عليه وآله من مكة في حجة الوداع حتى نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة فأمر بالتنوب ، فقم ما تحتهن من شوك ثم نادى الصلاة [بالصلاة] جامعة فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى صلّى بنا الظهر ثم انصرف إلينا فقال : (**الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكّل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات**

أعمالنا الذي لا هادي لمن أضل ولا مضلّ لمن هدى وأشهد أن لا آله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله . أما بعد ، أيها الناس فإنه لم يكن لنبيّ من العمر إلا نصف ما عمر قبله وأن عيسى ابن مريم بعث في قومه أربعين سنة وأني قد أشرعت في العشرين وأني أوشك أن أفارقكم ، ألا وأني مسؤول وأنتم مسؤولون فهل بلغتكم ما أنت قائلون ؟) ، فقال : [فقام] من كل ناحية من القوم مجيب يقولون نشهد أنك عبد الله ورسوله قد بلغت رسالته [رسالاته] وجاهدت في سبيله وصدعت بأمره وعبدته حتى أتاك اليقين فجزاك الله خير ما جزى نبياً عن أمته فقال : (**ألستم تشهدون ألاّ إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق والنار حق وتؤمنون بالكتاب كله ؟**) ، قالوا : بلى قال : (**أشهد أنكم صدقتم وصدقتموني ألا وأني فرطكم وأنتم تبعي يوشك أن تردوا علي الحوض فأسألكم عن ثقلي كيف تخلفوني عنهما**) ، قالوا : فأعد [قال فأعبل] علينا ما ندري ما الثقلان ؟ حتى قام رجل من المهاجرين قال : بأبي أنتَ وأمي يا رسول الله ما الثقلان ؟ فقال : (**الأكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسكوا به ولا تولّوا ولا تضلّوا ، والأصغر منهما عترتي من استقبل قبلتي فأجاب دعوتي فلا تقتلوهم ولا تضروهم ولا تقصروا عنهم فإني قد سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني ناصرهما لي ناصراً [ناصر] وخاذلهما لي خاذلاً [خاذل] ووليّهما لي ولياً [ولي] وعدوهما لي عدواً [عدو] فإنها لم تهلك أمة مثلكم حتى تدين بأهوائها وتظاهر على وليها [سويها] وتقتل من قام بالقسط منها**) ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام ورفعه فقال :

(من كنت وليه فهذا وليه اللهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه) ، قالها ثلاثاً الخ انتهى .

وقد تواتر هذا الخبر وبلغ حدّ التواتر وقد ذكر محمد بن جرير الطبري في تاريخ خبر يوم الغدير وطرقه من خمسة وسبعين طريقاً وأفرد له كتاباً سمّاه كتاب الولاية فقد رواه أحمد بن حنبل في مسنده ورفعه من طرق جمة وذكره الثعلبي في تفسيره وفي الجمع [المجمع] بين الصحاح الستة لابن زيد العبدري ، إلى الحسن بن رزين بن معاوية وذكر أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة خبر يوم الغدير وأفرد له كتاباً وطرقه من مئة وخمسين طريقاً ، وفي الصحاح رفعه إلى اثني عشر رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ولا شك في تواتره ، وأما كون الطرق التي ذكرها الطبري في كتاب الولاية خمسة وأربعين ، والتي ذكرها ابن عقدة مئة وخمسة فنقل محمد بن يحيى بن هران المتقدم ذكره ، وهذا بنقل غيره ولم تكن عندي كتب القوم ، وبالجملة فقد بلغ هذا الحديث حدّ التواتر عند أهل الحديث والتاريخ والتفاسير وغيرهم من جميع فِرَق الإسلام .

وأما الحديث الثاني فرواه أحمد بن حنبل في مسنده بعدة طرق وفي صحيحَيْ مسلم والبخاري من عدة طرق وفي غيرهما كذلك أن النبيّ صلى الله عليه وآله لما خرج إلى تبوك استخلف على المدينة وعلى أهله فقال علي عليه السلام : **(وما كنت أوثر أن تخرج في وجه إلا وأنا معك)** فقال : **(أما ترضى بأن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبيّ بعدي)** ، وعن جابر بن عبد الله عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : **(أما ترضى أن تكون)** [قال لعلي

أنت مني] (**بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبيّ بعدي ولو كان لكنته**) ، عن سعد بن أبي وقاص عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال : (**أما ترضى أن تكون بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيّ بعدي**) وروى زيد بن علي عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام قال : (**قال رسول الله صلى الله عليه وآله : وشكوت إليه ما ألقى من حسد الناس فقال : أما ترضى أن تكون أخي في الدنيا والآخرة وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة وأن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي**) ، الخبر ونحوه عنه أيضاً إلا أن في آخره ، (**وأنت أولى الناس بأمتي بعدي من تولاّك فقد تولاني ومن عاداك فقد عاداني**) ، ومثله إلى أن قال : (**والله أنت مني بمنزلة هارون من موسى ولا ينطق [ما ينطق] عن الهوى**) .

وعن عامر بن سعد أني لمع أبي إذ تبعنا رجل في قلبه على علي عليه السلام بغض بعض الشيء ، فقال : يا أبا إسحاق ما حديث يذكره الناس عن علي عليه السلام قال : وما هو ؟ قال : (**أنت مني كمكان هارون من موسى**) ، قال : نعم سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام : (**أنت مني كمكان هارون من موسى**) ، قال الرجل : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : نعم وما تنكر أن يقول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي هذا وأفضل ومثل هذا حديث عبد خير الحميري عن علي عليه السلام قال : (**أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال : الأمر بعدك لمن؟ قال : لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى ، فأنزل الله عم يتساءلون يعني يسألك أهل مكة عن خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبأ**

العظيم الذي هم فيه مختلفون فمنهم المصدق ومنهم المكذب بولايته كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وهو رد عليهم سيعرفون خلافته أنها حق ويُسألون عنها في قبورهم فلا يبقى ميت منهم في شرق ولا غرب ولا برّ ولا بحر إلا ومنكر ونكير يسألانه يقولان للميت من ربّك وما دينك ومن نبيّك ومن إمامك) ، وكان علي عليه السلام يقول لأصحابه : (**أنا والله النبأ العظيم الذي اختلفت [اختلف] في جميع الأمم والله ما لله نبأ أعظم مني ولا لله آية أعظم مني)** ، فانظر إلى هذا الحديث الذي رواه عبد خير الصحابي وما اشتمل عليه من النص ، ورُوي أيضاً حديث المنزلة سعد بن مالك ورواه سعد بن إبراهيم بن سعد وروته عائشة بنت سعد وروته أسماء بنت عميس وسعيد بن المسيّب وأبو سعيد الخدري وعامر بن سعد عن أبيه سعد وغيرهم ، ممن لا يحتمل تواطؤهم على الكذب فهو متواتر معنى عند أهل الحديث والتواريخ [التاريخ] .

وذكر ابن أبي جمهور الأحسائي محمد بن علي رحمه الله في كتابه المجلى وقال : ويوم حديث المنزلة من المقامات المعلومة في سير المحدثين وعند سائر الرواة أجمعين وهو يوم غزاة تبوك وقد أرجف المنافقون به لما استخلفه على المدينة وفاتهم ما دبروه بجلوسه فيها فقال عليه السلام : (**خلفتني على النساء والصبيان)** فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : (**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي)** ، اثبت له عليه السلام جميع المنازل التي كانت لهارون من موسى عليه السلام واستثنى منه شركته في النبوّة ، ولأجل أن هارون كان شريكاً لأخيه فيها وإخوة النسب لم يحتج إلى استثنائها لفظاً لاستثنائها عقلاً ، ولا

ريب في ثبوت الولاية لهارون كما هي لموسى عليه السلام فتكون ثابتة لعلي ، [لعلي عليه السلام كما هي رتبة ثابتة للرسول صلى الله عليه وآله ، وذلك قطعي فإن قيل إن الولاية الثابتة لعلي] عليه السلام إن كانت هي التي كانت لهارون في حياة أخيه فمعلوم أنها ليست لعلي عليه السلام لأنه لا ولاية في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله ، وإن كانت هي التي له بعد موته ، فذلك لا معنى له لأن هارون مات قبل أخيه ولا ولاية له بعد موت أخيه ضرورة ، قلنا : إن الولاية الثابتة له عليه السلام هي الولاية الثابتة لهارون في حياته ويكون علي عليه السلام ولياً للأمة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله ، كما كان هارون كذلك من غير فرق فإن مقام الولاية الخاصة غير مقام النبوّة .

وإذا صحّ اجتماع مقام النبوّة مع مثلها فالآن [فلان] يصح اجتماع مقام الولاية معها أولى ولما مات هارون انتفت ولايته لا بالعزل عنها من الله لأن من وليه الله لا يصح أن يعزله لعدم جواز البداء عليه لأنه لا يوالي [لا يولي] إلا من علم استحقاقه لها باشتماله على الاعتدال الحقيقي الموجب للعصمة وجميع الأوصاف الكمالية وثبوته على الصراط المستقيم فلا يصح أن يتغير عن هذه الصفات لاستحالة تغير علمه تعالى وإنما انتفت ولاية هارون بالموت والانتقال عن دار التكليف وعلي عليه السلام عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قطعاً فلا موجب لزوال ولايته ولا مقتضى لانتفائها ولا موجب لعزله عنها انتهى.

وأنا أوردت كلامه أعلى الله مقامه لاشتماله على الجواب عن الاعتراض الوارد على الحديث في عموم المنزلة وجوابه وإن كان

كافياً في ذاك لكنه ليس بذلك مع أن فيه تعليلات عليلة وتحقيقات متهافتة لا تليق من مثله ولكن خوف طول الكلام يمنع عن بيان ذلك والإتيان بحقيقة البيان .

وقال عليه السلام : (**ووجدناه يقول صلى الله عليه وآله علي عليه السلام يقضي ديني وينجز موعدي وهو خليفتي عليكم من بعدي**) ، الخ .

وهذا الخبر جعله عليه السلام مؤيداً لتلك المقدمة وبه تمامها وهو مما لا إشكال فيه فقد رواه المؤالف والمخالف بطرق عديدة وعبارات مختلفة وهي مع ذلك متفقة المعنى بحيث كان من المتواتر ولكثرة رواته واختلاف عباراته وتقديم بعضها على بعض وبالزيادة والنقيصة لا تكاد تجد منكراً له بل إما محتجاً به أو مُؤولاً له مثل الخبر الذي قبله .

ثم قال عليه السلام : (**فالخبر الذي استنبط منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم وهو موافق للكتاب [للكتاب فلما شهد الكتاب] بتصديق الخبر وهذه الشواهد الأخر لزم الأمة الإقرار بها ضرورة إذ كانت هذه الأخبار شواهدها من القرآن ناطقة ووافقت القرآن والقرآن وافقها**) .

قوله عليه السلام : (**فالخبر الذي استنبط منه**) الخ ، يمكن أن يكون المراد منه أن الخبر الذي هو أصل لهذه الأخبار المسلمة ، المجمع عليها ، التي وافقت الفرقان ووافقها وهذه الأخبار فروع منه صحيح مجمع [مجمع عليه] وإلا لما أجمع على ما تفرع عليه وذلك الخبر هو المشتمل على معاني هذه الأخبار الأربعة أو هو الأول وهذه الثلاثة فروعه ، كما يدل عليه ظاهر اللفظ وأن يكون

المراد أن الخبر المستنبط من هذه الأخبار المجمع عليها صحيح مجمع عليه والمراد به المعنى وقوله : (**استنبط منه هذه الأخبار**) من باب القلب إلا أن سياق الكلام يدل على الثاني من الأول يعني أن المراد به الخبر الأول وأن استنباطها منه كونه أسبق في تأسيس الولاية فتكون بعد تواتره ودلالتها على معناه مستنبطة منه ، وإن كان كل واحد من هذه الأخبار متواتراً مجمعاً عليه لا يحتاج في تحققه إلى شيء منها ولا إلى تصديق الكتاب ، وإنما رتب ذلك نوراً على نور وتعليماً للاستدلال بالكتاب والأخبار ومثل بالأمور الضرورية لأنها أبعد عن المعارضة وأمنع للاحتمال إلزاماً للمعاندين وإفحاماً للمكذبين ، ولأجل أنه وجده من دون تصديق الكتاب حجة تامة قال : (**لا اختلاف فيه عندهم**) وقال : (**وهو أيضاً موافق للكتاب**) ، يعني أنه زيادة على ما هو عليه من اليقين موافق للكتاب قد شهد بتصديقه كما مرّ وله شواهد من الأخبار مثله في التواتر والإجماع عليهما فلو [فلما] كان ضرورياً مجمعاً عليه وشهد الكتاب بتصديقه وشهدت له أخبار مجمع عليها لزم الأمة الإقرار بها ضرورة .

وقوله عليه السلام : (**إذ كانت هذه الأخبار شواهدها من القرآن ناطقة وافقت القرآن والقرآن وافقها**) ، مع أنها مستقلة في الدلالة والحجة يعني به أنه إذا كان هذا حالها وشواهدها من القرآن استقبح ردها لأنه رد للقرآن وهو كفر ، وأما رد الضروري فقد لا يكون كفراً فلأجل ذلك علّل لزوم الإقرار بكون شواهدها من القرآن ، ثم لما كان النبيّ صلى الله عليه وآله قد أحكم العبارة عما أراد من نصب الولي علماً وإماماً بحيث لا يجد أحد ملجأ لصرف الحديث

صحيحاً تأولوا بعض الألفاظ بعد أن ظهر لهم غير مرة أن ما تأولوا غير مقصود لله ولا لرسوله ونصب صلى الله عليه وآله شواهد لنفي ذلك الاحتمال كما نصب الله في كتابه شواهد لنفي احتمال إلقاء الشيطان وهو قول الله تعالى : ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ الآية ، وذلك لما نظروا الحديث الأول وإذا هو مستفيض متواتر لا حيلة في إنكاره قالوا : إن قوله صلى الله عليه وآله : (**وعترتي**) المراد بعترته صلى الله عليه وآله أهله الأدنون وعشيرته الأقربون فلا دلالة [فالدلالة] ، في ذلك على المدعي وهو كما ترى تغطية للشمس الطالعة بالذرة لأنهم إن أرادوا أنها تطلق على ذلك لغة كما زعموا فلا يضرنا ذلك لو سلمناه على أن شارح الشاطبية ذكر في قوله : وعترته ثم الصحابة أهل البيت قال : العترة ما يبقى في الأرض من الشجرة بعد قطعها فتنبت فروعاً وعترة الرجل أقاربه ، فإذا كان العترة ما بقي من الشجرة لم يكن العشيرة من العترة وليست العشيرة من أقارب الرجل إلا إذا فسرت ببني أبيه الأدنين لا إذا فسرت بقبيلته .

وإن أرادوا أن النبيّ صلى الله عليه وآله أراد ذلك فقد ألحدوا لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد بيّن ذلك بقوله : (**أهل بيتي**) وهم قد أقروا أن أحد معنيي العترة أهله الأدنون فخصص بذلك لذلك ، ثم إنه بيّن أهل البيت عليهم السلام وخصصهم في حديث الكساء الذي رواه الخاصة والعامة بحيث لا يختلف فيه مختلف حيث يقول : (**اللهمّ إنّ هؤلاء أهل بيتي**) ، حتى أن أم سلمة لم يدخلها النبيّ صلى الله عليه وآله فيهم مع أنها من عياله وأخبرها أنها إلى خير ، فأنزل الله فيهم قرآناً ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ

عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ الآية ، شهادة منه سبحانه لهم بأنهم أهل البيت لا سواهم ثم إنه صلى الله عليه وآله أبان بالتنصيص على التخصيص فقال : (**من كنت مولاه فعلي مولاه ، ومن كنت وليّه فعلي وليه ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى ، علي يقضي ديني وينجز موعدي وهو خليفتي عليكم من بعدي**) ، إلى غير ذلك وليس كل الأهل والأولاد في الحقيقة كذلك لأن الله يقول : ﴿ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾ ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ ، لأن حقيقة الأبوة والبنوة إنما هي من جهة الأرواح لا من جهة الأجساد وعلي عليه السلام من أهله الأدنين وأقربهم وألصق به صلى الله عليه وآله من أولاده فقال : (**أنت مني بمنزلة الروح من الجسد**) وقال : (**أنت مني بمنزلة الرأس من الجسد**) ، وقال : (**أنت نفسي التي بين جنبَيْ**) وقال صلى الله عليه وآله : (**كنت أنا وعلي من نور واحد وقال الله تعالى تصديقاً لذلك وأنفسنا وأنفسكم**) ، فهو عليه السلام قسيم [قسيم النبيّ] نفسه وشقيق روحه وأخوه لكونهما رضعا من ثدي الفيض الأعلى وصاحبه في كل موطن ، في معراجه وفي منهاجه وفي حروبه وفي نسكه ، وولده الحقيقي أرضعه من إصبعه وسقاه أخلاقه وخلقه بأخلاقه وأرضعه من ثدي علومه وربّاه في حجره إلى غير ذلك آه ثم آه ثم آه ، كيف يعدل عنه وأنى يعدل به تالله ليكونن في حقه غداً تأويل هذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فعلي عليه السلام هو الآل وهو أول الآل وإليه آل باقي الآل صلى الله عليه وآله أجمعين .

ثم إنه عليه السلام لما بيّن الدلائل الدالة على ولايتهم ، أورد

الدلائل الدالة صريحاً على البراءة من أعدائهم لأن كلًّا من الأمرين مقرون بالآخر كالصلاة والزكاة لا تقبل الصلاة إلا بأداء الزكاة، قال عليه السلام: (**فمن منع درهماً من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة**).

فقال عليه السلام: (**ثم وردت حقائق الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله عن الصادقين عليهما السلام نقلها قوم ثقات معروفون فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كل مؤمن ومؤمنة لا يتعداه إلا أهل العناد وذلك أن أقاويل الرسول صلى الله عليه وآله متصلة بقول الله [بقوله] تعالى وذلك مثل قوله في محكم كتابه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ وجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ من آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فقد يوشك أن ينتقم منه، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله، من أحبَّ علياً فقد أحبّني ومن أحبّني فقد أحبَّ الله تعالى. ومثل قوله في بني وليعة: لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قم يا علي فسر إليهم، وقوله صلى الله عليه وآله يوم خيبر: لأبعثن إليهم غداً رجلاً كنفسي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرّاراً غير فرّار لا يرجع حتى يفتح الله عليه، فقضى رسول الله صلى الله عليه وآله بالفتح قبل التوجه فاستشرق [التوجيه فاستشرف] لكلامه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فلما كان من الغد دعا علياً فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه المنقبّة وسمّاه كرّاراً غير فرّار وسمّاه محباً لله ورسوله وأخبر أن الله ورسوله يحبانه**).

أقول: كلامه هذا ظاهر وإن كان قد أُومىء فيه أشياء منها أنه قد

أسس سابقاً في إثبات الولاية أصولاً ضرورية فأسس في البراءة من أعدائهم أصولاً مثل تلك ، مما رووه وتواتر وشهد القرآن بتصديقها فنّبه بقوله : (**وذلك أن أقاويل الرسول صلى الله عليه وآله متصلة بقول الله تعالى وذلك مثل**) قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ الآية ، ثم قال عليه السلام : (**ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله صلى الله عليه وآله من آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**) الحديث .

كذلك قوله صلى الله عليه وآله : (**فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني**) ، فبيّن عليه السلام ما رتب رسول الله صلى الله عليه وآله مع قوله تعالى قياساً من الشكل الأول مقدماته مسلمة ضرورة ليظهر الحال على ذلك المنوال فافهم . وبنو وليعة قال في القاموس : بنو وليعة كسفينة حي من كندة ، وكندة بالكسر لقب عمرو بن عفير أبي حي من اليمن .

وقوله عليه السلام : (**فقضى رسول الله بالفتح قبل التوجيه**) يريد به أن قضاء رسول الله صلى الله عليه وآله بالفتح في قوله صلى الله عليه وآله : (**يفتح الله عليه**) لو لم يكن عن أمر من الله بذلك لما قضى لأن الله هو الذي [الذي يقضي] لا يُقضى عليه ، وكذا أخباره صلى الله عليه وآله بأنه : (**يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**) ، وليس ذلك إلا لاتباعه رسول الله صلى الله عليه وآله في كل حال ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث ، وهذا من فروع الأصل الأول ، ومن فروع الأصل الثاني ، مما طوى في استشهاده في الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ، وفي الحديث

قوله صلى الله عليه وآله : (**من آذى علياً فقد آذاني**) يوم التبليغ ببراءة قول جبرئيل عن الله تعالى : (**لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك**) ومن لم يكن منه لم يتبعه (**فمن تبعني فإنه مني**) .

ولما كان مراده عليه السلام من تقديم هذا الكلام الذي ليس مسؤولاً بيان بناء ذلك الفرع كما بيّناه آنفاً على هذا الأصل ، ولما قدمناه فلاحظ وتم ما أصل على أكمل وجه قال عليه السلام : (**وإنما قدّمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أوردنا وقوة لما نحن مبيّنوه من أمر الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين وبالله العون والقوة وعليه نتوكل في جميع أمورنا**) .

أقول : لعمري قد [لقد] أشار إلى المنزلة بين المنزلتين بما لا مزيد عليه ولكنه بالإشارة وهو قوله : (**وبالله العون والقوة**) ، فنفى التفويض وقوله : (**عليه نتوكل**) منزلة بين المنزلتين حيث قال : (**عليه**) فأدخل الجار الذي هو متعلق نتوكل على ضمير الواجب سبحانه وأسند نتوكل إلى نفسه الذي هو الخلق بمعنى صدوره عنه [منه] متعلقاً عليه سبحانه وقوله : (**في جميع أمورنا**) نفي للجبر فافهم .

ولما فرغ من التأسيس شرع في المطلوب فقال عليه السلام : (**فإنّا نبدأ من ذلك بقول الصادق عليه السلام : لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين وهي صحة الخلقة وتخلية السرب والمهلة في الوقت والزاد والراحلة والسبب المهيج للفاعل على فعله فهذه خمسة أشياء جمع الصادق عليه السلام مواقع الفعل فإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته ونطق به هذا الكتاب**

بتصديقه فشهد بذلك محكمات آيات رسوله صلى الله عليه وآله لأن الرسول صلى الله عليه وآله لا يعدو شيء من قوله صلى الله عليه وآله وأقاويلهم عليهم السلام حدود القرآن ، فإذا وردت حقائق الأخبار والتمست شواهدها من التنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد كما ذكرنا في أول الكتاب ، ولما التمسنا ما قاله الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجبر والتفويض وجدنا الكتاب قد شهد له وصدق مقالته في هذا) .

فأقول وبالله المستعان : إن قيل كيف استدل بكلام الصادق عليه السلام على إثبات المنزلة بين المنزلتين ونفي الجبر والتفويض وما قدم من المقدمة التي جعلها أساساً لهذا بدليل قوله عليه السلام : (**وإنما قدمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أوردنا وقوة لما نحن مبينوه**) الخ ، وليس فيها ذكر دليل يدل إلا على وجوب الاقتداء بعلي عليه السلام دون الأئمة عليهم السلام قلنا إذا ثبت إمامة علي عليه السلام وعصمته ووجوب طاعته ثبت لولده عليهم السلام إلى القائم عليه السلام ما ثبت له عليه السلام لأنه قد نص على ذلك عن الله وأوجب لهم عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وآله ما وجب له ، فلا فرق في وجوب الاقتداء بهم وعصمتهم وفي جميع ما يحتاج إليه الخلق من أمور دينهم ودنياهم بينه وبينهم على أنه قد ذكر النص عما [فيما] مضى دالاً عليهم مثل قوله صلى الله عليه وآله : (**وعترتي أهل بيتي**) .

ولقد روى الخصم في النص عليهم السلام ما لا تكاد يحصر فمن ذلك ما رواه الشيخ الفقيه أبو الحسن محمد بن أحمد بن

علي بن الحسين بن شاذان عنهم بسنده عن أبي سليمان الراعي لرسول الله صلى الله عليه وآله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : (**ليلة أُسري به إلى السماء قال لي الجليل جلّ جلاله : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه ؟ قلت : والمؤمنون ، قال : صدقت يا محمد ، من خلفت في أمتك ؟ قلت : خيرها ، قال : علي بن أبي طالب قلت : نعم يا ربّ قال : يا محمد إني اطلّعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فشققت لك اسماً من أسمائي فلا أُذكر في موضع إلا ذكرتك معي فأنا المحمود وأنت محمد ، ثم اطلعت الثانية منها فاخترت منها علياً وشققت له اسماً من أسمائي فأنا الأعلى وهو علي يا محمد إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من سنخ نور من نوري وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرضين فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ومن جحدها كان عندي من الكافرين . يا محمد لو أن عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم ، يا محمد [محمد أتريد] تحب [أو أتحب] أن تراهم ؟ قلت : نعم يا ربّ فقال [فقال لي] التفت عن يمين العرش فالتفت فإذا أنا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي ومحمد المهدي صلوات الله عليهم في ضحضاح من نور قيام يصلون وهو في وسطهم يعني المهدي يضيء كأنه كوكب دري فقال : يا محمد هؤلاء الحجج وهذا الثائر الثاقب من عترتك وعزتي جلالي لهو الحجة الواجبة**

لأوليائي والمنتقم من أعدائي بهم يمسك الله السماوات أن تقع على الأرض إلا بإذنه) انتهى .

ورُوي بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **(يا علي أنا مدينة الحكمة وأنت يا علي بابها ولن تؤتى المدينة إلا من قبل الباب وكذب من زعم أنه يحبني ويبغضك لأنك مني وأنا منك لحمك من لحمي ودمك من دمي وروحك من روحي وسريرتك من سريرتي وعلانيتك من علانيتي وأنت إمام أمتي وخليفتي عليها من بعدي سعد من أطاعك وشقي من عصاك وربح من تولاك وخسر من عاداك وفاز من لزمك وخسر من فارقك مثلك ومثل الأئمة من ولدك مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق ، ومثلَكم مثل النجوم كلما غاب نجم طلع نجم آخر إلى يوم القيامة)** .

ورُوي بسنده عن ابن عباس أيضاً قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : **(معاشر الناس اعلموا أن لله باباً من دخله أمن من النار ومن الفزع الأكبر)** ، فقام إليه أبو سعيد الخدري فقال : يا رسول الله اهدنا إلى هذا الباب حتى نعرفه قال : **(هو علي بن أبي طالب سيد الوصيين وأمير المؤمنين وأخو رسول ربّ العالمين وخليفة الله على الناس أجمعين ، معاشر الناس من أحب أن يتمسك بالعروة التي لا انفصام لها فليتمسك بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فإن ولايته ولايتي وطاعته طاعتي ، معاشر الناس من أحب أن يعرف الحجة بعدي فليعرف علي بن أبي طالب ، معاشر الناس من سرّه أن يقتدي بي فعليه أن يتولى بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام بعد والأئمة من ذريتي فإنهم خزائن**

علمي) ، فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال : يا رسول الله وما عدة الأئمة ؟ فقال صلى الله عليه وآله : (**يا جابر سألتني رحمك الله عن الإسلام بأجمعه عدتهم عدة الشهور وهو عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض وعدّتهم عدة العيون التي انفجرت لموسى بن عمران حين ضرب بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً وعدّتهم عدة نقباء بني إسرائيل قال الله تعالى** ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ **فالأئمة يا جابر اثنا عشر إماماً أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم عليهم السلام)** .

ورُوي أيضاً عن سلمان المحمدي قال دخلت على النبيّ صلى الله عليه وآله ، وإذا الحسين بن علي عليهما السلام على فخذه وهو يقبّل عينيه ويلثم فاه وهو يقول : (**أنت لسيد ابن سيد أبو السادات وأنت إمام ابن إمام أبو الأئمة ، أنت حجة ابن حجة أبو حجج تسعة من صُلبك تاسعهم قائمهم**) انتهى .

إلى غير ذلك مما ورد في حقهم عليهم السلام بطريق الخصم وحيث كان هذا الأمر مع شهرته لا إشكال فيه اقتصر عليه السلام على إثباته من طريق الضرورة في حق الخصم في علي عليه السلام لدخول ذلك فيه عند الكل ، ولما فرغ من تمهيد ما ينبغي تمهيده للإيضاح والإفصاح شرع [شرع في المقصود] من بيان المنزلة بين المنزلتين واستدل بكلام الصادق عليه السلام لجمعه لكل شروط المنزلة ولأنه أبعد عن التوهم الحاصل من الخصم وممن توهم صدقهم بأن يكون كلامه ليس من عنده ليكون أوقع في نفوسهم وليعلموا أن هذا شيء كان عليه السلف المحقون واقتفاهم الخلف

على ذلك ، وفسر عليه السلام المنزلة بهذه الخمسة الأشياء التي يلزم من حصولها وتحققها المنزلة بين المنزلتين وهي (**صحة الخلقة**) لئلا يعزم المكلف على الفعل فلا يتمكن منه إذا أعوزته الآلة إما بعدمها أو بفسادها أو بعدم صلوحها لضد ذلك الفعل لأنه إذا لم تصلح الآلة للضد لم تكن صالحة للفعل إذ وجود الضد لذي الضد من تمام قابلية ضده للوجود كما أشرنا إليه سابقاً وفسّرناه في رسالتنا الموضوعة في المسألة .

والثاني (**تخلية السرب**) وهو بفتح السين وبكسرها الطريق والمراد بتخلية الطريق ألا يكون له صاد عما يشتهيه من الفعل فيكون غير مختار .

والثالث (**المهلة في الوقت**) ، بأن يكون وقت الفعل الذي يميل إليه يسع كل ما يحتاج إليه الفاعل في الفعل من الحركات والسكنات والأسباب إلى غير ذلك مما يتوقف الفعل عليه .

والرابع (**الزاد والراحلة**) أما الزاد فللقوت المستلزم عدمه لهدم البدن وتحلل القوى والآلات ، فالزاد ضروري له فهو شرط في البقاء للفعل مدة الفعل وما يتوقف عليه .

وأما الراحلة فشرط في قطع المسافة التي يتوقف عليها الفعل ، والخامس (**السبب المهيج للفاعل على الفعل**) وحقيقته ميل تحرك الشهوة التي تركبت في الإنسان يعني ميل وجوده إلى بعض كمالاته أو ميل ماهيته إلى بعض كمالاتها ، فالشرط الأول في الغيب تمام الاقتضاء لما [لما له] في الإمكان في كل رتبة بحسبها ، والشرط الثاني ألا يحجبه من حجب الجلال حجاب بسبب تخليته من المدد

والمراد بالمدد هنا ما به يقدر على ما يراد منه كما قال عليه السلام : (**جعل فيهم ما إن [إذا] سئلوا أجابوا**) انتهى .

والشرط الثالث ما يسع ما يراد منه عند إرادته من الزمان والدهر والسرمد ، والشرط الرابع ما يتقوّم به حياة صدره من العلم وقلبه من اليقين وفؤاده من المعرفة فزاد الصدر العلم وراحلته مثاله وحسه المشترك ، وزاد قلبه اليقين وراحلته نفسه وخياله ، وزاد الفؤاد المعرفة وراحلته عقله وقلبه ، والشرط الخامس شوق الاقتضاء لما له مما اقتضاه ، ثم لما كانت هذه الشروط موجودة بالحق لأنها سبيل الله إلى إيجاد أفعالهم بهم (**ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون ، سيجزيهم وصفهم**) ، وسبيل الله الحق حق لم يصح أن يخلق إلا للحق والطاعة ، ولما كانت الطاعة لا تكون من فاعلها طاعة إلا إذا فعلها وترك ضدها مع القدرة عليه ولا قدرة إلا بهذه الشروط الخمسة فوجب في الحكمة أن تكون هذه الشروط الخمسة صالحة للمعصية ليتمكن منها ، وإن لم تكن مخلوقة لها بالذات فهي مخلوقة لها بالعرض لكون صلوحها للمعصية من تمام صلوحها للطاعة من حيث هي طاعة .

والأصل في ذلك أن الوجود نور الله فهو من حيث كونه حقاً بالله لا شيئية له وهو من حيث نفسه ماهية لأنها انفعال لا يتحقق الفعل بدونه ، فالوجود شيء بالله والماهية شيء بالوجود فهي لم تشم رائحة الوجود وإنما كانت بتبعية الوجود ، نعم الوجود لا يتحقق بدونها لأنه مصنوع ولا يمكن ان يتقوم شيء فرد من المخلوقات إلا مع اقترانه بضده وهو قوله تعالى : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ، وقال الرضا عليه السلام : (**ولم يجعل شيئاً فرداً قائماً**

بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده والله تعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ولا يعضده ولا يمسكه والخلق يمسك بعضه بعضاً بإذن الله ومشيّته) الحديث .

فالماهية ظل الوجود وما لها ظل لما له ولذلك قلنا إن الشروط للوجود بالذات وللماهية بالعرض ليصح ما للوجود بالذات وهو قوله عليه السلام : (**يمسك الأشياء بأظلتها**) ، فكانت هذه الخمسة شروطاً للفعل من طاعة أو معصية ولذلك قال عليه السلام : (**فهذه خمسة أشياء جمع بها الصادق عليه السلام مواقع الفعل فإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنها مطروحاً بحسبه**) ، هو لو كان الأمر كما قالته الأشاعرة لما سقط عنه ما يُراد منه وإن لم تحصل هذه الشروط فيلزم تكليف ما لا يطاق أو كما قالته المعتزلة لم يتوقف الفعل على شيء منها فيلزم الشقاق فشهد الكتاب بذلك ونفى ما ظنه الجبريون حيث قال تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ .

وقوله عليه السلام : (**فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته**) يريد [يريد به] أنه عليه السلام دلّهم على معرفة ربّهم حيث أسس لهم تلك المعرفة بأن شروط الفعل هذه الخمسة لينتفي الجبر بتوقف الفعل عليها وليبطل التفويض لحاجتهم إليها وعدم استقلالهم لأن من وصف الله وعَبَده بالجبر والتفويض لم يعرفه وإنما وصف وعبد شيطاناً ظالماً وإناثاً عاجزاً .

وقوله عليه السلام : (**ونطق القرآن بتصديقه فشهد بذلك محكمات آيات رسول صلى الله عليه وآله ، لأن الرسول صلى الله عليه وآله لا يعدو شيء من قوله صلى الله عليه وآله وأقاويلهم**

عليهم السلام حدود القرآن) ، يعني به مثل قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ ، ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ، حيث جعل الحال بين بين وهي إسناد الفعل إليهم لا مطلقاً بل يكون موقوفاً على فعله ومشيّته فقوله : **(وعلى الله قصد السبيل)** ، بيّن فيه أن قصد السبيل أي الحق والخبر عليه فهو منه وإليه يعود بالكمال وإن كان بالعبد القاصد المهتدي وأن السبيل الجائرة من نفسها لا من الله ولا إليه وإن كان لا تكون إلا بالله وقال تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ ﴾ فنفى عنه حقيقة ما أسنده إليه بقوله : **(إذ رميت ولكن الله رمى)** فيكون [فيكون الرمي] من الله بالعبد لأنه نفاه عنه أولاً وآخراً وأسنده إليه ظاهراً .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ ﴾ نفي عنهم حقيقة ما أسنده إليهم وأخبر عنهم بقوله : **(تشاؤون)** ، المتوقف على مشيئته ، يعني إذا شاء الله شاؤوا ولو استقلوا لشاؤوا ما شاؤوا وإن لم يشأ الله ولو لم يكن لهم اعتبار في الفعل أصلاً كما يقوله الأشعري لما صح أن يقال إذا شاء الله أن يشاء العبد شاء العبد لأنه إذا صح إسناد الفعل إليه كان فاعلاً ولأنه لولا ذلك لما اختص زيد بفعله دون عمرو ، لأن ذلك الفعل على قولهم مخلوق لله فليس أحدهما أولى به من الآخر ولما صح أن يقول تعالى : ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ إذ لا وصف لهم ، نعم إذا قلنا إنه مخلوق لله بالفاعل صح وصف الفاعل بذلك الفعل الذي كان به ، سواء كان منه بالله كالمعصية أو كان من الله بالعبد كالطاعة فمشيّة العبد للطاعة بالذات من مشيّة الله لها بالذات ومشيّة العبد للمعصية بالذات من مشيّة الله لها بالعرض

لكونها غير مشاءة لذاتها بل للطاعة لأنها من تمام قابلية الطاعة للوجود فافهم .

وقد مرّ مكرراً فراجع وهذه هي المنزلة بين المنزلتيْن التي هي أوسع مما بين السماء والأرض ، وذلك أن الأشعري قال : إن الأفعال من الله ليس للعباد فيها اعتبار وإنما أجرى عادته سبحانه أنه يخلق عند أسباب ظاهراً وليست بأسباب حقيقة ولا مدخل لها في الفعل وقال المعتزلي إن العبد مستقل بفعله على وفق إرادته وطبق اختياره .

فالأول جبر بلا شك والثاني تفويض بلا ريب وبينهما ما قلنا وهو أن الطاعة من الله وإليه تعود وإليه [تعود إليه] (**يصعد الكلم الطيب**) ، والعبد لأنها صفته فلا تظهر إلا به لأن وجودها متوقف على وجود العبد وهو ظاهر والمعصية من العبد وإليه تعود : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ ، لأنها صفته لكنها لا تكون إلا بالله ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ وهذه هي المنزلة بين المنزلتين فإذا قال عليه السلام : (**لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين**) شهد الكتاب بقوله عليه السلام كما بيّنا سابقاً ، وقوله صلى الله عليه وآله : (**وهي الصحة**) ، إلخ تبيين لشروط صحة تحقق المنزلة على حسب أحوال الفاعل وباقي كلامه عليه صلوات الله وسلامه ظاهر مبين .

قال عليه السلام : (**وخبر عنه أيضاً موافق لهذا أن الصادق عليه السلام سئل هل جبر الله تعالى العباد على المعاصي ؟ فقال الصادق عليه السلام : هو أعدل من ذلك فقيل له فهل فوض إليهم ؟ فقال : هو أعز وأقهر لهم من ذلك**) .

أقول : استشهد عليه السلام بآخر من قول جدّه الصادق عليه السلام مما شهد به الكتاب وصدقه ووافقه وفيه مع ذلك إبطال للمنزلتين فقال عليه السلام نفياً للجبر (**هو أعدل من ذلك**) لأن الذي يفعل الظلم في عبده ويعاقبه عليه وليس للعبد فيما أجرى عليه مدخل بوجه يكون جائراً ظالماً ويلزمه أيضاً أن يكون محتاجاً لأنه ضعيف وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف فبين بطلان منزلة الجبر بدليل عقلي قد شهد له القرآن وصدقه قال تعالى : ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ الآية ، إلى غير ذلك بحيث لا ينكره إلا أهل العناد الذين لا يقبلون الحق حتى يفتح الله عليهم باباً ذا عذاب شديد .

وقال عليه السلام نفياً للتفويض (**هو أعز وأقهر لهم من ذلك**) ، لأن من أهمل عبيده في ملكه يفعلون فيه ما شاؤوا حتى أنهم يفعلون ما لا يحب ليس بعزيز منتقم ولا بقادر قاهر لهم ، فبيّن عليه السلام بطلان التفويض بدليل عقلي قد شهد له الكتاب وصدقه ووافقه ، لأنك إذا تدبرت القرآن عرفت أن الخلق ليس لهم حركة ولا سكون إلا والله له حافظ وعليه رقيب وله مقدر وهو كثير مثل : **(أو لم يكفِ بربّك أنه على كل شيء شهيد ، والله من ورائهم محيط ، ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ، ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ، قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ، وهوالقاهر فوق عباده ، لا**

يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، أم حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون ، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) الآيات ، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات مما ينافي التفويض ولا تتوهم أن هذه الآيات لا دلالة فيها أو في أكثرها على المطلوب بل فيها كلها تمام الدلالة وحقيقتها ولا يمنعني من بيان ذلك إلا خوف التطويل وقال الرضا عليه السلام : (**إن الله لم يُطع بإكراه ولم يُعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه**) الحديث ، فإذا انتفت المنزلتان بهذا الحديث الحق الذي شهد له الكتاب وجب على الأمة قبوله ولزمهم من ذلك القول بالمنزلة بينهما إذ لا رابعة .

قال عليه السلام : (**ورُوي عنه أنه قال عليه السلام [الناس] في القدر على ثلاثة أوجه رجل يزعم أن الأمر مفوض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك**) .

لأنه إذا ادّعى ما ليس عنده وكّل إلى ما ادعاه وليس له من الأمر شيء وما تملك من قطمير ، (**إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم**) ، فإذا وكّل إلى ما توهمه واشتد به ظماء الإمكان حسب ذلك السراب ماء ، (**حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه**) ، وأي هالك أفقد حياة منه .

(ورجل يزعم أن الله عزّ وجلّ أجبر العباد على المعاصي وكلّفهم ما لا يطيقون فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك) .

لأنه سبحانه [لأن الله تعالى] قال في الحديث القدسي : (**أنا عند ظن عبدي بي إن خيراً فخير وإن شراً فشر**) ، فإذا زعم ذلك

ظلّم الله في حكمه بتشديد اللام جعله ظالماً ، فإذا فعل ذلك كان عند ظنه ذلك بأن يعامله في الجزاء معاملة من لم يتجاوز عن صغيرة ولا كبيرة وكلّفه من عدله ما لا يطيق لظنه بربّه ذلك لأنه زعم أنه أجبرهم فقد كلفهم ما لا يطيقون [لا يطيقونه] حيث يعاقبهم على ما لا قدرة لهم على الامتناع [الامتناع عنه] فهو هالك وأي هالك أشد ممن حجب [حجب الله] عنه خيره اللهمّ عاملنا بعفوك ولا تعاملنا بعدلك يا كريم .

(ورجل يزعم أن الله كلّف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم تابع) .

وقوله عليه السلام (**يزعم**) هنا ليس المراد به معنى الأولَيْن لأنهما بمعنى الكذب والباطل والأخير بمعنى الحق واليقين وفي القاموس الزعم مثلاثة القول الحق والباطل والكذب ضد انتهى .

فيقول هذا يزعم أي يتحقق ويتيقن وفي القاموس أيضاً وأكثر ما يقال فيما يشك فيه انتهى .

فيكون هذا الأخير على المعنى الأول ظاهراً وعلى الثاني لا يجري إلا في الأولين صاحب الجبر وصاحب التفويض لأنهما شاكان فيما اعتقداه لمخالفته لفطرتهم ووجدانهم فإن كل من له أدنى تميز يجد من نفسه أنه غير مجبور لظهور اختياره في جميع أفعاله وغير مفوض إليه لأن إرادته وأفعاله لا تتم له كلما أراد بل قد يريد ولا يكون ما يريد وقد يريد ثم تنقض إرادته فلا يقول بخلاف وجدانه وفطرته إلا وهو شاكّ وإنما جاءه الشك بعد تركه اليقين وإنما حصل له الشك الذي هو تساوي الطرفين من جهة طينته

وفطرته ، ويمكن أن نقول إن الشك يجري على بعض أفراد القائلين بالحق مجازاً وهم الذين قالوا ذلك لا عن علم ذوقي ودليل كشفي لأن من لم يكن كذلك لا يعرف من المنزلة بين المنزلتين إلا العبارة وهي وإن كانت تكفيه في السلامة ما لم يركب الشطط في التأويلات والعبارات فإن التصرف فيهما لغير المعاين يخرجه عن الاستقامة ، إلا أن معرفة ذلك بهذه المنزلة لفظاً ليست معرفة حقيقة بل هي مجاز الحقيقة وهي مظنة الشك فلو عبّر عنه بذلك لذلك لم يكن بعيداً ، هذا والظاهر أنه لا يجري في المحق ، وإنما أوردت هذا الاحتمال تحذيراً من حال صاحب هذا الحال وحثّاً على معارج المعالي والكمال فقوله : (**كلفهم ما يطيقون [يطيقونه]**) انتهى . يعني من الفعل والإرادة ولو جاز تكليف ما لا يطاق لجاز كل ما يشمله ذلك ويتناوله فيثيب العاصي وإبليس ويعاقب من أطاع أمره على طاعته وغير ذلك من الأمور الشنيعة .

وقوله : (**فإذا أحسن حمد الله**) ، يشير به إلى أنه عرف المنزلة بين المنزلتين وإن كان على سبيل الإجمال ، فإذا أحسن عرف أنها نعمة أمتن بها عليه ووفقه لها فحمد الله على تلك النعمة التي لولا فضله لما وفق لها ولا استحقها (**وإذا أساء استغفر الله**) ، لأنها بائقة [تائباً] منه نهاه الله عنها وفعلها باختياره جرأة على نهيه وعدم ثقة بنصحه فإنه تعالى إنما نهاهم لمصلحتهم قال تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ نهاهم عما فيه هلاكهم فتركوا نصيحته واتبعوا دعوة عدّوهم الشيطان قال تعالى : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ ، فإذا استشعر ذلك استغفر الله وتاب ، ومن كان كذلك فهو مسلم فوّض

الأمر إلى الله ونزهه عما لا يليق بجلاله وعمل بكتابه .

قال عليه السلام : (**فأخبر أن من يعتقد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحق**) .

قوله عليه السلام : (**فأخبر**) يعني أن الصادق عليه السلام : (**أن من يعتقد الجبر**) ، وهو من زعم أن الله أجبر العباد على المعاصي وكلّفهم ما لا يطيقون كما مر (**وأن من يعتقد التفويض**) ، وهو من زعم أن الأمر مفوض إليه أنهم هالكون لأنهم [لأنهم على] خلاف الحق .

ثم قال عليه السلام : (**فقد شرحت الجبر الذي من دان به يلزمه الخطأ وأن الذي يتقلد التفويض يلزمه الباطل فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما**) .

أي بين معتقد القائل بالجبر وبين معتقد القائل بالتفويض لأن القول بالجبر تظليم لله العدل الغني المطلق ، والقول بالتفويض فيه لزوم المشاركة لله في سلطانه وتصرف في ملكه لا كما أراد وذلك كما ترى والقول بالمنزلة كما ذكرنا فيه تعظيم لله عن ظلم العبيد كما أخبر لأن أفعالهم صادرة عنهم فخيرها لهم وشرّها عليهم وفيه تعظيم شأنه وكمال قدرته وسلطانه كما أمر لأنهم لا حول لهم عن المعاصي ولا قوة لهم على الطاعة إلا بالله .

ثم قال عليه السلام : (**واضرب لكل باب من هذه الأبواب مثلاً يقرّب المعنى للطالب ويسهّل به البحث عن شرحه يشهد به محكمات آيات الكتاب ويتحقق تصديقه عند ذوي الألباب وبالله التوفيق والعصمة . فأما الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ فهو قول**

من زعم أن الله عزّ وجلّ جبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه وكذبه ورد عليه قوله ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ وقوله ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ مع آي كثيرة في ذلك هذا فمن زعم أن الله يجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله وقد ظلمه في عقوبته ومن ظلم الله فقد كذب كتابه ومن كذب كتابه فقد لزمه الكفر بإجماع الأمة) .

شرع عليه السلام في بيان ما في القول بالجبر والتفويض من المفاسد والخروج عن الملة عقلاً ونقلاً بعد أن بيّن الدليل على بطلانهما وصحة القول بالمنزلة بينهما بالدليل القطعي كما مرّ فبيّن عليه السلام خطأ القول بالجبر أولاً لما فيه من مخالفة الوجدان حيث إن الاختيار في الفاعلين من كل متحرك بالإرادة من جميع الحيوانات ظاهراً لا يحتاج إلى تأمل عند كل أحد بل عند العارفين أن الجبر غير متحقق في الخلق لا في التشريعي ، ولا في التكويني ، فإنكاره لا يكون عن شبهة بل عناد لا يخفى ، فلذا ذكره أولاً اهتماماً بإبطاله بخلاف التفويض ، فإن الأوهام سبقت على دعوى الإنية في حالة الطفولية إلى أن شبّ على ذلك وشاب على أنه في زعمه مستقل وإن اعتقد أن له ربّاً وأن عليه رقيباً ، ولكن لم يعرفه ولم يصفه بصفته بل اعتقد الفصل بينه وبين خالقه ، وأن خالقه بائن منه بينونة عزلة فحصره وأشار إليه وليس خالقه محصوراً ولا مشاراً إليه ، فهوّده ونصره أبواه المادة والصورة ، فهو ميّت لم يبعث من قبر طبيعته فهو في الظلمات ليس بخارج منها أي ظلمات

الإنية وما يترتب عليها فلم ينكشف له الحال في هذه الحال كانكشافها للجبري ولهذا أكثر الطائفة المحقة اشتبه عليهم مذهب المعتزلة في هذه المسألة بالحق حتى أنهم أولوا التفويض على غير حقيقته استحساناً منهم لمذهبهم فقالوا : ليس هذا قدراً وإنما هو المنزلة الوسطى المثلى حتى أنهم إذا قالوا العدلية عنوا بهم الإمامية والمعتزلة زعماً منهم أنهم اتفقوا على القول بالعدل هنا وليس كذلك ، بل غلطوا وقال أكثر المتكلمين بالتفويض وهو لا يعلم حتى أنه يقول لا جبر ولا تفويض هو المذهب الحق ، ويريد منه أن معناه أن الله خلق الآلة والصحة وهي التي يكون العبد بها متحركاً مستطيعاً للفعل وأمر العبد ونهاه وعرفه النجدين وأعطاه من كل ما يتوقف عليه الفعل على فهمهم ثم خلاه وما عنده فهو يتحرك بما عنده على سبيل الاستقلال .

وقد ذكر الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي في شرحه على زاد المسافرين للعلاّمة بعد أن ذكر مذهب الأشاعرة قال : وذهبت المعتزلة والإمامية والزيدية المسمون في هذا البحث بالعدلية إلى أن أفعال الواقعة من المكلفين بحسب مقصودهم ودواعيهم منسوبة إليهم وهم الفاعلون لها ولا تأثير لله فيها انتهى .

ولا يخفى على العارف البصير أنهم وإن لم يقولوا بالاستقلال ولكن معنى كلامهم ذلك فلا يلحظون إلا إياه ، انظر إلى ما قال هذا الشيخ وهو شيخهم ورئيسهم ليس لأحد منهم فوقه من المرتبة إلا العارفون أصحاب الشهود ، وقال في المجلى في هذه المسألة : والأفعال الصادرة عند دواعيهم هو موجدها بالاختيار لا على سبيل الاستقلال بل باعتبار خلق الآلات ، فجعل خلق الآلات نفياً

للاستقلال يعني أنه ليس في ذلك إلا خلق الآلة ، وقال بعد ذلك : وليس فعل الآلة مستلزماً لفعل ما يقع بها من غير قائلها [فاعلها] ضرورة أن حداد السيف غير قاتل ، إلخ وهو ظاهر كما قلنا .

ثم قال : في الكتاب المشار إليه المسمى بالمجلى وهو أحسن ما صنّف في المعارف الخمس وله فيه تعمقات قال في هذا الموضع : وقال بعض المعتزلة معناه ليس بمنفي القدرة والاختيار ليكون غير فاعل البتة الذي هو معنى جبره ولا مفوض إليه بحيث يكون مستقلاً بإدخال أفعاله في الوجود من دون العناية الإلهية والتدبير الكلي بل [بل لما] أعطاه الله شرائط يتمكن بها من الفعل فقد جعل زمام الاختيار بيده فصحّ أن يكون فاعلاً بالحقيقة ولكن غير مستقل [مستقل به] بالكلية بل بواسطة خلق الآلات وهو قريب إلى الصواب انتهى ، ولا يخفى أن هذا وأمثاله صريح في الاستقلال وإن قال صاحبه إنه غير مستقل فإن ذلك لا يجديه بعد تصريحه ولهذا تنبه رحمه الله لبعض ما قلنا فقال بعد قوله وهذا قريب إلى الصواب قال : لكنه إما أن يصدّق عليه بإعطاء هذه الشرائط أنه فاعل حقيقة أو لا ، فمن الأول يلزم التفويض ومن الثاني يلزم الجبر فلا واسطة .

ثم قال رحمه الله بعد ذلك : ولبعض الفضلاء وجه رابع وهو أن يلاحظ في هذا الفعل صحة النسبتين على الحقيقة لأن وقوع الفعل من المباشر القريب إنما هو باعتبار فيض الشرائط والتوفيقات ورفع الموانع إلا أنه لما كان هو العلة القريبة صح إسناد التأثير إليه حقيقة وإن [لو] أسند إلى العلة المقتضية لتلك الشرائط والأسباب التي ولاّها ، ولولا التوفيقات والإمدادات الإلهية معها لما حصل شيء

في الوجود صح أيضاً حقيقة لأن علة العلة علة بالحقيقة فلا جبر حينئذٍ لجواز الإسناد إلى المباشر القريب بطريق الحقيقة ولا تفويض لجواز الإسناد إلى العلة الذاتية وهذا بالصواب أنسب مما تقدمه إلا أن الواسطة بين الأمرين لم تتعين في هذا التقرير إذ ليس فيه إلا جواز الإسناد إلى الطرفين ، فكان ذلك شركة في الفعل بين فاعلين [الفاعلين] بل الحق في إثبات هذه الواسطة ما سنح لهذا الفقير وهو أنه قد تقرر في باب توحيد الأفعال أنه لا فاعل في الوجود إلا الله لأن المتعمق في هذا المقام لا ينظر إلا الحق وأفعاله فالكل له وبه ومنه وإليه ، بل وينتهي إلى التوحيد الوجودي فلا ترى في الوجود إلا هو ، كل شيء هالك إلا وجهه فلا فاعل ولا مفعول ولا أثر ولا مؤثر وفي هذا المقام تنتفي نسبة شيء إلى غيره له الخلق كله وإليه ترجع الأمور .

ثم إذا نزل المحقق عن درجة التوحيدين ولاحظ الكثرات الوجودية الظهورية بمناسباتها وأطوارها المتعددة المقتضية لحسن النظام والترتيب الواقع على أحسن الوجوه وأبدعها وجب أن يلاحظ الأسباب والمسببات وإسناد آثارها إليها ويتنزل معه إلى مقام الشريعة وإثبات التكليف والاحتياج إلى الشارع الظاهر بصورة النوع المرشد والعلم [المعلم] بوضع السياسات والآداب الشرعية والعقلية لإصلاح النوع وانتظام اجتماعه الضروري في بقائه وتكميل الأشخاص بإخراجهم من القوة إلى الفعل وكل ذلك بدون استناد أفعالهم إليهم وأنهم المباشرون لها المعاقبون عليها المثابون على إيجادها محال ، وحينئذٍ لا جبر بالنسبة إلى المقام الثاني ولا تفويض بالنسبة إلى المقام الأول بل أمر بين أمرين [الأمرين]

بمعنى أن الطالب للحق لا يشتغل بمقام واحد ويجعل الآخر وراء ظهره حتى يكون في أحد طرفي الإفراط والتفريط بل يجب أن يجمع بين المقامين ويلاحظ الحالين ويعرف المرتبتين ، إلخ .

أقول : ما ذكره رحمه الله من اختياره لا يؤدي على الظاهر إلا مؤدى القول الذي قبله وإن كان كلاماً مزخرفاً فإنه بعيد عن الصواب كالأقوال التي قبله وبيان ما فيها من الخطأ فيما أقوله لك فافهمه ، وأما قول بعض المعتزلة الذي ذكره فهو تفويض لا شك فيه عند من نشق نسيم العرفان ، وأما القول الذي بعده فإنه يشبه الحق وليس بحق لأن قوله وإن استند إلى العلة المقتضية إلخ ، إن أراد أن غاية اقتضائها للأسباب لا غير كان تفويضاً كالأول وإن أراد بالاقتضاء أن تكون العلة الثانية والمعلول فيه على السواء في القرب والبعد فهو جبر وإن أراد أن اقتضاء العلة الأولى للمعلول إنما هو باقتضائها للعلة الثانية المقتضية للمعلول من اقتضاء الأولى بالذات في الخير وباقتضائها بالعرض في الشر بأن تكون الأولى فاعلة بالثانية معلولها على الاعتبارين لأنه صفتها أي الثانية فهذا هو الحق القويم والصراط المستقيم كما أشرنا إليه سابقاً مراراً ويأتي إلى [إلا] أن الظاهر من كلامه الاحتمال الأول فلذا [فلهذا] حكمنا إليه بالخطأ ولا تغتر بقوله لأن علة العلة علة فإن لسانه ملحون .

وأما ما اختاره شيخنا فإنه لا جبر ولا تفويض ولا منزلة بين المنزلتين بل هو رأي رابع هو جبر وتفويض لأن ملاحظة التوحيدين اللذين أراد جبر لا مرية فيه وملاحظة ظاهر التكليف تفويض لا شبهة فيه وملاحظة المحصل من المقامين معاً نفي وإثبات معاً لا

عبارة عنه ولا جواب له اللهمّ إلا أن يريد أن هذه الأفعال صفات الفاعلين الذين هم في ملاحظة التوحيدين ليس [ليسوا] بشيء وهناك كلام لشيء في شيء وهم في ملاحظة وجوداتهم المقيدة وأزمنتهم المحددة أشياء بالله وأفعالهم أشياء بهم والله الخالق ، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ ، إلا أنهم في أزمنة وجودهم وأمكنة حدودهم إيقاظ مختارون ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ لكنه لم يرد فتدبر كلامه ، لا يقال إن هذا مثل قوله لأنّا نقول إن قوله جعله اعتبارين في الأول لا شيء وفي الثاني شيء ، وقولنا في الأول وفي الثاني أنهم شيء بالله والله شاء لهم أفعالهم بما شاءها من مشيّة الله في الطاعة وبمشيّته في المعصية لا منها فافهم واشرب صافياً .

وقوله رحمه الله : لبعض الفضلاء وجه رابع كان بعد ذكره لقولين الأول ، قال : وقد اختلف في تعيين هذه الواسطة فنقل عن بعض المتأخرين أن معناه ليس بمجبور على جميع أفعاله بحيث لا يبقى له اختيار في شيء منها ولا مفوض في جميعها بحيث تكون له القدرة والاختيار على كل شيء منها بل بعضها يقع باختياره ويكون فعله بالحقيقة وبعضها واقع عليه بغير اختياره ويكون محلاً قابلاً لها ولا تكون فعله على الحقيقة وإن صح نسبتها إليها على سبيل المجاز من حيث كونه محلاً لها وهذا ضعيف ، فإن ذلك نفي الواسطة [للواسطة] وتقسيم لأفعاله على قسمين وظاهر الحديث إثبات واسطة يكذب عليها كل من الطرفين .

وقال بعض الأشاعرة إنه ليس بمجبور من كل وجه حتى لا يصح

نسبة الفعل إليه البتة ولا تكون مكتسباً بسببه [بسبب] وإلا لبطل التكليف وخلا عن الفائدة ولا مفوضاً تثبت له قدرة مؤثرة واختيار يكون به علة في فعله وإلا لزم الشرك ونفي التوحيد بل أمر بين ذلك وهو كونه كاسباً مكلفاً قادراً مريداً وهذا أيضاً ضعيف ، لأن ذلك الكسب إن كان [كان له] به دخل في التأثير بوجه ما هو فاعل مفوض في الفعل الذي له التأثير فيه أي شيء كان وإن لم يكن له به دخل في التأثير بوجه البتة فلا كسب فيتحقق الجبر المنفي في الحديث فلا معنى في هذه الواسطة ولا تحقق لثبوتها ، انتهى كلامه ناقلاً عنهم وذكر بعد هذين القولين قول بعض المعتزلة المتقدم وما بعده ولا يمكن الكلام على بطلان هذه الأقوال إلا بالإشارة وقد ذكرت ولقد خرجت عن الاقتصار والاختصار وذكرت هذه الأقوال في غير الموضع الذي ينبغي استطراداً عند ذكر أهل التفويض ولئلا تخلو هذه المسائل عن ذكر بعض اختلافهم في هذه المسألة التي تحيَّر فيها الخلق وضلّت الأدلاء :

وكلٌّ يدّعي وصلاً بليلى

وليلى لا تقر لهم بذاكا

إلا أني سلكت في شق هذه اللجة ما لم يسمح به الزمان ولا الدهر وإنما ذلك من بحر السرمد وما فاض به ذلك البحر من المد فإن عثرت على ما عثرت عليه عرفت أن ليس وراء عبادان قرية .

ولنرجع إلى ما كنا فيه فنقول : قال عليه السلام في بيان ما يلزم القائلين بالجبر : (**فأما الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ فهو قول من زعم أن الله عزّ وجلّ جبر العباد على المعاصي وعاقبهم**

عليها)، ومنهم من قال خلق فيهم المعاصي لا بهم بل منه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، (**ومن قال بهذا القول فقد ظلّم الله)** ، بتشديد لام ظلم ونصب الاسم الكريم أي نسب الظلم إليه وجعله ظالماً لعباده (**في حكمه)** ، لأنه إذا جبرهم على معصية أو خلق فيهم [فيهم معصيته لا بهم بل منه ثم عاقبهم على ذلك فقد ظلمهم من وجهين : أحدهما : أنه جبرهم على غير مصلحة تعود إليهم أو خلق فيهم] ما به مفسدتهم لا بهم بل منه وهو لا شك وضع الشيء لا في موضعه وهو الظلم وإنما كان ذلك وضع شيء لا في موضعه لأن كل شيء بينه وبين موضعه مناسبة لائقة تكون عن ذلك مزية لا تحصل بدون ذلك الوضع ، وثانيهما : أن معاقبته لهم ظلم من وجهين أحدهما : أنه عاقبهم بما لم يكن منهم موجبه وهو ظلم لا يخفى ، وثانيهما : أن المعاقبة بدون الموجب وضع الشيء في غير موضعه وهو الظلم كما قلنا ، وقال عليه السلام : (**وكذبه ورد عليه قوله)** ، يعني أنه بقوله إن الله جبر العباد على المعاصي إلخ ، تكذيب له في قوله : ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ بأن هذا كلام مخالف للواقع وهو التكذيب وذلك رد لقوله في كتابه المجيد الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ مثل ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ ، فقالوا : بل ظلم ربّك كل أحد ومثل قوله : ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ ، فقالوا بل بقدرتك وقضائك وقوله تعالى : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ فقالوا : بل جبرهم وظلمهم وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ فقالوا بل ظلمهم كل شيء وقال تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ فقالوا : بل ظلمهم ربّهم ، (**مع آي كثير من القرآن فمن زعم أن الله يجبر على**

المعاصي فقد أحال بذنبه على الله) ، وذلك يستلزم أن لا يُعاقَب فإذا عاقبه فقد ظلمه وهو البتة معاقب له «فقد ظلّمه» بتشديد اللام **(في عقوبته ومن ظلمه كذلك فقد كذب كتابه فقد لزمه الكفر بإجماع الأمة)** ، وإنما أسند الكفر إلى تكذيب الكتاب دون قوله وهو سواء لوجهين : أحدهما : أن تكذيب كتابه أشنع عند الناس وفي الأوهام لشهرته فلا يمكن الشك لأحد في تكفير المكذب بالكتاب ، وثانيهما : أن الكتاب مجمع عليه مقطوع به فإذا كان قطعي الدلالة وهو قطعي المتن لم يكن للمنكر ما يلتجيء إليه ويتعلل به بخلاف القول فإنه وإن وجد قطعي الدلالة لم يكد يوجد قطعي المتن إلا إذا كان كتاباً فإن منكره قد لا يكفر لتحصيله الاحتمال المانع فلأجل ذلك أسند الكفر إلى تكذيب الكتاب لا إلى قوله .

قال عليه السلام : **(ومَثَل ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك نفسه أي لا يقدر على شيء ولا يملك عرضاً من الدنيا ويعلم مولاه ذلك منه)** .

إنما قال : **(عبداً مملوكاً لا يملك نفسه)** اقتباساً من قوله تعالى : ﴿ عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ ، وإنما قال : **(لا يقدر على شيء)** للتأكيد ويجوز أن يكون لرفع المجاز بأن يلحظ في الملك ملك الإحسان والجميل وذلك يكون بين الأحرار ولا يلزم منه صحة المثل لجواز الاستقلال ولأجل ملاحظة عدم جواز الاستقلال في هذا المقال قال عليه السلام : **(أي لا يقدر على شي)** ، ثم أكده بقوله : **(ولا يملك عرضاً)** ، يعني لو قيل بجواز تملكه بالتمليك وقوله : **(يعلم ذلك منه)** يريد أنه إذا علم المولى ذلك صح ترتب المثل عليه وهو الحكم بالظلم لأنه إذا لم يعلم لم

يكن فعله المرتب على عدم العلم ظلماً لكونه أعم منه لتطرق المعذورية على الجاهل لا على العالم .

ثم قال عليه السلام : (**فأمره على علم منه**) ، أي من المولى بأنه لا يملك نفسه ولا يملك ما لا يمكن أن يشتري به شيئاً ، بالمصير إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملكه ثمن ما يأتيه به من حاجته .

وقوله عليه السلام : (**ولم يملكه**) ليس المراد به الحكم بجواز التمليك لتصريحه بعدمه بل البيان شرط التمكن من الفعل المرتب عليه صحة المثل .

ثم قال عليه السلام : (**وعلم المالك أن على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلا بما يرضى به من الثمن**) .

يعني أنه لو أمكن أخذها منه مجاناً لجاء العذر للمولى في عقاب عبده الذي يقدر على أخذها مجاناً ولم يكن المولى ظالماً في ذلك في كثير من الصور .

ثم قال عليه السلام : (**مع أن العبد لا يملك نفسه**) .

وهذا مبالغة في عدم الاستقلال .

ثم قال عليه السلام : (**وقد وصف مالك العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور**) انتهى .

لأنه لو لم يصف نفسه ولم يعلم ذلك منه كان تظليمه ليس بشناعة تظليم من وصف نفسه كذلك ثم كان منه خلاف ما وصف .

ثم قال عليه السلام : (**وأوعد عبده عليه إن لم يأته بحاجته أن**

يعاقبه على علم منه بالرقيب الذي على حاجته أنه سيمنعه وعلم أن المملوك لا يملك ثمنها ولم يملكه ذلك) انتهى .

إنما قال عليه السلام هكذا ليتحقق عدم الجهل ولا يتجه في ذلك نوع عذر للمالك في شيء من ذلك .

ثم قال عليه السلام : (**فلما صار العبد إلى السوق وجاء ليأخذ حاجته التي بعثه المولى لها وجد عليها مانعاً يمنع منها إلا بشراء وليس يملك العبد ثمنها**) انتهى .

وكل ذلك عن علم من المولى و [في] جميع ذلك [ذلك وإن ذلك] هو شرط استطاعة العبد لما أمر بحيث لا يكون مقصراً بحسب مقدرته .

(**فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته فاغتاظ مولاه عليه وعاقبه عليه أليس يجب في عدله وحكمته ألا يعاقبه وهو يعلم أن عبده لا يملك عرضاً من عرض الدنيا ولم يملكه ثمن حاجته فإن عاقبه عاقبه ظالماً متعدياً عليه مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته**) انتهى .

فإذا كان المالك ظالماً في معاقبة عبده إذا لم يفعل ما أمره لعجزه عنه بعدم تمكينه [تمكينه مما] لم يمكن إلا به فكيف على زعم هذا القائل بالجبر الذي يعتقد أن جميع أفعال العباد من الله هو الفاعل لها ولا مدخل للعباد بوجه ما ويعاقب من يشاء ويثيب من يشاء ولا يسأل عما يفعل ، فهذا أبلغ من لزوم الجور والظلم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ثم قال عليه السلام : (**ومن زعم أن الله يرفع عن أهل المعاصي**

العذاب فقد كذب الله في وعيده حيث يقول بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ وقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًاۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ مع آي كثير في هذا الفن) انتهى .

هذا الكلام منه عليه السلام يجوز أن يكون المراد منه أن القول بالجبر يلزم منه على مقتضى قياسهم فراراً [فرار] من القول بتظليم الله . إن الله لا يعاقب أهل المعاصي لئلا يكون ظالماً ويكونون قد كذبوا الله في وعيده كما قال في كتابه ويلزمهم من ذلك الكفر لتكذيبهم كتابه ، ويجوز أن يكون قد استطرد حكم المرجئة الذين يقولون إنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ولذا سموا بالمرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم عن المعاصي أي أخره عنهم إما لاشتراكهم فيما يلزم القائلين بالجبر إذا لم يقل الجبري بالتظليم من الكفر ، لإنكارهم النص من الكتاب كأهل الجبر ، وإما لأن من جهال شيعته من قال بقولهم كما قالوا بالجبر والتفويض كما ذكر من أول هذه الرسالة ثم بيّن عليه السلام على الاحتمالات حكمهم وما يلزمهم .

فقال عليه السلام : (**من كذب وعيد الله يلزم في تكذيب آية من كتاب الله الكفر وهو ممن قال الله ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾**) انتهى .

فهذه الآية وأمثالها صريحة في تعذيب العصاة وتخليدهم في النار

فالمنكرِ لمدلولها كافر لدخوله في قوله : (**وتكفرون ببعض**) ولإجماع الأمة على كفر من رد حكم الكتاب الصريح .

ثم إنه عليه السلام أشار إلى المنزلة بين المنزلتين بعد إبطال أحدهما وهو الجبر إيضاحاً لطريقها ورداً على من تنكبها فقال عليه السلام : (**بل نقول إن الله عزّ وجلّ يجازي العباد على أعمالهم ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملكهم إياها**) انتهى .

من خلق الآلة والصحة وهي القوة التي يكون العبد متحركاً مستطيعاً للفعل وتخلية السرب وإمكان الزاد والراحلة وغير ذلك من السبب المهيج إلى الفعل بتركيب [وتركيب] الشهوة المركبة فيه ، وميل كل من ركنيه إلى ما يقتضيه ومن التأييد والخذلان عند تمام استعداده لأحد الطرفين وقد مر من هذا كثير فلاحظ ومن الأمر والنهي والترغيب والترهيب اللذين هما مفتاحا التأييد والخذلان .

ثم قال عليه السلام : بذلك نطق كتابه ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ انتهى ، ليبين بهذه الآية الشريفة أن العباد فاعلون قد أسند إليهم أعمالهم بقوله تعالى : ﴿وَمَن جَآءَ ﴾ وأنهم مجازون عليها بقوله تعالى : ﴿ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ رداً على الفريقين في الطريقين .

ومثلها استشهاده عليه السلام بقوله : وقال جلّ ذكره ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ۖ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ انتهى ، إنما ذكر عليه السلام من هذه الآية الشريفة إلى قوله تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ

﴿اللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ للتنبيه على تحقيق الوعيد وأن الأمر مبني فيه على التسديد بخلاف ما اعتقدوا .

ثم بيّن عليه السلام أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره وشراً يره فقال عليه السلام : وقال تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ ، ثم قال عليه السلام : (**فهذه الآيات محكمات لنفى الجبر ومن دان به ومثلها في القرآن كثير اقتصرنا على ذلك لئلا يطول الكتاب وبالله التوفيق**) انتهى .

ثم لما فرغ من ذكر حال الجبرية وما يلزمهم شرع في ذكر المفوضة وهم أصحاب المنزلة الثانية من المنزلتين فقال عليه السلام : (**وأما التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وخطأ من دان به وتقلّده فهو قول القائل إن الله جل ذكره فوض للعباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم**) انتهى .

ذكر عليه السلام أحد معنيي التفويض وهو تفويض الاختيار في الأفعال والثاني تفويض الأفعال والمآل في التأدي إلى الاستقلال واحد ، ومعنى ذلك أنهم يزعمون أن الله فوّض إليهم اختيار الطاعات ، فهم مستقلون في ذلك بعد خلق الآلة ، قادرون عليها من غير تهيئة الأسباب الوجودية من التأييدات والألطاف والعنايات التي بها قوام تلك القدرة والاستطاعات ، وفوض إليهم اختيار المعاصي ، فهم مستقلون كذلك قادرون عليها من غير تهيئة الأسباب العرضية العدمية من الخذلان والتجليات القهرية التي بها قوام تلك الدواعي والقدر والاستطاعات . والمعنى الثاني فرع الأول ومرتب عليه والكلام على الأول كلام على الثاني ودعوى الاستقلال دعوى الاستغناء من الفقير الذي لا شيئية له ولا تحقق

إلا بالفقر إلى الغنى المطلق سبحانه وتعالى عما يشركون وإلى ذلك الإشارة بقوله : (**وأهملهم**) وقول المفوض الذي حكى عليه السلام عنه باطل لأنه إذا أهمله ورفع عنه يده لم يكن شيئاً ولكنهم لا يعلمون .

ولو أهملهم بأن فوض إليهم ما به يفعلون ما شاؤوا لم يكن ذلك كذلك إلا بأن جعلهم محال إرادته ومهابط أمره ونهيه فيلزمه الرضا بكل ما فعلوا وإليه الإشارة بقوله عليه السلام : (**وفي هذا كلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقته إلى هذا ذهبت [ذهب] الأئمة المهدية من عترة الرسول صلى الله عليه وآله فإنهم قالوا لو فوّض إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً رضى ما اختاروه واستوجبوا منه الثواب ولم يكن عليهم فيما جنوه العقاب إذا كان الإهمال واقعاً**) انتهى .

وهو كما أشرنا إليه فلهم أن يفعلوا ما شاؤوا وعليه أن يرضى فهم في كل حال مطيعون مستوجبون الثواب فكانت الحكمة تقتضي ألا يرسل إليهم رسولاً ولا ينزل إليهم كتاباً .

ثم قال عليه السلام : (**وتنصرف هذه المقالة على معنَيَيْن : إما أن يكون العباد تظاهروا عليه فألزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة كره ذلك أم أحب فقد لزمه الوهن**) انتهى .

إن كان لم يرض أفعالهم كلها بل بعضها منها كما هو الواقع لأنه أمر ونهي وإلا لم ينه إذ لو رضيها كلها لم تكن فائدة من أمره ونهيه وحيث إنه أمرٌ ونهي لم يفوض إليهم الاختيار باختياره بل تظاهروا عليه وفسروه على اختياره ما اختاروا .

وأشار عليه السلام إلى المعنى الثاني بقوله : (**أو يكون جلّ وعز**

عجز عن تعبّدهم بالأمر والنهي كرهوا أو أحبوا) انتهى .

إما لعدم علمه بما يريد فيه لا يزال وبما يصلحهم ، وإما لعدم قدرته على إنفاذ مشيّته فيهم على ما تقتضيه الحكمة من التكليف وتهيئة أسبابه كما مرّ متفرقاً فالتقطه من أماكنه .

قال عليه السلام : (**فوّض أمره ونهيه إليهم وأجراهما على محبتهم إذ عجز عن تعبّدهم بإرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان**) انتهى .

لا شك في لزوم القول بهذين المعنيين لمن قال بذلك ولا شك في عدم إسلام معتقد ذلك .

ثم إنه عليه السلام ضرب لأهل التفويض مثلاً كما ضرب لأهل الجبر آنفاً فقال عليه السلام : (**ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه ويعرف له فضل ولايته ويقف عند أمره ونهيه وادعى مالك العبد أنه قادر عزيز حكيم فأمر عبده ونهاه ووعده على اتباع أمره عظيم الثواب وأوعده على معصيته أليم العقاب فخالف العبد إرادة مالكه ولم يقف عند أمره ونهيه فأي أمر أمره أو أي نهي نهاه عنه لم يأته على إرادة المولى بل كان العبد يتّبع إرادة نفسه واتّباع هواه ولا يطيق المولى أن يرده إلى اتباع أمره ونهيه والوقوف على إرادته ففوض أمره ونهيه إليه ورضي منه بكل ما يفعله على إرادة العبد لا على إرادة المالك وبعثه في بعض حوائجه وسمى له الحاجة فخالف على مولاه وقصد لإرادة نفسه واتّبع هواه فلما رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه به فإذا هو خلاف ما أمره فقال له : لِمَ أتيتني بخلاف ما أمرتك به ؟ قال : اتكلت على تفويضك الأمر إلي فاتبعت هواي وإرادتي**) انتهى .

هذا الكلام ظاهر مطابق لما صرف في مقالتهم من المعنَيَيْن وهما إما أنهم تظاهروا عليه وألزموه الرضا بكل ما فعلوا وإما أنهم أعجز [إنه عجز] من تعبدهم بأمره ونهيه كما شاء ففوض إليهم ، فعليه أن يرضى بكل ما فعلوه .

ثم قال عليه السلام : (**لأن المفوض إليه غير محظور عليه واستحال التفويض**) انتهى .

لأنه لا يتحقق إلا بما ذكر عليه السلام من تظاهرهم عليه أو عجزه عن تعبدهم بأمره ونهيه وكل ذلك محال في جانب الواجب الحق سبحانه فيكون التفويض محالاً .

ثم إنه ذكر عليه السلام ما يلزمهم من هذا المعتقد في صورة المثل الذي ضربه لذلك فقال عليه السلام : (**أوليس يجب على هذا السبب إما أن يكون المالك قادراً بأمره عبده باتّباع أمره ونهيه على إرادته لا على إرادة العبد ويملكه من الطاعة بقدر ما يأمره به وينهاه عنه فإذا أمره بأمر ونهاه عن نهي عرّفه الثواب والعقاب ورغّبه بصفة ثوابه وعقابه ليعرف العبد قدرة مولاه بما ملكه من الطاقة لأمره ونهيه وترغيبه وترهيبه فيكون عدله وإنصافه شاملاً له وحجته واضحة عليه للإعذار والإنذار فإذا اتبع العبد أمر مولاه جازاه وإذا لم يزدجر عن نهيه عاقبه**) انتهى .

لأن القسمة لا تخلو على هذا المعتقد عن أحد هذين اللازمين إما أن يكون المالك قادراً على نحو ما ذكره عليه السلام ويلزم من ذلك بطلان القول بالتفويض أو غير قادر على ما أراد فيهم فيلزم نفي القدرة والألوهية .

وإلى ذلك أشار بقوله عليه السلام : (**أو يكون عاجزاً غير قادر ففوض أمره إليه أحسن أم أساء أطاع أم عصى عاجزاً عن عقوبته وردّه إلى اتّباع أمره وفي إثبات العجز نفي القدرة والتأله وإبطال الأمر والنهي والثواب والعقاب**) انتهى .

وهذا أيضاً ظاهر وليس لقائل أن يقول الحصر العقلي يقتضي جواز غير المفروض كما اقتضى المفروض فهو أعم من ذلك لجواز أن يكون فوّض إليهم لا لتظاهرهم ولا لعجزه بل يجوز أن يكون اختصهم ففوّض إليهم ، يفعلون باختيارهم بعدما خلقهم وخلق لهم ما يحتاجون إليه ففعلوا ما شاؤوا باستقلال ؟ ولهذا جرى الثواب والعقاب ونطق بهذا المعنى ظاهر الكتاب لأنّا نقول إن المفوض إليهم بهذا المعنى لا يشهدون لهم فعلاً بل فعلهم فعل الله لأن قلوبهم محال مشيّته كما مرت الإشارة إليه قال الله تعالى : ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ وقال تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ .

ولو كان هؤلاء مفوضاً إليهم لم يحصرهم بالأمر والنهي فإن المأمور المنهي ليس بمفوض إليه ولكنهم كما قال الصادق عليه السلام فيما رواه الصدوق في توحيده عن علي بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن الرقى أتدفع من القدر شيئاً ؟ فقال : (**هي من القدر**) ، وقال عليه السلام : (**إن القدرية مجوس هذه الأمة وهم الذين أرادوا أن يصفوا الله عز وجل بعدله فأخرجوه من سلطانه وفيهم نزلت هذه الآية** ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾) انتهى .

ولا شك أن قولهم بالتفويض مستلزم لنفي القدرة المطلقة إما

لغلبة قدرتهم أو لعجز قدرته عما يشاء أو لوجود قدرة مستقلة وذلك يوجب عدم كون قدرته مطلقة لرجوع ذلك إلى الحصر والتحديد وكذلك يستلزم نفي التأله لانتفائه في بعض الممكنات وهي متساوية إليه في المالوهية [ألوهيته] على حدّ واحد من الفقر إليها والقيام بها ، وكذلك يستلزم إبطال الأمر والنهي لأن المفوض إليه لا يجوز عليه حينئذٍ الأمر والنهي وإلا فليس بمفوض إليه وكذلك الثواب والعقاب .

ثم قال عليه السلام : (**ومخالفة الكتاب إذ يقول** : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾) انتهى ، لأنه لو فوّض إليهم لزمه الرضا بالكفر فإذا قالوا بذلك خالفوا الكتاب ويلزمهم ما مر .

وقال عليه السلام : (**وقوله عزّ وجلّ** ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾) انتهى ، لأنه أمرهم بالتقوى ولو فوّض إليهم لم يأمرهم بشيء فمن قال بذلك خالف الكتاب وحق عليه ما مر .

قال عليه السلام : **وقوله تعالى** : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾) انتهى ، فمن قال بالتفويض كذب بأن علة خلقهم المعرفة والعبادة ويجري عليه ما مر .

قال عليه السلام : (**وقوله تعالى** : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾) انتهى ، والاستدلال بهاتين الآيتين مثل ما قبلهما .

ثم قال عليه السلام : (**فمن زعم أن الله فوّض أمره ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز لما عرفت وأوجب عليه قبول كل ما**

عملوه من خير أو شر وأبطل أمر الله ونهيه ووعده ووعيده لعلة ما زعم أن الله فوضهما إليه لأن المفوض إليه يعمل بمشيّته فإن شاء الكفر أو الإيمان كان غير مردود عليه ولا محظور فيه فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد أبطل جميع ما ذكرناه من وعده ووعيده وأمره ونهيه وهو من أهل الآية ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ تعالى الله عما يدين به أهل التفويض علواً كبيراً) انتهى .

قوله عليه السلام : (**لما عرفت**) يعني من المعنيين اللذين ذكرهما من لزوم تظاهرهم عليه حتى ألزموه ما شاؤوا من لزوم عجزه عن تكليفهم إلا بأن يفوض إليهم الاختيار وباقي الكلام كسابقه ظاهره ظاهر ، وقوله عليه السلام : (**وهو من أهل هذه الآية**) ظاهر في كفار قد استحقوا عذاب النار كما يدل عليه ظاهر الآية .

ثم أشار إلى بيان المنزلة بين المنزلتين ظاهراً بالعبارة الموافقة فقال عليه السلام : (**لكن نقول إن الله خلق الخلق بقدرته وملّكهم استطاعة تعبدهم بها فأمرهم ونهاهم بما أراد فقَبِل منهم اتبّاع أمره ورضي بذلك لهم ونهاهم عن معصيته وذمّ من عصاه وعاقبه عليها ولله الخيرة في الأمر والنهي يختار ما يريد ويأمر به وينهى عما يكره ويعاقب عليه بالاستطاعة التي ملكها عباده واتّباع أمره واجتناب معاصيه لأنه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة بالغ الحجة بالإعذار والإنذار**) .

قوله عليه السلام : (**خلق الخلق بقدرته**) ، ردّ عليهم فيما

اعتقدوه مما يلزم به العجز وقوله : (**وملّكهم استطاعة تعبدهم بها الخ**) إبطال للاستقلال المدعى ، وقوله عليه السلام : (**فأمرهم ونهاهم**) دفع لدعوى تفويض الأمر والنهي إليهم ولله الخيرة في الأمر والنهي لا لهم ، وقوله : (**بالاستطاعة التي ملكها عباده**) إبطال لمعتقد أهل الجبر ، وقوله : (**واتّباع أمره واجتناب معاصيه**) ، نفي لمعتقد أهل التفويض .

ثم بيّن أن له الخيرة وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة بناء على ما سبق ولأن أفعاله أجراها على طريق الحكمة تعرفاً منه إليهم وتعرفاً لهم ما جهلوا من صفاته وأفعاله فقال عليه السلام : (**وإليه الصفوة يصطفي من عباده لتبليغ من يشاء [من يشاء لتبليغ] رسالته واحتجاجه اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله وبعثه برسالته إلى خلقه فقال من قال من كفار قومه حسداً واستكباراً لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني بذلك أمية بن أبي الصلت وأبا مسعود الثقفي ولو فوض اختيار أمره إلى عباده ورضي منهم كل ما فعلوه لأجاز لقريش اختيار أمية بن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي إذ كانا عندهم أفضل من محمد صلى الله عليه وآله وكذا أدّب الله المؤمنين بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ فلم يجز لهم الاختيار بأهوائهم ولم يقبل منهم إلا اتّباع أمره واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه فمن أطاعه رشد ومن عصاه ضلّ وغوى ولزمته الحجة بما ملكه من الاستطاعة لاتّباع أمره واجتناب نهيه فمن أجل ذلك حرمه ثوابه وأنزل به عقابه**) .

هذا الكلام ظاهره ظاهر وأما حقيقة القول فقد مر عليك مراراً

وهو أن كل معنى ينسب إلى العبد مما ملكه الله فهو بيد الله تعالى ، لا يخرج عن قبضته فالاستطاعة بشروطها المتقدمة في يده عزّ وجلّ وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ ، فإن الظل من الشاخص وهو يتفيأُ بالشمس وتحركه بدورانها على التفرقة فلا وجود له إلا بها وليس منها ولكنها دليله والظل يتفيأ بها ويسجد لها سجود أصحاب الشمال حيث دعته فأدبر ولم يقبل وكيف لا تكون دليلاً عليه وهو مقبل إليها بإدباره عنها ، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ ، فافهم الإشارة فإن التصريح يفضح السرّ ويغشي الفكر ما يغشى من الأشباح فيرجع البصر خاسئاً وهو حسير .

ولكن تأمل في كل شيء ينسب إلى العبد فإنك تجده وجوداً وكل وجود فهو في يد الموجد سبحانه لا يخرج عن قبضته وإليه الإشارة بقول الرضا عليه السلام : (**هو المالك لما ملكهم والقادر لما أقدرهم**) ، فنفى عليه السلام بقوله : (**هو المالك التفويض**) وبقوله عليه السلام : (**لما ملكهم الجبر فلا يستقل العبد بشيء**) ، إذ كل شيء فإن دخل في الوجود فهو من الله وبذلك الموجود وإن لم يدخل بل تبع الموجود فهو بالله ومن ذلك الموجود وقد مر مكرراً وإليه الإشارة بقوله عليه السلام : (**ولزمته الحجة بما ملكهم من الاستطاعة**) إلخ ، فأخبر بأنه تعالى ملكهم الاستطاعة لكن على نحو ما قلنا بدليل استشهاده بقول جدّه أمير المؤمنين عليه السلام الآتي لعباية حين سأله فقال عليه السلام : (**سألت عن الاستطاعة تملكها من دون الله أو مع الله**) إلخ .

ثم قال عليه السلام : (**وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض بذلك أخبر أمير المؤمنين عليه السلام عباية بن ربعي الأسدي حين سأله عن الاستطاعة التي بها نقوم ونقعد ونفعل فقال له أمير المؤمنين عليه السلام سألت عن الاستطاعة تملكها من دون الله أو مع الله فسكت عباية**) انتهى .

وإنما قال عليه السلام لما قال : (**بها نقوم ونقعد**) لأنه توهم أنه خلقها فينا فكانت عندنا على سبيل الاستقلال لا أنه توهم أنها لم يخلقها الله لنا كما توهمه بعض فقال عليه السلام له : (**تملكها من دون الله أو مع الله**) ، ولو كان ذلك ظنه لقال له : أنت خلقتها أو خلقت شيئاً ، وعباية بالعين المهملة فالباء الموحدة فالألف فالياء المثناة من تحت من خواص علي عليه السلام .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : (**قل يا عباية قال : وما أقول ؟ قال عليه السلام : إن قلت إنك أنت تملكها من دون الله قتلتك وإن قلت : تملكها مع الله قتلتك قال : فما أقول ؟ قال : لا تقول إنك تملكها من دون الله ولكن تقول تملكها بالله الذي يملكها من دونك**) انتهى .

تأمل هذا الكلام فإنه كما ذكرت لك حرفاً بحرف روحي فداؤه وفداء أبنائه الطيبين صلّى الله عليه وعليهم أجمعين .

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً لعباية : (**فإن أتاك كان ذلك من عطائه وإن سلبكها كان ذلك من بلائه هو المالك لما ملكك والقادر لما عليه قدرك أما سمعت الناس يسألون عن الحول والقوة حين [حين يقولون لا حول ولا قوة إلا بالله قال عباية وما تأويلها يا أمير المؤمين ؟ قال] لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة**

الله ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله قال فوثب عباية وقبّل يديه ورجليه) .

أقول : تأمل هذا الحديث الشريف واشرب من بحر العلم النجاح [السجاج] ، ماء فراتاً فإنك إن شربت منه شربة لم تظمأ أبداً وإن أردت دلواً تغترف به ، فقد بذلته لك فاذكر [فاشكر] نعمة الله فإن طلبت رشاء ليتوصل به إلى اغتراف الماء من هذا البئر المعطلة فقد أعطيتكه ومددت لك فيه ما به تنال كل ما تطلب في هذه المسألة وفي غيرها فتدبر ما حررته تعثر على خفايا لا تسعها الدفاتر ولا تجمعها المساتر ، واترك الزمان وزن الكلام وافهم فإن في الزوايا خبايا ولا تعد عيناك عما أوليناك فتخر كما خرّ من سلك هذا البحر المظلم بغير مصباح فلعمري لقد خرّ من السماء فقد تخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق .

ثم قال : (وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله قال : يا أمير المؤمنين عليه السلام بماذا عرفت ربّك ؟ قال : بالتميز الذي خولني والعقل الذي دلني) انتهى .

يجوز أن يكون فاعل خولني ضميراً عائداً إلى التميز أي خولني التميز معرفة ربي يعني أعطاني وأن يكون عائداً إلى الله تعالى وهذا ظاهر .

(قال : أفمجبول أنت عليه ؟ قال : لو كنت مجبولاً ما كنت محموداً على إحسان ولا مذموماً على إساءة ولكان المحسن أولى باللائمة من المسيء) انتهى .

وذلك لأنّا قد بيّنا سابقاً أن الطاعة لا تكون من فاعلها طاعة حتى يكون ويتحقق له من نفسه داع إلى المعصية ويكون ممكناً من

فعلها وتركها امتثالاً للأمر ، فتكون بتركه ما يقتضيه هواه لامتثال الأمر طائعاً وإنما نفي كونه مجبولاً لأنه ينافي الاختيار وذلك لأن جعل الشيء على مقتضى أمر خاص نفي لاقتضائه ، سوى ذلك الأمر بخلاف المخلوق المختار فإنه وإن كان مجبولاً لكنه مجبول من جهة الوجود على اقتضاء الخير والطاعة ، ومن جهة الماهية على اقتضاء الشر والمعصية ، والماهية عكس الوجود وكل كمال لها عكس ضده العام من كمال الوجود فلزمه أن يكون مجبولاً على الشيء وضده [فضده] العام فله أن يفعل الشيء ويترك ضده وله أن يفعل الضد ويترك ذلك الشيء فلا يكون مجبولاً بل هو مختار لأن المجبول يلزم طريقة واحدة فيما جبل عليه فافهم وإنما قال نجدة : أفمجبول أنت حين قال عليه السلام : (**بالتميز الذي خولني**) لأنه [لأنه يرى] القول بأن العباد لا مدخل لهم في الأفعال فاستقوى رأيه بقوله عليه السلام : (**بما خولني فسأله أفمجبول أنت**) ، ليقرر ما رآه فعلم عليه السلام ذلك منه فبيّن فساد رأيه بما مر .

ثم ذكر عليه السلام طريق المعرفة المسؤول عنها من باب الاستدلال بالآثار على وجود الصانع سبحانه لأنه مقام نجدة فقال عليه السلام : (**فعلمت أن الله تعالى قديم باقٍ وما دونه حادث زائل وليس القديم الباقي كالحديث الزائل**) انتهى .

يعني إني نظرت إلى ما وقع عليه شيء من حواسي وبصائري ، فلم أجد إلا ما هو مصنوع ظاهر الصنع محتاج إلى صانع لا تجوز عليه صفات المصنوعين ، وإلا لاحتاج إلى صانع فعلمت بوجود المصنوع الزائل وجود القديم الباقي .

فقال نجدة أصبحت حكيماً يا أمير المؤمنين قال : (**أصبحت**

مخيراً فإن أتيت بالسيئة مكان الحسنة فأنا المعاقب عليها) .

لعل نجدة هذا هو ابن عامر من بني حنيفة خارجي وقال نجدة ذلك تنبيهاً له عليه السلام على أنه مدّع وذلك لسوء ظنه به فأجابه عليه السلام بقوله : (**أصبحت مخيراً**) الخ وهذا الجواب ينفي ما يتوهمه نجدة مما يوجب الجبر ويثبت التخيير الذي لا ينافي الحكمة الخلقية ولا يخرج به عن العبودية بل هو حقيقة الصدق .

ثم قال عليه السلام : (**ورُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرجل سأله بعد انصرافه فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر قال : نعم يا شيخ ما علوتم تلعة ولا هبطتم وادياً إلا بقضاء وقدر من الله فقال الشيخ : احتسب عنائي يا أمير المؤمنين**) .

يعني إن كان ما كان منا بقضاء وقدر من الله فلا نستحق ثواباً على ما أصابنا من العناء لأنّا لسنا بفاعلين .

فقال عليه السلام : (**يا شيخ فإن الله قد عظم أجوركم في مسيركم وأنتم سائرون وفي مقامكم وأنتم مقيمون وفي انصرافكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من أموركم مكرهين ولا إليه مضطرين لعلك ظننت أنه قضاء حتم وقدر لازم**) ، حتى لا يكون لك اختيار في شيء ولا مدخل لك في فعلك لو كان الأمر كذلك لم يستوجب المطيع ثواباً ولا العاصي عقاباً بل يستحق العاصي ثواباً لأنه إنما عصى بغير اختياره ولولا الجبر لم يعص فهو مطيع ويستحق المطيع عقاباً لأنه أطاع مجبوراً ولولا الجبر لم يطع فهو عاص وهو قوله عليه السلام : (**لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ولسقط الوعد والوعيد ولما ألزمت الأسماء أهلها على**

الحقائق) ، يعني إذا لم يكن للعبد مدخل في الفعل بطل الثواب والعقاب لعدم إمكان تعلقهما بشيء إذ الثواب للمطيع فإذا لم يستحقه لعدم الموجب سقط وكذا العقاب فإذا كان كذلك كان الوعد والوعيد لغواً فيسقطان ، ولما سمي المطيع مطيعاً والعاصي عاصياً والمؤمن مؤمناً والكافر كافراً فلا تجري الأسماء على الحقائق فلا تكون الأسماء أسماء لأن الأسماء ، إنما ألزمت أهلها على الحقائق لأنهم تحققوا بأحداث تلك المصادر بفتح همزة أحداث جمع حدث وتلك الأحداث هي مبادىء تلك الأسماء ومصادرها حقيقة .

قال عليه السلام : **(ذلك مقالة عبدة الأوثان وأولياء الشيطان إن الله أمر تخييراً ونهى تحذيراً)** .

يعني أنه تعالى أمر عباده أمراً غير ملجىء للفعل وذلك اللطف والعون منه لعباده الصالحين وليس المراد بالأمر بالمعروف عند العامة ، وإلا لم يجب واجب بعينه لأنه سبحانه خيره فيه أو جبره عليه ونهي التحذير هو الخذلان والتخلية من يده أعوذ بالله من سخط الله لا يقال إن التخلية والخذلان يلزم منهما استقلال العبد في المعاصي ، لأنّا نقول إن المعاصي كما مرّ عدمية لأنها من الماهية وليس لها حظ في الوجود ، وإنما دخلت في الوجود بالتبعية كالظل في تحققه بالشيئية في الوجود بتبعية النور من الشمس فالظل يستمد من منع الإضاءة والنور يستمد من الإضاءة فاستمداد الظل من خذلان الشمس واستمداد النور من فيض الشمس ومددها وعونها فالطاعة بعون الله والمعصية بخذلان الله تعالى فافهم .

ثم قال عليه السلام : **(ولم يُطع مكرهاً ولم يُعص مغلوباً ولم**

يخلق السماوات [السماء] والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) انتهى .

قوله : (**إن الله لم يُطع مكرهاً**) يطع مبني للمجهول ومكرهاً اسم فاعل حال من الضمير في يطع نائب فاعله يعود إلى الله يعني أن الله لم يطعه أحد من خلقه مجبوراً على الطاعة لأن الطاعة كما مر لا تتحقق إلا مع الاختيار وتمكنه من المعصية فلم يطع سبحانه مكرهاً لوجهين ، أحدهما : أن الطاعة لا تتحقق مع الإكراه عليها ، وثانيهما : أن كل ممكن من عين أو معنى مجرد أو غير مجرد فإنما يعبد الله بحسب قابليته منه ويجري عليه أحكامه وقدره وقضاءه بحسب تلك القابلية ، فإذا جاء الخطاب سواء كان الخطاب الأول الذي هو الفيض والماء المنزل على أرض القابليات ، الأرض الجرز الميتة ، وهو التكليف الأول أو الخطاب الثاني هو التكليف الثاني فإذا جاء الخطاب ووقع على الأرض الميتة فـ (**البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربّه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً**) ، فمن قبل عبد الله بذلك وهو حينئذٍ قابل مختار كما تقدم سابقاً ، ومن لم يقبل عبد الله بذلك وهو حينئذٍ قابل مختار فالأول سلك طريق الفضل والرحمة فيتصف بمقتضاهما والثاني سلك طريق العدل والنقمة [النعمة] ، فيتصف بصفتهما [بمقتضاهما] وهذان القسمان هما نقيضان [القبضتان] فتمايز الفريقان وفي الدعاء (**لا يخالف شيء منها محبتك**) ، يعني المخلوقات كلها ، وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ ، فإن المراد بالكره إلزامها ما قبلت من حكمه وطلبت من قسمه فافهم .

وقد مضى ما يبيّن هذا في عدة مواضع فراجعه لتفهم أنه إنما

حكم عليها بما قبلت من حكمه فظهر أن الله لم يطع مكرهاً .

وقوله : (ولم يُعص مغلوباً) يعني ما تقع المعصية إلا ما توافق الإرادة التي ذكرنا سابقاً أنها بالعرض ، لأن وجود المعصية من تمام قابلية الطاعة للوجود فتشاء المعصية لتتحقق الطاعة ، فلا يُعصى مغلوباً إنما يعُصى بمشيّته وإرادته وقدره وقضائه وإذنه وكتابه وتأجيله كما دلّت عليه الأخبار عن الأئمة الأطهار .

وقوله : (ولم يخلق السماوات (السماء] والأرض وما بينهما باطلاً) ، يعني كما زعمه الأشعري الذي ينفي الأصلح والغرض من فعله لأنه تعالى يقول : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ والحمد لله رب العالمين .

(فقام الشيخ فقبّل رأس أمير المؤمنين عليه السلام وأنشأ يقول) :

أنـت الإمـام الـذي نـرجـو بـطـاعـتـه
يـوم الـنـجـاة مـن الـرحـمٰـن غـفـرانـا
أوضـحـت مـن ديـنـنـا مـا كـان مـلـتـبـساً
جـزاك ربّـك عـنـا فـيـه رضـوانـا
فـلـيـس مـعـذرة فـي فـعـل فـاحـشـة
عـنـدي لـراكـبـهـا ظـلـمـاً وعـدوانـا

(فدل قول أمير المؤمنين عليه السلام على موافقة الكتاب ونفي الجبر والتفويض اللذَيْن يلزمان من دان بهما وتقلّدهما الباطل والكفر والتكذيب نعوذ بالله من الكفر والضلالة) .

وهذا الكلام ظاهر .

فقال عليه السلام : (ومثل الاختيار بالطاعة مثل رجل ملكَ عبيداً كثيرة وأحب أن يختبر عبداً على علم منه بما يؤول إليه فملّكه من ماله ما أحب وأوقفه على أمور يعرفها العبد فأمره أن يصرف ذلك المال فيه ونهاه عن أشياء لم يحبها وتقدم إليه أن يجتنبها ولا ينفق من ماله فيها ، والمال ينصرف في أي الوجهين ففرّق المال أحدهما في اتّباع أمر المولى ورضاه والآخر في اتّباع نهيه وسخطه وأسكنه دار اختيار مع علمه أنه غير دائم السكنى وإن له داراً غيرها وهو مخرجه إليها فيها ثواب وعقاب دائمان فإذا أنفد العبد المال الذي ملكه مولاه في الوجه الذي أمره به جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مخرجه إليها ، وإن أنفق المال في الوجه الذي نهاه عن إنفاقه فيه جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود وقد حدّ المولى في ذلك حداً معروفاً وهذا المسكن الذي أسكنه في الدار الأولى فإذا بلغ الحد استبدل المولى ذلك المال والجأ [أبي] العبد على أنه لم ينزل مالكاً للمال والعبد في الأوقات كلها إلا أنه وجد ألا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الأولى التي لا يستقيم سكناه فيها إلا به وفي له لأن من صفات مولى [المولى] العبد العدل والوفاء والنصفة والحكمة ليس يجب إن كان ذلك صرف ذلك المال في الوجه المأمور به أن يفي له بما وعده من الثواب وتفضل عليه بأن استعمله في دار فانية وأثابه على طاعته فيها نعيماً دائماً في دار باقية دائمة وإن صرف العبد المال الذي ملكه إياه أيام سكناه تلك الدار في الوجه المنهي عنه وخالف أمر مولاه تجب عليه العقوبة الدائمة التي حذّره إياها غير ظالم له لما تقدم إليه وأعلمه وصرفه وأوجب له الوفاء بوعده ووعيده بذلك يوصف القادر

القاهر ، أما المولى فهو الله عز وجلّ ، وأما العبد فهو ابن آدم المخلوق والمال قدرة الله الواسعة ومحبته إظهار الحكمة والقدرة والدار الفانية هي الدنيا وبعض المال الذي ملكه مولاه هو الاستطاعة التي يملكها ابن آدم والأمور التي أمر الله بصرف المال إليها هو الاستطاعة لاتّباع الأنبياء والإقرار بما أدوه عن الله عزّ وجلّ واجتناب الأشياء التي نهى عنها طرق إبليس . وأما وعده فالنعيم الدائم وهي الجنّة المأوى ، وأما الدار الفانية فهي الدنيا ، وأما الدار الأخرى فهي الباقية وهي الآخرة) .

أقول كلامه عليه السلام هذا لا يحتاج إلى بيان .

ثم إنه عليه السلام شرع في بيان قول جدّه الصادق عليه السلام الذي ذكره سابقاً وأتى لذلك بتوطئة [بتوطئة] فقال عليه السلام : **(والقول بين الجبر والاختيار والامتحان والبلوى بالاستطاعة التي يملكها العبد فإنّا نبدأ من ذلك بقول الصادق عليه السلام : لا جبر ولا تفويض بل [ولكن] منزلة بين المنزلتين وشرط في الأشياء الخمسة التي ذكرها وجمعت جوامع الفضل)** انتهى .

والمراد بالخمسة الأشياء التي سبق ذكرها ، **(صحة الخلقة وتخلية السرب والمهلة والزاد والراحلة والسبب المهيج للفاعل)** ، فإنها قد جمعت لابن آدم جوامع الفضل والتكريم قال تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ .

ثم قال عليه السلام : **(وأنا أُفسرها لك بشواهد من القرآن والبيان إن شاء الله تفسير الصحة أما قول الصادق عليه السلام : فإن معنى كمال الخلق الإنساني كمال الحواس وثبات العقل والتميز**

وإطلاق اللسان بالنطق وذلك قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ **فقد أخبر جلّ وعزّ عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه من البهائم والسباع ودواب البحر وكل ذي حركة تدركه حواس بني آدم بتمييز العقل والنقل [النطق] وبقوله** ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ **وقوله :** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۞٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ **في آيات كثيرة)** انتهى ، أي ذكر الله تفضيل آدم على سائر خلقه في آيات كثيرة .

ثم قال عليه السلام : **(فأول نعمة الله على الإنسان صحة عقله وتفضيله على كثير من خلقه لكمال العقل وتمييز البيان فمن أجل النطق ملك الله ابن آدم غيره من الخلق حتى صار آمراً باختياره)** ، وذلك لكمال جامعيته كان مختاراً وكان مملكاً قال تعالى : ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ .

ثم قال عليه السلام : **(وغيره مسخر له [له كما] قال الله تعالى** ﴿ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ **وقال :** ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ **وقال :** ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۞٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾ **فمن أجل ذلك ، أي من أجل العقل والتميز الذي ركب فيه ، دعا الله الإنسان إلى اتّباع أمره وإلى طاعته بتفضيله إياه باستواء الخلق وكمال النطق والمعرفة)** .

قوله عليه السلام : **(باستواء الخلق)** يعني به أنه أول المظاهر

الربوبيّة وهو مواقع النجوم الإلهية قلبه عرش الرحمٰن وصدره الكتاب المسطور ، اجتمعت فيه شؤون الربوبيّة فلذلك قال الله تعالى : (**خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك ، باطنك أنا وظاهرك للفناء**) انتهى .

فظهر كما ترى باستواء الخلق وكمال النطق الذي هو منبع النزاهة والحكمة الإلهية وهما له خاصيتان ، وفيه فكر وذكر وعلم وحلم [عمل] ونباهة وبالمعرفة وهي نور الله الذي ظهر به لمن شاء أن يعرفه فعرفه به .

ثم قال عليه السلام : (**بعد أن ملّكهم استطاعة ما كان تعبدهم به بقوله ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ وقوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ وقوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ في آيات كثيرة**) ، يعني ذكر تمليكه استطاعة ما تعبدهم به .

ثم قال عليه السلام : (**فإذا سُلب العبد حاسة من حواسه رفع العمل عنه بحاسته كقوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾** الآية ، (**تقدر الرفع عن كل من كان بهذه الصفة الجهاد وجميع الأعمال التي لا يقوم بها وكذلك أوجب على ذي اليسار الحج والزكاة لما ملكه استطاعة ذلك ولم يوجب على الفقير الزكاة والحج بقوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ وقوله في الظهار : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ كل ذلك دليل على أن الله لم يكلف عباده إلا ما ملّكهم استطاعته بقوة العمل به ونهاهم عن مثل ذلك فهذه صحة الخلقة**) .

أقول : إن بيانه عليه السلام ظاهر لا يحتاج إلى البيان .

وبعد أن فرغ عليه السلام من شرح صحة الخلقة شرع في بيان تخلية السرب فقال عليه السلام : (**وأما تخلية السرب فهو الذي ليس عليه رقيب يحظر عليه ويمنعه [يمنعه العمل بما أمره الله به وذلك قوله فمن استضعف وحظر عليه] العمل فلم يجد حيلة ولم يهتد سبيلاً من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأخبر أن المستضعف لم تخل سربه وليس عليه من القول شيء إذا كان مطمئن القلب بالإيمان**) .

يعني أن المستضعف من جهة منع السرب لا يكلف ما يتوقف فعله على تخلية السرب إذا كان مطمئن القلب بالإيمان أي إذا عقل أنه واجب عليه مكلف به ، وأما إذا لم يكن كامل العقل بحيث لم يفهم التكليف فإن السقوط عنه من جهة عدم التمييز والعقل لا من جهة عدم تخلية السرب .

ولما فرغ عليه السلام من الشرط الثاني شرع في [في بيان] الشرط الثالث فقال عليه السلام : (**وأما المهلة في الوقت فهو العمر الذي يتمتع به الإنسان من حدّه تجب عليه المعرفة إلى أجل الوقت وذلك من وقت تمييزه [تميزه] وبلوغ الحلم إلى أن يأتيه أجله**) .

قد تقدم بيان المهلة في الوقت وهو في كل بحسبه إن كان العمل معرفة فوقته السرمد وإن كان معقولاً كاليقين فوقته الدهر وكالعلم وإن كان محسوساً فوقته الزمان والمهلة في العمل بقدر العمل وما يتوقف عليه من الشروط ، فإنها معتبرة في شروط [شمول] المهلة لها فإن كان علماً فاعتبار المهلة في الوقت هو حصول انتقاش تلك الصور في لوح الخيال وما تعدد [تقدر] ، بذلك من الأشباح لا تعلم العلم بهذه الألفاظ وما هو من المحسوسات فإن المهلة فيه

بالزمان فإن كان معقولاً فالمهلة في الدهر هو قيام المعنى في تعقل العاقل ، وما تقوم [تقدر] به ذلك من الأذرع وأما في مقام المعرفة ويعني بالمعرفة معرفة الخواص التي هي ، (**كشف سبحات الجلال من غير إشارة**) فالمهلة في ذلك (**صحو المعلوم ومحو الموهوم**) وما تفرّد هنالك من المقامات فمقادر الصور أشبار في الدهر وتقومات المعاني أذرع في الدهر أيضاً ، إلا أن الأذرع ميامنه والأشبار مياسره ومقامات صحو المعلوم قامات في السرمد ولكل مبدأ ولكل منتهى (**وما تدري نفس بأي أرض تموت**) .

ثم قال عليه السلام : (**فمن مات على طلب الحق ومن يدرك كماله فهو على خير وذلك قوله تعالى** : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ **الآية ، وإن كان لم يعمل بكمال شرائعه لعلّة ما لم يمهله في الوقت إلى استتمام أمره وقد حظر على البالغ ما لم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم في قوله تعالى** : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ ﴾ **الآية ، فلم يجعل عليهن حرجاً في إبداء الزينة للطفل كذلك لا تجري عليه الأحكام**) .

قوله عليه السلام : (**فمن مات**) الخ ، يعني به أن أنحاء الحق كثيرة ومراتب الكمالات متفاوتة متعددة لا يكاد شخص يتحقق بها دفعة لقول سيد البشر محمد صلى الله عليه وآله عن أمر الله تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ وقولهم عليهم السلام : (**لو لم نزد لنفد ما عندنا**) ، لأن الممكن محتاج إلى المؤثر في كل حال فهو أبداً جديد متجدد نعم قد يطلب شيئاً من الحق فمن أدركه فذلك وإلا فإن مات على طلبه ولم يدرك كماله فهو على خير استدل بالآية الشريفة ، ثم قال عليه السلام : (**وإن لم يعمل بكمال شرائعه لعلّة**

ما لم يمهله من الوقت إلى استتمام أمره) ، لأنه من جهة نقص في عقله أو شيء من الشروط الخمسة المتقدمة غير الإمهال من الوقت فإذا لم يمهله ولم يقصر في شيء يكون مانعاً منه من قِبَله إلا ضيق الوقت فهو معذور وقد وقع أجره على الله ، ثم بيّن عليه السلام أنه لا يكلف إلا دون الوسع ومن يحتمل التكليف فقال عليه السلام : **(وقد حظر على البالغ ما لم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم)** الخ ، وهذا ظاهر .

ثم شرع في بيان الشرط الرابع فقال عليه السلام : **(وأما قوله الزاد والراحلة فمعناه الجدة والثقة التي يستعين بها العبد على ما أمره الله به وذلك قوله : ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ الآية ، ألا ترى أنه قبل عذر من لم يجد ما ينفق وألزم الحجة كل من أمكنه البلغة والراحلة للحج والجهاد وأشباه ذلك كذلك قبل عذر الفقراء وأوجب لهم حقاً في مال الأغنياء بقوله : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية ، فأمر بإعفائهم ولم يكلفهم الأعداء لما لا يستطيعون ولا يملكون)** .

تم كلامه عليه السلام في الشرط الرابع وهذا ظاهر لا يحتاج إلى البيان .

ثم قال عليه السلام في بيان الشرط الخامس : وأما قوله عليه السلام : **(السبب المهيج فهو النية التي هي داعية الإنسان إلى جميع الأفعال وحاستها القلب فمن فعل فعلاً وكان تدين لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل الله منه عملاً إلا بصدق النيّة كذلك أخبر عن المنافقين بقوله : ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ ثم أنزل على نبيه صلى الله عليه وآله توبيخاً للمؤمنين**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الآية ، فإذا قال الرجل قولاً وأعقد في قلبه دعته النيّة إلى تصديق القول بإظهار الفعل ، وإذا لم يعتقد القول لم يتبيّن حقيقته وقد أجاز الله صدق النيّة وإن كان الفعل غير موافق لها لعله بمانع [لعلة مانع] يمنع إظهار الفعل في قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ الآية ، فدل القرآن وأخبار الرسول صلى الله عليه وآله أن القلب مالك لجميع الحواس يصحح أفعالها ولا يبطل ما يصحح [يصححه] القلب شيء ، فهذا شرح الخمسة الأشياء التي ذكرها الصادق عليه السلام أنها تجمع المنزلة بين المنزلتين وهما الجبر والتفويض ، فإذا اجتمع في الإنسان كل هذه الخمسة الأمثال [الأشياء] وجب عليه العمل كملاً كما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وآله وإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنه مطروحاً بحسب ذلك) .

بيّن عليه السلام السبب المهيج للفاعل : (**وهو النيّة التي [التي هي] داعية الإنسان إلى جميع الأفعال**) ، كما ذكر عليه السلام ولا بد أن يكون [تكون] النية مسبوقة بالعلم والقدرة فما لم يعلمه الإنسان لم ينوه ، وما لم يقدر عليه لم ينوه ، وإذا توهم أحد أن ينوي غير مقدوره فقد أخطأ لأن ذلك تصوره وليس التصور نيّة ، لأن النيّة هي العزم وهو الميل الكائن عن الشهوة المركبة في الإنسان ، وقد تقدم بيان ذلك فراجعه . ثم إن النيّة في ظاهر القول ليست اختيارية إذ ليس متى شئت ، شئت ، وإنما الاختيار [الاختيار في] المنوي [المنوي و] في المشاء ، وإنما نبهّت على هذا المعنى في مختصر القول ليفرق ذو اللب بين الداعي والتصور

في هذا المقام ، وليظهر أن نيّة المكره ليست نية حقيقة لأنها وإن كانت على فعل [كانت باعثة على الفعل] المكره عليه لكن لا لذاته وإنما هو للقاسر وإذا ردد فيها لتعارض الشهوة المركبة فيه باختلاف جهاتها لا بسبب [لسبب] الوسوسة وخلط النفس اللوامة بل لتعارض المنوي واقتضاء تلك الشهوة أحد النقيضين لا على التعيين ولو كانت نيّة لم تنفك عن العمل الخالص ، (**إنما الأعمال بالنيات**) ، ولذا قال عليه السلام : (**فمن فعل فعلاً وكان يدين لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل الله منه عملاً إلا بصدق النيّة**) ، ثم قال عليه السلام : (**فإذا قال الرجل قولاً وانعقد في قلبه دعته النيّة إلى تصديق القول بإظهار الفعل ، وإن لم يعقد القول**) بل قال لغرض لا لذات الميل الحقيقي أو الطبيعي نيّة المؤمن خير من عمله (**وإن [إن كان] الفعل غير موافق لها لعلّة مانع يمنع إظهار الفعل**) ، إذ بدون المانع لا تنفك عنه وذلك «في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ » ، والاطمئنان هو صفة الإيمان وهذا ظاهر .

ثم قال عليه السلام : (**وأما شواهد القرآن على الاختيار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين فكثيرة**) .

يعني أن شواهد القرآن صريحة في المنزلة بين المنزلتين بل لا تجد أية إلا وهي متضمنة للمنزلة بين المنزلتين ، الجبر والتفويض إما تصريحاً وإما تلويحاً بل ليس في الوجود كون إلا كذلك ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ ، ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ .

ثم قال عليه السلام : (**ومن ذلك قوله** ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ **وقال** : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ **وقال** : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ **وقال في الفتن التي معناها الاختبار** : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾ **الآية ، وقال في قصة موسى عليه السلام** : ﴿ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴾ **وقال [قول] موسى** : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ **أي اختبارك هذه الآيات تقاس بعضها إلى بعض ويشهد بعضها لبعض**) .

يعني أن هذه الآيات يصدق بعضها بعضاً بأن الخلق لو كانوا مجبورين لما حسن الاختبار ولا الفتنة ولا البلوى ، ولو كان مفوضاً [كانوا مفوضاً إليهم] لما حسن ذلك فشهدت هذه الآيات بالمنزلة بين المنزلتين .

ثم قال عليه السلام : (**وأما آيات البلوى بمعنى الاختبار في قوله [فقوله]** ﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ **وقوله** : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ **وقوله** : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ **وقوله** : ﴿ خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ **وقوله** : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ **وقوله** ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ **وكل ما في القرآن من بلوى ، وأمثالها في القرآن كثير فهي إثبات لاختبار البلوى ، إن الله عز وجل لم يخلق الخلق عبثاً ولا أهملهم سدى ولا أظهر حكمته لعباً بذلك أخبر قوله تعالى** : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾) .

وهذا رد على أهل القول بالجبر الذين لا يقولون بالأصلح ويقولون لا علّة لفعله ولا مجال للعقل في تقبيح شيء ولا تحسينه

إلى غير ذلك ويلزم ردّ هذه الآيات وأمثالها مثل : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ ، ويقولون كل شيء من الله من خير وشرّ وحق وباطل وإيمان وكفر وصدق وكذب ، ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ ، لكنهم يقولون ما قلنا ولا كتبنا هذا قولك يا ربنا وهذه كتابتك والله يقول : (**يقولون وكتبت أيديهم**) والله سبحانه يقول : قل يا محمد (**أأنتم اعلم أم الله**) لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم إنه عليه السلام فرض اعتراض معترض ولا شك أنه واقع بأنه على ما ذكرتم من آيات الاختبار يلزم أن الله تعالى ، لم يعلم قبل اختبارهم ما هم عليه كما هو منطوق كثير من الآيات كقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ فأجاب عليه السلام وهو قوله الشريف : (**فإن قال قائل فلم يعلم الله تعالى ما يكون من العباد حتى اختبرهم قلنا هو قد علم أن يكون منهم قبل كونه وذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ ، حيث أخبر عن المستقبل ، وإنما اختبرهم ليعلّمهم عدله ولا يعذبهم إلا بحجته [بحجة] بعد الفعل وقد أخبر بقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ وقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ وقوله : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ فالاختبار من الله بالاستطاعة التي يملكها عبده وهو القول بين الجبر والتفويض بهذا نطق القرآن وجرت الأخبار عن [عن آل] الرسول صلوات الله عليهم**) .

ومعناه ظاهر لأنه عليه السلام أخبر أنه سبحانه يعلم ذلك قبل الخلق وبعد الخلق بحال واحدة ، ثم استدل بقوله تعالى إخباراً عما سيكون قبل أن يكون [يكون ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ ، وفي الحقيقة لذلك السؤال أجوبة : **أحدها** : أن يكون] معنى أنه إنما اختبرهم ليعلم ما هم عليه أن يقع علمه على المعلوم لأنه سبحانه كان عالماً ولا معلوم ، فإذا كان المعلوم وقع العلم على المعلوم ولا يكون إلا ما علمه لأن علمه أولى بحقيقة التصديق ، وإذا أردت الاطلاع على خفية ذلك فراجع كلماتنا المتقدمة خاصة في ذكرنا للعلم وتضرّع إلى الله سبحانه في أن يكشف لك ما تفضل به علينا من غير استحقاق وكشف لنا يظهر صدق ما ذكر [ذكرنا] فإنه من أغمض ما يرد على المخلوقين بل لا يصل إليه إلا واحد في كل وقت إلا أن يشاء الله .

وثانيها : أن معنى ذلك أنه سبحانه خلق خلقاً استخلصهم لنفسه وجعل طاعتهم طاعته ومعصيتهم معصيته ورضاهم رضاه وسخطهم سخطه وأشهدهم خلق أنفسهم ، وخلق خلقه كلهم فاختبر باستنطاق طبائعهم وطينتهم ليتحقق ما هم عليه من الحقائق ، فإذا تحقق ذلك منهم تحقق ذلك عند أولئك الصفوة عليهم السلام وهو معنى أن الله أشهدهم خلق الخلائق كلهم وعلمهم علم الله تعالى وهو السر في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ بالنون للمتكلم معه غيره أو المعظم نفسه فأما معه غيره فكما قال الصادق عليه السلام لمفضل بن عمر : (**نعم يا مفضل قوله تعالى** : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ **إلى قوله** ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ

مُشْفِقُونَ ﴾ ويحك يا مفضل ألستم تعلمون أن من في السماوات هم الملائكة ومن في الأرض هم الجن والبشر وكل ذي حركة فمن الذين [الذين قال] ومن عنده قد خرجوا من جملة الملائكة والجن والبشر وكل ذي حركة فنحن الذين كنا عنده ولا كون قبلنا ولا حدوث سماء ولا أرض ولا ملك ولا نبي ولا رسول) ، الحديث طويل وفيه أنه عليه السلام استشهد على قوله الشريف بكلام جدّه علي بن أبي طالب في خطبته .

وأما على معنى المعظم لنفسه [نفسه] فإن المتكلم مع صفته العظيمة جمع وهم تلك الصفة على أن قيد التكلم والخطاب والغيبة غير الذات فالعلم بيعلم ، ونعلم هذا الذي ذكرناه فافهمه بتوفيق الله تعالى . ولا يقال إن علمهم عليهم السلام علم سابق لأن الله أعلمهم ما كان وما يكون ؟ فلا يجري هذا الكلام على ظاهر الآيات لأن العلم فيها لاحق لأنا نقول إنهم وإن كانواعلموا ذلك ، لكن من جهة جواز المحو والإثبات على الممكن قبل أن يكون فلا يحصل العلم قبل الوقوع لكونه مشروطاً فافهم .

وثالثها : أن المراد بعلمه اللاحق ظاهراً العلم الحادث عن الإثبات بعد المحور وعن الحتم بعد الجواز فما لم يقع الشيء لا يكون حتى يكون فيها [فيها فيكون] معلوماً فافهم .

ورابعها : ما ذكره عليه السلام بقوله : (**وإنما اختبرهم ليعلمهم عدله ولا يعذبهم إلا بحجته [بحجة]**) فكنى عن إعلامه إياهم بعلمه مجازاً ، إلى غير ذلك من الوجوه وباقي الكلام ظاهر .

ثم قال عليه السلام جواباً عن سؤال فرضي وارد عليه من الجبرية : (**فإن قالوا ما الحجة في قول الله تعالى : ﴿ يهدي من**

يشاء ويضل من يشاء ﴾ ؟ قلنا : مجاز هذه الآية وما شابهها) ، وفي بعض النسخ (**الآيات ، كلها على معنيين**) ، وفي كتاب العلاَّمة السيد الفهامة العالم العامل البدل السيد هاشم ابن السيد سليمان ابن السيد إسماعيل ابن السيد عبد الجواد الحسيني البحراني التوبلي تغمده الله برضوانه في كتابه حلية الأبرار في منقبة محمد وآله الأئمة الأطهار نقلاً من احتجاج الطبرسي رحمه الله هكذا : (**ويضل من يشاء وما أشبه ذلك قلنا مجاز هذه الآية يقتضي معنيين**) ، بوضع (**يقتضي**) مكان (**علي**) وتقديم (**وما أشبه ذلك**) في السؤال ونقصه من الجواب ، (**أما أحدهما فإخبار عن قدرته أي أنه قادر على هداية من يشاء وضلال من يشاء وإذا أجبرهم بقدرته على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب**) .

وهذا المعنى ظاهر ، ثم لما احتمل فيه توهم أنه إن كان المعنى كذلك لزم الجبر أجاب عليه السلام بقوله : (**وإذا أجبرهم بقدرته**) الخ ، ولكنه قادر على ذلك ولا يلزم الجبر لأنه غني مطلق ولا يصح في شأن الغنى المطلق الجبر لاستلزامه الحاجة وفيها [فيه] معنى دقيق قد مر نظائره وهو [هو أنه] إنما يخلق فيهم ضلالتهم بهم إذا ضلوا وهدايتهم بهم إذا اهتدوا .

ثم قال عليه السلام : (**والمعنى الآخر أن الهداية منه تعريفه كقوله : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [الهدى فلو جبرهم عى الهدى] لم يقدروا على أن يضلوا وليس كلما وردت آية مشتبهة كانت حجة على محكم الآيات اللواتي أمرنا بالأخذ بها من ذلك قوله تعالى : ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾**

الآيـــة ، وقـــال : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ **أي أحكمه وأصرحه) .**

يعني أن الاستدلال في استنباط المسائل بآية بحيث تكون أصلاً ويحمل عليها ما خالف ظاهره ، ظاهرها من الآيات إنما يكون بما هو أحكم الآيات وأصرحه دلالة بحيث لا يحتمل غير ما يفهم منه لغة ، وقد قدمنا بعض التوجيه والبيان لبعض ذلك في أول رسالته عليه السلام فراجعه ، وقد يكون [تكون] الصراحة والإحكام باعتبار حال من يستدل له أو عليه بحيث لو كان الحال ، تقتضي الإقناعي الذي لا يرتاب فيه المستدل له أو عليه ، كان هو المراد وقد يترك الحقيقي ، لذلك وهذا شأن أهل الحكمة الذين ينظرون بنور الله ومن ذلك توجيه الإمام عليه السلام يضل من يشاء ويهدي من يشاء بالقدرة على ذلك وبالتعريف ، وهذان الوجهان وإن كانا صواباً لكن ليس في ذلك بيان الهداية والضلالة على الوجه الحقيقي ، لأن المقام لا يقتضي بيانه لعدم الاحتمال .

وأما الجواب الحق المبين لهذه المسألة حقيقة فإنه دقيق ومن تتبّع كلماتنا وعرف مراداتنا هجم على حقيقة الأمر وإنما تركته لأني إن أشرت إليه لم يدرك وإن بسطت الكلام كان وحده رسالة إلا أني ذكرت في المقدمة التي وضعتها في القضاء والقدر على تقرير السيد شريف حقيقة المراد من ذلك ، وأما أسبابها فلم أذكرها لما ذكرت لك ، والأصل في ذلك كله أنه صنع بهم ما سألوه من صنعه وما سألوه إلا ما صنع بهم من ذلك السؤال ففك هذا القفل ولج في خزائن الغيب تخاطب بقوله : ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ، فما أعجب هذه الأحرف القليلة وما أكثر ما فيها من

معاني الغيوب الجليلة وما أقل متناولها وأنّى لهم التناوش من مكان بعيد .

ثم قال عليه السلام : (**أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب وفقنا الله وإيّاكم من القول والعمل لما يحب ويرضى وجنبّنا وإياكم من معاصيه بمنّه وفضله والحمد لله كثيراً كما هو أهله صلى الله عليه وآله الطيبين وحسبنا الله ونعم الوكيل**) .

تم كلامه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين والحمد لله ربّ العالمين .

قال سلّمه الله : **الثامنة** ـ قد سمعنا منك مذاكرة ما حاصله أن الإنسان إذا استعان بالصبر الذي هو الصوم والصلاة وزهد في هذه الدنيا وتفكّر وقنع بما أعطاه [أعطاه الله] ، وجاهد نفسه الأمارة وسلّط عليها العقل حصل له داعي الطاعة وبُعد من المعصية لآية : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ والمجاهَدة مجاهدة النفس لقوله صلى الله عليه وآله لأصحابه في رجوعهم من الجهاد : (**مرحباً بالقوم الذين قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر ، قيل : يا رسول الله ما الجهاد الأكبر ؟ قال صلى الله عليه وآله : جهاد النفس التي بين جنبيك**) ، فإذا حصل من الإنسان ما قلنا ترقى لا سيما إذا تفكّر في مصنوعات الله والتكليفات والنظام وما دلّ على ذلك من القرآن المجيد ووصل للمعرفة الحقيقية ، وإن كانت تلك المعرفة تتفاوت بتفاوت الجهاد قال الله تعالى : ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ ولا يحتاج الإنسان إلى كسب هذه المعرفة من العلماء ونحن قد رأينا في كتاب الله تعالى : ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ وقوله عليه

السلام : (**اطلبوا العلم ولو بالصين**) ، وقوله عليه السلام في خبر أبي إسحاق : (**أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال ، إن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه**) .

وقوله عليه السلام في صحيحة أبان بن تغلب قال : (**لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا**) ، وأنت تعلم أنه لا شيء أعظم من المعرفة لهذا الأمر ، ومعرفة التكاليف تابعة لمعرفة المكلّف لأنا لا نطلب معرفة الشكر إلا بعد معرفة المشكور والظاهر من ذلك أن طلب العلم من أهله مقدم على العمل فمن عرف طريق العلم من أهله وحقيقة المعرفة وجب عليه العمل به وطريق الزهد في زماننا العمل بالحق مما يعلم الإنسان بما وصله من أهله ، وهو الاقتصار على الحلال والرضا بقدر الله وقضائه والحمد لله على نعمائه وبلائه لقوله عليه السلام : (**أجمع لكم الزهد في كلمتين لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**) ، كما قال تعالى في كتابه ، ولأنه عليه السلام نهى ذلك الرجل حين زهد وعاف اللذات وتجنّب هذه الأشياء المباحة فقال صلى الله عليه وآله : (**أترى أن الله يبيح لك لبس شيء وأكل شيء ويعاقبك عليه ؟ فقال له : يا سيدي إنّا نراكم تفعلون كذا وكذا فقال : يا هذا إن الذي يُراد منا غير الذي يُراد منكم فما الجواب في ذلك ؟**) .

أقول : أما ما ذكرت من أن المداومة على الأعمال الصالحة والزهد في الدنيا توصل إلى المعرفة والعلم فذلك مما لا ريب فيه

وقد نطق به القرآن المجيد حيث يقول سبحانه : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فصرح في الأولى بأن التقوى سبب تعليم الله لعبده وفي الثانية لوّح لأهل التلويح أتيناه حكماً وعلماً والحكم الإمامة والولاية والعلم هو العلم بالله وهو معرفة النفس والعلم بالأخلاق والعلم بالأحكام . فبالحكم يتصرف في الأشياء وبالعلم يبلغ التصرف ثم نبّه أن هذا جزاء المحسنين والمحسنون هم أهل المعرفة . قال تعالى : ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ وإنما قلنا ذلك لأن الجزاء ثمرة العمل [العلم] ، فجعل جزاء العارفين الحكم والعلم ، إلى غير ذلك من الآيات ، وأيضاً دلّت الآثار على ذلك مثل قوله صلى الله عليه وآله : (**ليس العلم بكثرة التعلم وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يحب فينشرح فيشاهد الغيب وينفسح فيحتمل البلاء**) الحديث .

وموجب المحبة الموجبة للعلم هو العمل قال الله تعالى في الحديث القدسي : (**ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به**) الحديث .

وروى الملا محسن القاشاني في كتابه قرة العيون عن علي عليه السلام قال : (**ليس العلم في السماء فينزل إليكم ولا في الأرض فيخرج إليكم ولكن العلم مجبول في قلوبكم تخلّقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم**) ، ورواه أيضاً ابن أبي جمهور في المجلى على اختلاف في الألفاظ ، إلى غير ذلك من الأخبار ، وأما من جهة الاعتبار فلأن الإنسان حقيقته الوجودية هي الوجود وهي صفة الموجد العليم فكلما جاهد نفسه حتى يميتها غلب فيه جانب

الربوبيّة الوجودية العلمية وضعف فيه جانب الإنية والعبوديّة التي هي الجهل والفقر والمعصية وبالعكس العكس وعلى قدر ما تزرع تحصد .

وأمّا قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ الآية ، وكذلك الأخبار ، فالمراد بذلك هو أن الإنسان لما كان منذ استحق الإنسانية ، إنما هو يتخلص من المركبات الأرضية والمعدنية والنباتية والحيوانية ، مترقياً شيئاً فشيئاً فكان السابق عليه في الوجود الزماني دواعي الجهل والكثرة والإنية ، لأنه إذ ذاك في أسفل انعطاف قوس الإدبار فيكون تحصيل مقدمة العلم ، [العلم اللدني] الذي نحن بصدده متعذراً أو متعسراً فإذا تعلم عند من تهيأ باستعداده من التعلم والمجاهدة حتى شاهد اليقين ، أشرق من نوره عليه فأخذ بيده وقوى فكره بخطابه واستنار عقله ببيانه وثبت قلبه بهداه وعمله بالاقتداء به فينفتح له ما انفتح لشيخه ، وهذا أحد طرق المجاهدة لأنها تدعو إلى المشاهدة ، نعم لو أن شخصاً اعتدل مزاجه في أصل خلقته ووافق التوفيق استغنى عن العلم [التعلم] .

كما في الأنبياء والأوصياء بل قد يوجد في بعض أفراد الناس من لا يحتاج في التعلم إلا إلى التنبيه والإشارة وليس في كل ما علم بل في بعض وهذا غير خفي ، ولما كان الغالب على الخلق عدم اعتدال المزاج من النطف إلى الأجنّة إلى الدنيا وكذلك [كذلك في الدنيا] في المآكل والمشارب واستعمال العادات وركوب الشهوات وتقليد الآباء واتّباع الأهواء حتى غلب عليهم طبائع المركبات الخبيثات دلّهم الشارع عليه السلام على التعلم من العلماء ،

ليكونوا معينين لهم وليشتغلوا [ليشغلوا] حواسهم الباطنة من دواعي الجهل والمعاصي باشتغالهم حواسهم الظاهرة معهم بنظائرها في النوع المغايرة لها بالمجاهدة والمشاهدة ، حتى يضعف [تضعف] تعلقات نفوسهم بتلك العادات وتتخلص من إشراك تلك المركبات شيئاً فشيئاً وتأنس بظواهر الأخلاق الإلهية حتى إذا انصبغوا بذلك انفتح الباب ، وسمعوا الخطاب وهذا أيضاً من المجاهدة كما قلنا .

ووجه آخر أن العلم الذي يدرك بالمجاهدة والزهد علم التوحيد الوجداني والذي يحتاج إلى التعلم ما يتعلق بالشريعة الظاهرة من الأحكام وعلم الأخلاق منه بالأول ومنه بالثاني ، فلا تنافي بين المعنيين تدبر حديث هشام الطويل من الكافي وفيه عن الصادق عليه السلام : (**يا هشام نصب الحق لطاعة الله ولا نجاة إلا بالطاعة والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم والتعلم بالعقل يعتقد ، ولا علم إلا من عالم رباني ومعرفة العلم بالعقل**) ، وعنه عليه السلام : (**بالحكمة استخرج غور العقل وبالعقل استخرج غور الحكمة فمن علم عمل ومن علم عقل ومن عقل عمل وبالله التوفيق**) .

وأما ما ذكرتم من أن طريق الزهد في زماننا العمل بالحق إلخ ، فكذلك الأمر وهو حق لا مرية فيه إلا أن هذه الأمور الظاهرة بدايات وتلك غايات ولكل شيء بدايات وغايات .

قال سلّمه الله تعالى : ولا تحسبن الذي [لا تحسبني أن الذي] قلته اعتراض على ما قلت به أو شك فيه لا بل [بل هو] استرشاد واستبصار فرج عني فرج الله عنك و ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ [أنعم الله] عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ .

أقول : إنما قال ذلك حثاً على سرعة الجواب وليس به ولله المنّة شك ولا ارتياب ، والصراط المستقيم الإشراق الأول والتعين الأول والحقيقة المحمديّة والولاية المطلقة وصراط الذين أنعم الله عليهم محال الصراط المستقيم ، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وهم أهل العصمة المطهرون [المطهرون من الوصمة] وغير المغضوب عليهم هم أشياعهم الخواص لأن المغضوب عليهم هم الأعداء الماحضون ، من بعد ما تبيّن لهم الهدى وغير الضالّين هم المحبون والضالّون أتباع اؤلئك الأعداء .

قال سلّمه الله تعالى : فإني لأجد في نفسي وهناً وركاكة ذهنٍ وغباوة فهمٍ وكنت إذ خلوت بنفسي تصاعدَتْ زفراتي ، بل ربما تحدرَتْ عبراتي ولم أجد إلى ما أمرت به حيلة ولم أهتد سبيلاً وإني خائف أن أرحل عن دارك قبل أن أهتدي لأقوالكم وأفعالكم ، يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله فيا حسرتي إن حان حيني وهذه سبيلي ولم أحذر قبيح أفعالي [فعالي] .

أقول : إنما قال ذلك هضماً لنفسه وتحقيراً لها وإلا فمقامه أعلى مما نسب إلى نفسه من الركاكة والغباوة والأثر يدل على المؤثر ويجوز أن يكون لمعتقد [اعتقد] ذلك في نفسه وكفى بذلك له فخراً فقد قال عليه السلام : (**إذا أراد الله بعبد خيراً بصّره بعيوبِ نفسه**) .

قال سلّمه الله تعالى : جعلنا الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه :

ولا تحسبنّي غافلاً عن هواكمُ
ولكنني من عظم ما بي أراكمُ

سهرت من الغرقى وبت من الجوى
وإني لأرجو النوم حتى أراكمُ
ولولا خيال الطيف في النوم لم أكن
إلى النوم مشتاقاً فما لي سواكمُ
صلوا واعطفوا منا وجوداً ورحمة
عسى ولعلي في الديار آراكمُ
فمنوا علينا بالمكاتبة التي
هي النصف من إيصالكم ولقاكمُ
ولا تقطعوا القن الذي من صفاته
كثير الخطأ حتى لذاك عصاكمُ
فشأن العبيد القبح والحسن شأنكم
فجودوا وعودوا للذي قد هواكمُ
فإني غريق الذنب أرجو انتقادكم
أجيبوا عباد الله داع دعاكمُ
لعلي إذا فكرت فيما ذكرتم
وعلمتموني أهتدي بهداكمُ
جزاكم إلهي نعمة وفضيلة
بها أنا راجٍ رحمة من دعاكمُ
وصلّى إلهي كلما لاح بارق
على من تولى رشدكم وهداكمُ

جعلكم الله من الذين يهدون الناس فسارعوا لنا برد الجواب لنهتدي إلى الصواب وإلى الله المرجع والمآب وصلّى الله على محمد وآله الأطياب وكتبه الفقير إلى خدمة مولاه الشيخ أحمد ابن الشيخ زين الدين مدّ الله ظلاله وأسبغ عليه نواله باليوم الرابع عشر من شهر جميدي الثانية [جمادى الثانية] سنة تسع ومائتين والألف والحمد لله ربّ العالمين .

أقول : إلى هنا انتهى كلامه نسخته بلفظه بلا زيادة ولا نقصان بلّغه الله آماله في الدارين وأراه في آخرته ودنياه ما تقرّ به العين ، واعلم أنه سلّمه الله قد استزادني [استزاد مني] بياناً في عمل المكتوم على ما ذكرت سابقاً فوعدته أن أجعل ذلك في خاتمة لهذه الرسالة مع زيادة بيان وتمثيل في بعض ما ذكرنا سابقاً من الجفر فأقول وبالله المستعان :

خاتمة : في ذكر استزادة البيان في علم المولود الفلسفي ، خذ الشجرة الطورية في برج الحمل فإنه أحسن أوقاتها ممن هو ما بين الخمسة عشر إلى الثلاثين والأسود أحسن من الأشقر واغسله عن الأوساخ واقرضه ناعماً وضعه في القرع إلى نصفه واربط عليه الأنبيق وقطره واجمع من ذلك ماءً كثيراً ثم ضعه كالهيئة الأولى بنار لينة كحرارة الشمس مرة واحدة وارم الرماد وخذ الثفل وضع عليه من ذلك الماء ثلاثة أمثاله في القرع والآلة العمياء وضعه في نار الزبل أو على نار لينة كحرارة شمس الشتاء سبعة أيام ثم أخرجه وقطّره ورد على الثفل كذلك من الماء .

وهكذا حتى تنحل نصف اليبوسة التي هي الثفل ثم ضع على الثفل الباقي مثله من الماء واطبخه في نار الزبل سبعة أيام ثم قطّره

واعزل القاطر وضع على الثفل ماءً جديداً مثله وافعل كالأول حتى ينحل نصف اليبوسة فارم ما لم ينحل ، وخذ الماء الثاني المعزول واعقده حتى يكون كالعسل ثم خذ من الماء وزنه أربع مرات ضع عليه أول مرة مثله بعد تبييضه بإرسال الماء واستنباطه وعفنه في نار الزبل أربعين يوماً عدد ميقات موسى عليه السلام فيسود كالقار ثم اعمد إلى الثلاثة الأمثال الباقية فاقسمها نصفين واسق المركب بنصفه ثلاث مرات كل مرة يعفن عشرين يوماً فيزرق في الأولى عميقاً وفي الثانية سماوياً ، وفي الثالثة ينحل كالروب ، وهذا الآن هو الحجر الذي يشيرون إليه ثم اقسم النصف الآخر من الماء ستة أقسام وقطّر الحجر سبع مرات في كل مرة تضيف إليه سدساً من ذلك الماء ويشتد بياضه في الرابعة ويظهر النوشادر في القرع إما هنا أو في الأول فضعه مع الثفل وضعه في النار سبعة أيام أول يوم نار ضعيفة ثم لا تزال كل يوم تشد النار فوي السابع كنار السبك ثم اخرجه فإنه هو الخميرة والأنفخة [الأنفحة] ، ثم قطّر الماء بنار لطيفة جداً كنار الجناح يقطر ماء رقيق ظاهره أبيض وباطنه أحمر يصلح لعمل الحمرة ثم تزيد في النار قليلاً ، فيقطر ماء أبيض غليظ ثقيل أشبه الأشياء بالزئبق وهو الغربي ، ثم شد النار فيقطر أصفر كالزعفران وأحمر كالياقوت وهو الزئبق الشرقي الذكر ، ثم اعقد الثفل واطبخه بالماء الأول وأخرج الصبغ منه ثم طهر الباقي بالماء الثاني الأبيض حتى يطهر الثفل ويكون كسحالة الفضة وفي كل مرة تعمل فضع في المركب من النوشادر الذي عندك وهو الخميرة فإذا أردت تركيب الإكسير الأبيض فخذ جزءاً من الثفل المطهّر وهو الأرض المقدسة جزء من الخميرة وهو القاضي وجزء من الشرقي

وجزءين من الغربي وهو الماء الأبيض الثقيل وحل الجميع واعقده ثم خذ من الماءين كما ذكرت لك وضعه على الأرض وحل الجميع واعقده ثم خذ مرة ثالثة كالأول ، وحل الجميع واعقده وقد تم الإكسير الأبيض واحده على ألف من النحاسين أو الرصاصين يكون قمراً خالصاً على الروباص وإذا أردت تركيب الإكسير الأحمر فخذ من إكسير البياض جزءاً ومن الماء الأول الذي باطنه أحمر جزءاً ومن الصبغ الأحمر جزءين عكس ما قلنا في البياض وحل الجميع واعقده وافعل ذلك ست مرات كما فعلت في الأول ثلاث مرات :

وذلـــك مـــعـــنـــى قـــولـــهـــم إن واحـــداً

سـيـغـلـب تـسـعـاً مـن بـنـات الـبـطـارق

هنا وفي التزويج في السادسة يتم إكسير الحمرة واحده على ألف من القمر يكون ذهباً خالصاً على الروباص وإن القيت أحدهما على الزئبق كان إكسيراً وإن ألقيت الأبيض على الفضة كان إكسيراً فافهم . فقد شرحت ولم أكتم ولم أترك إلا ما يحتاج إلى المشافهة والتوفيق والعمل على النيّة وللتردد مدخل والله الموفق للصواب .

وأما زيادة التمثيل الموعود به في صورة العمل بالحروف للطالب والمطلوب فتبسط الاسم هكذا في أحمد مثلاً (**ا ل ف ح ا م ى م د ا ل**) ، وهو المركب الحرفي وبسطه في نفسه (**ا ح م د**) ، والمركب العددي (**ا ح د ث م ا ن ى هـ ا ر ب ع و ن ا ر ب ع هـ**) ، وعلى كل عمل ومثال المركب العددي لأنه أحدها إذا أردت العمل بهذه الطريقة وكان الطالب مثلاً اسمه أحمد ابن فاطمة فحروف عددي أحرفه اثنان وأربعون واستنطاق مكعبه طمضغ

(طمظغ] والملك الموكل به طمضغاييل (طمظغاييل] وعلى إسقاط عدد الملحق ٥١ من أصل المستنطق ثم إلحاقه به حصذغاييل والمطلوب العلم وحروفه عدد أحرفه أربعة وعشرون واستنطاق مكعبه وعث والملك الموكل به **وعثائيل** وعلى إسقاط عدد الملحق **٥١ هكثائيل** وربِّ ساعة العمل مثلاً الساعة الأولى من يوم الأحد الشمس واستنطاق المكعب منه **هكخ** لأنه خمسة وعشرون والملك الموكل به **هكخائيل** ، وعلى إسقاط عدد الملحق **٥١ دعثائيل** وطالع أحمد بن فاطمة برج العقرب ثمانية وعشرون واستنطاق مكعبه **دفذ** والملك الموكل به **دفذائيل** ، وعلى إسقاط عدد الملحق **جلذائيل** والبرج الطالع وقت العمل الحمل خمسة وعشرون واستنطاق المكعب **هكخ** والملك الموكل به **هكخائيل** ، وعلى إسقاط عدد الملحق **دعثائيل** والكوكب الحال في العقرب والحمل المريخ لأنهما بيته واستنطاق المكعب منه ظ والملك الموكل به **ظائيل** ، وعلى إسقاط عدد الملحق **طمضائيل** والمنزلة حال العمل الشرطين أربع وثلاثون واستنطاق المكعب **ونقغ** والملك الموكل به **ونقغائيل** ، وعلى إسقاط عدد الملحق **هقغائيل** والملك الموكل بالبرج الطالع حال العمل إسرافيل أحد وثلاثون واستنطاق المكعب **أسظ** والملك الموكل به **أسظائيل** ، وعلى الإسقاط يظائيل [فضائيل] وخادمه الملك السفلي الجان الأحمر تسعة وعشرون واستنطاق المكعب **امض** والملك الموكل به **أمضائيل** ، وعلى الإسقاط **صذائيل** وملك طالع أحمد المذكور ميكائيل أربعة وثلاثون واستنطاق المكعب منه **ونقغ** والملك الموكل به **ونقغائيل** ، وعلى الإسقاط **هقغائيل** وخادمه السفلي الأحمر أيضاً تسعة وعشرون وقد

مر فيكتفي بالأول لاتحاده وإن أعاده هنا فأولى والمطلوب منه والمرغوب إليه في هذه الحاجة العليم سبحانه ثمانية وعشرون واستنطاق مكعبه **دفذ** والملك الموكل به **دفذائيل** ، وعلى الإسقاط **جلذائيل** وكذلك استخرج ملائكة الحروف بهذه الطريقة وكذا المنزلة واليوم والليلة إلى غير ذلك من الشروط والمناسبات إذ كلما كثرت الجنود قوي الاستيلاء فكانت الأسماء المذكورة في التمثيل اثني عشر اسماً وهي ثلاثون حرفاً واستنطاق مكعب المركب من الأسماء الاثني عشر **زنر غغغغغغغغغغ** والملك الموكل به صاحب الهيمنة كلها عليها [عليها كلها] هو **زنر غغغغغغغغغغائيل** وعلى الإسقاط **ورغغغغغغغغغغائيل** وعلى عدم الإسقاط فالزاي وزنه من الهواء درجة ونظيره الممازج له الهاء من النار وتركيبه **زه** والنون وزنه من التراب ثانية ونظيره هو العين من الماء وتركيبه **نع** والراء وزنها من الماء ثالثة [الثالثة] ونظيره من التراب **صاد** وتركيبه **رص** والغين وزنه من الماء خامسة ونظيره من التراب ض **وتركيبه غض غض غض غض غض غض غض غض غض غض** فتأليف هذا الاسم الشريف وتركيبه هكذا **زه نع رص غض غض غض غض غض غض غض غض غض غض** وعلى الإسقاط فالظاهر أنه الاسم لا يختلف باختلاف الملك وعلى احتمال الاختلاف فالواو درجة من التراب ونظيرها ح فيكون تركيب الاسم **وح رص غض غض غض غض غض غض غض غض غض غض** فالغالب على طبيعة حروفه الماء لكثرة الحروف المائية عنه [فيه] فبعد استيفاء الشروط والمناسبات يكتب في إناء من حديد بزعفران والبخور حال العمل صندل أحمر .

واعلم أن أخذ هذه النظائر إنما هي على ترتيب البروج ومنهم من

يأخذها على ترتيب العناصر فإذا أخذت كذلك اختلف التركيب ويوزن الاسم بالموازين المتقدمة وتعرف طبيعة الاسم ويعمل عليها ولكن القوم صرّحوا بأن العمل على أي الاصطلاحين صحيح ، ومنهم من قال إن كان العمل فيما يتعلق بالعقول والنفوس فالأولى أخذ ترتيب البروج ، وإن كان متعلقاً بالاجسام فالأولى أخذ ترتيب العناصر وهو اعتبار صحيح فلا بأس به بل ربما يكون متعيناً .

ثم إن هذا أحد الطرق وأحد جهات العمل وأحد الموازين وإنما أتيت به على سبيل التمثيل لأن من لم يعرف العمل على وضعه التام لا يتم مطلوبه واعلم أن المركب كلما ازداد نعومة وتكليساً وتكريراً ازداد جودة وفعلاً وهذا العمل كذلك كلما ازداد تكسيراً وتكعيباً بحيث تكثر الأعوان والقوى ازداد سرعة في الفعل وظهور الأثر والله سبحانه الموفق وحيث انتهى بنا الحال إلى هنا فلنقطع الكلام حامدين مصلّين مستغفرين .

ثم اعلم أنه سلّمه الله تعالى كتب إليّ هذه المسائل وصحبتها معي إلى العراق رجاء أن أتمها في الطريق وكتبت منها بعضاً قليلاً نحواً من أربع وعشرين ورقة وحالت دون الإتمام أسباب التعويق فلما قدمت البحرين في السنة الثانية من ذلك التاريخ استخبرني سلّمه الله الجواب والهم غير مجتمع لحوادث الليالي والأيام والقلب منصدع لوقوع دواهي الدهر العظام وأنا أعده حتى أتى هذا التاريخ فسارعت في إجابته وليس لي ميل إلى ذلك لما هجم على الناس من شدة الضر والبأس ، فإن اخطأت في شيء فأنا معذور ولو فرض أن [ليس] في قصور فكيف وما أنا فيه من القصور وكثرة الإضاعة من قليل البضاعة على أني أوصيك بالتأمل فكم من خبايا

في الزوايا وإياك والتسرع في التكذيب بما لم تعلم وابتهل إلى الله الفتاح في فتح مقفلها لك واستخراج الكنز من الرمز والله خليفتي عليك وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وكتب مؤلفها العبد المسكين أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن داغر الأحسائي في القرية المسماة ببني تابع بلاد [البلاد] القديم من البحرين وقد فرغت من تأليفها وتسويدها في الليلة الثانية والعشرين من شعبان سنة ١٢١١ [الحادية عشرة بعد المائتين والألف من الهجرة النبويّة على مهاجرها وآله الطاهرين أفضل الصلاة وأزكى السلام والحمد لله ربّ العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين] .

رسالة في جواب السيد حسين ابن السيد عبد القاهر

في قضية موسى والخضر عليهما السلام وأمر الرجعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إن السيد السند حسين [السيد حسين] ابن السيد عبد القاهر أيده الله بمدده قد كتب إلي مسألتين طلب جوابهما على الحقيقة ، وهما مسألتان ينبغي التوجه لهما لصعوبة الجواب منهما [عنهما] لابتنائه على لسان أولي الألباب ، فمن عرف لغة العلماء العارفين وفهم بذكاء المؤمنين الممتحنين وصل بهذا الجواب إلى اليقين فكتبتُ سؤاله وتكلمت على حسب ما يحضرني على كل كلام بمآله والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المسألة الأولى ـ قال سلمه الله تعالى : ما يقول شيخنا في قضية موسى على نبينا وآله و عليه السلام مع الخضر عليه السلام كيف يصح أن يكون الخضر أعلم من موسى عليه السلام وهو حجة الله عليه وليس طريق العلم بالمغيبات من أمثال ما ذكر إلا بصفاء العقل وقبوله للفيض الرباني ، وليس الجهل بأمثالها إلّا لعدم الاستعداد ضرورة فكيف مع ذلك أن يكون موسى عليه السلام أفضل من الخضر عليه السلام وحجة عليه ، فإن قيل : موسى عليه السلام أعلم بالأمور التكليفية ، قلنا : الاطلاع على مراد الله من التكليف

اعسر من الاطلاع على غيره من المعارف ودقائق العلوم كما نص عليه العلماء ، فكيف يجوز استعداد العقل لمعرفة ما يحتاج إلى زيادة مجاهدة وكشف ولا يستعد لمعرفة [لمعرفة ما هو] دون ذلك فيما ذكر ما هذا إلا شيء ينفر الطبع السليم عن قبوله وتحكم الفطرة برده .

الجواب : اعلم أن العلم قسمان : قسم يتعلق بتكاليف المكلفين من الأعمال والاعتقادات والآداب الشرعية التي أسس الشارع بنيانه ، كعلم التوحيد وما يتبعه من المعتقدات وما يترتب على ذلك من الأدلة والآيات ، وكعلم الأخلاق وتوابعه كذلك وكعلم الشريعة وما يتعلق [يتوقف] على ذلك من العلوم [العلم] وقسم يتعلق بأحوال البدا والعلل والكيفوفة ، وما يتعلق بالقدر والقضاء وارتباطهما بالمقدرات والمقتضيات [المقضيات] ومظاهر العدل وتعلقاته وأسباب الخلق وأمثال ذلك مما لا يكون من المعتقدات ولا الأخلاق ولا التكاليف ولا ما يرتبط بذلك ويتوقف عليه ، فالأول هو الذي أرسل الله به الرسل وأنزل به الكتب وأقام له الدلالات ونصب لأجل إبلاغه الحجج لعدم استغناء المكلفين عن [من] ذلك ، والثاني ليس كذلك فيكون العالم بالأول حجة [الحجة] على كل مكلف حتى على العالم بالثاني إذا لم يكن عالماً بالأول لعدم حاجة المكلفين إلى الثاني وعدم استغنائهم عن الأول ، إذ به قوام دينهم ودنياهم ومعتقداتهم ، فموسى على نبينا وآله و عليه السلام وهو العالم بالأول وهو الحجة على جميع أهل زمانه ومنهم الخضر عليه السلام وهو يأخذ أحكام دينه منه والخضر عليه السلام قد علم بعضاً من العلم الثاني لمصالح يجريها في

العالم بفتح اللام حسبما أمر لكونه أحد الأركان [الأركان الأربعة] للقطب الذي هو محل نظر الله وهو الغوث في اصطلاح أهل التصوف وإن كان في أحد الاصطلاحين الحاد في كثير من المواضع ، وهو ما يذهبون إليه من أن الغوث الذي هو محل نظر الله من العالم قد يكون جزئياً وهو الإلحاد الذي أشرنا إليه ، لأن الحق أن الغوث لا يكون إلا معصوماً بل في الحقيقة لا يكون إلا كلياً فافهم الإشارة .

فالخضر عليه السلام قد أودع بعض [بعضاً] من الثاني لمصالح لا تتعلق بالمكلفين من حيث هم مكلفون وإنما كان الخضر عليه السلام حجة على موسى في تلك المسائل المذكورة لتكليفه بخصوصه بتلك المسائل لما كانت في حال من الأحوال بالنسبة إليه من علم الأخلاق رفعاً لشأن موسى عليه السلام وتزكية له ، وذلك أنه خطب بني إسرائيل وذكر ما أنعم الله به عليه وفضله إقراراً بنعمة الله وطلباً للمزيد ، فأحب سبحانه لموسى عليه السلام مقاماً أعلى من ذلك المقام الذي هو الشكر [مقام الشكر] وهو مقام العبودية والفقر جزاء لشكره لأنه سبحانه يجزي الشاكرين كما يحب ويختار لهم لا كما يحبون ويختارون فأمره أن يصحب الخضر وألهم الخضر عليه السلام ما لا يعلمه موسى عليه السلام ليصدق فقر موسى وعبوديته لأنه سبحانه يختار لمن أنعم عليه ، وأراد رفع درجته الانكسار على مقام الشكر وإن كان الشكر يستوجب المزيد لأن مقام الانكسار والانحطاط أعلى وأشرف لأولي الفضائل والنعم ، وأوفر في طلب المزيد من مقام الشكر ، فكان الخضر عليه السلام حجة على موسى عليه السلام في هذه المسائل لتحصل

[لتحصيل] الغاية إذا كلف بقبولها وموسى كما تقدم حجة على الخضر عليه السلام فيما يريد الله من العباد وأعلم من الخضر ونظيره في التمثيل أن المجتهد العالم [العام] القائم بجميع [لجميع] الأحكام للمقلدين فإنه حجة عليهم وفيهم العالم بعلم الطب [الطب الذي] يكون حجة على ذلك العالم العام فيما يضطر إليه من معالجة المرض الذي فيه وإن كان العالم [ذلك العالم] أعلم من الحكيم وحجة عليه من [في] سائر الأحكام .

وقوله سلمه الله : وليس طريق العلم بالمغيبات من أمثال ما ذكر إلا بصفاء العقل الخ ، جوابه : أن شرف العلم بشرف المعلوم وصفاء العقل بصفاء المعقول ، وكان معلوم موسى عليه السلام ومعقوله وهو الله وصفاته وأفعاله وأحكامه ومراداته أشرف وأعلى وأصفى من معلوم الخضر ومعقوله من هذه المسائل وأمثالها ومعرفته بالله أعلى من معرفة الخضر بالله ، وهذا ظاهر ، وأما وجه صعوبتها وعدم اطلاع الخلق عليها فلعدم حاجتهم إليها ، فحجب عنهم علم ما لا يحتاجون إليه ولما جعل الخضر عليه السلام موكلاً بذلك توجه إلى الاستعداد بقبوله ولو توجه موسى عليه السلام إلى ذلك لناله بأسهل من استعداد الخضر ولكنه ليس مما يعنيه ولا مما يراد منه كما أريد من الخضر عليه السلام ، والأصل في ذلك أن أعلى مراتب الأمكان مرتبة الإنسان وكل مرتبة في الأمكان فهي تحت مرتبته ، فصح له أنه يمكن فيه كل ما خرج عن صقع الربوبية فافهم وراجع . ففي ما أمليناه جميع ما تحتاج إليه في بيان هذه المسألة وما يتعلق بهايتعلق بها المسألة الثانية .

وقوله : فإن قيل موسى عليه السلام أعلم بالأمور التكليفية قلنا :

الاطلاع على مراد الله من التكليف أعسر من الاطلاع على غيره من المعارف ودقائق العلوم إلخ ، مؤيد لما قررناه لأن الاطلاع على مراد الله من التكليف هو مقام موسى عليه السلام لا الخضر ، لأن الخضر عليه السلام إنما يطلع على مراد الله فيما يخصه [ويعنيه بتبعية موسى عليه السلام] .

المسألة الثانية ـ قال سلمه الله تعالى : ما يقول شيخنا في الرجعة المعلوم ثبوتها ضرورة من السنّة ومن مذهب الأئمة عليهم السلام ما حقيقتها ، فإن الظاهر منها رجعة الأجساد بعد التلاشي وذلك معاد جسماني فهل تكون تلك الأجسام المعادة بمنزلة هذه الأجسام التي بين أيدينا في الكثافة ؟ أم تكون كأجسام أهل الجنّة في اللطافة ؟ التي قد قيل فيها لو برزت لنا في هذه النشأة لم تدركها أبصارنا ، فإن كان الثاني لم يحصل [لم يحصل لهم] الأنس مع أهل الأرض من إخوانهم الذين لم يموتوا بعد ولم ينتظموا في سلكهم فكيف تتم بهم النصرة وتأتلف بهم الكلمة مع أهل هذه النشأة ؟ وإن كان الأول فكيف يمكن تعقل العود كذلك من جهة العقل وقصارى العقل أن يدرك العود الجسمي بالمعنى الأول ، إذا بلغ الغاية في التلطف وعرف الصناعة الإكسيرية ؟ .

أقول : اعلم أن الرجعة [الرجعة المذكورة] وخروج الأموات عند خروج الحجة وخروج الحسين عليهما السلام هي رجعة الأجساد بعد التلاشي وهو معاد جسماني فهي في الرؤية بمنزلة هذه الأجسام ، بمعنى أنهم يكونون مع من لم يمت ويتزاوجون معهم ويستأنسون والأصل في هذا العود وأنه في الصورة بحكم هذه النشأة إن الأجسام الأصلية التي هي الطينة تمتزج بمواد الأغذية

ولطائف المطاعم وذلك كله من هذا التراب الكثيف ، فإذا امتزجت تلك الأجزاء اللطيفة بالأجزاء الكثيفة كانت منها هذه الأجسام الكثيفة لكثافة الخلط ، فما دامت الأرض كثيفة لا يخرج منها إلا الكثيف بخلاف بعث الآخرة لأنهم إذا [إنما] يبعثون من الأرض بعد تصفيتها بنفخة الصور الثانية فيكونون في غاية الصفاء نعم يكون العالم كله عند قيام القائم عليه السلام من الأرض والناس والأنعام والنبات أصفى من هذه الحالة التي نحن فيها مثل صفاء أجساد الأولياء والأنبياء في هذا الزمان ، بمعنى أنهم خفوا من أثقال الذنوب بحيث لو سار انطوت له الأرض لغلبة النور عليه وإن كان كثيفاً في الظاهر ولأجل ذلك يرون الملائكة والجان ويدركون أشياء نعجز عنها ويحصل للمؤمن قوة أربعين رجلاً إلى غير ذلك ، بل روي ، (**إن آخر الرجعات تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما وراء ذلك بما شاء الله**) وكذلك (**النخل والجشر يحمل كل سنة مرتين**) ، إلى غير ذلك مما لا يصح مع هذه الكثافة التي نحن الآن فيها .

وقوله أيده الله تعالى : فكيف يمكن تعقل العود [العود كذلك من جهة العقل جوابه أن العقل إنما يتعقل العود] على هذا الوجه الذي هو الأول المشار إليه في السؤال ، وهذا ظاهر .

وقوله أيده الله : وقصارى العقل ان يدرك العود الجسمي بالمعنى الأول إذا بلغ الغاية في التلطف وعرف الصناعة الإكسيرية ، جوابه أن العقل يدرك الأول ببداهة كما بيّنا وإنما يحتاج العقل إلى التلطف ومعرفة الصناعة الإكسيرية في إدراك المعنى الثاني لأن الصناعة الإكسيرية إنما تمت لما دبرت على هيئة العود الأخروي

في التطهير لتلك الأجسام عن الغرائب والكثائف ، بحيث تكون أرض الإكسير أرضاً مقدسة صافية كجرادة الفضة في البياض وكجرم البلور في الشفيف بكثرة الغسل بفتح الغين المعجمة بالأنثى الغربية بعد بلوغها وبحيث تكون تلك الأرواح بالغة بالحرف والتفصيل والتزويج بالزوجات الأربع والتوليد للبنات الست وتقويتها بإكليل الغلبة إلى أن تكون الأرواح صابرة على الجحيم والنعيم بكثرة التربية فيهما ، وتكون الأرض مشاكلة للأرواح بكثرة التمشية وتعلمها معها الصعود إلى القوابل بكثرة الحل والعقد وإدراك العقل لذلك الذي هو مرآة العود بالمعنى الثاني يحتاج فيه إلى التلطف بعد التوقيف لا لا المعنى الأول وشرح الحال في هذا المحال [المجال] يحتاج إلى بسط كثير وتوقيف من بصير .

قال سلمه الله تعالى : ثم نقول بعد ذلك كله هل يستقيم لمن منع المعاد الجسماني في الآخرة وأول ما ورد فيه من الآيات والأخبار أن يعمل مثل ذلك فيما ورد في أمر الرجعة أم لا ؟ وهل نقل عن أحد من علمائنا أم لا أفيدونا مما أفاضه عليكم الحبيب وزكّوا عرفانكم لتنمو وتطيب ولا تقولوا عليكم أن تسألوا وليس علينا أن نجيب ، فإن اليتيم لم يجد له من يؤويه والأسير لم يجد له من يفديه والسلام إلى هنا انتهى كلامه أعلى الله مقامه آمين رب العالمين .

أقول : اعلم أن معاد الجسماني قد أجمع علماء المسلمين على القول به واعتقاده وإنما اختلفوا في الدليل المثبت له هل هو الشرع لا غير ، ولا طريق للعقل إلى إثباته بحكمهم بعدم إحساسه لذاته بعذاب ولا نعيم ولا شعور له حتى يصح توجه التكليف إليه المستلزم للجزاء المستلزم للإعادة ، أم يكون إثباته كما يصح من

جهة الشرع يصح من جهة العقل لأنه شرع باطن ، كما أن الشرع عقل ظاهر وعلى الأول أكثر العلماء من المتكلمين وأهل العرفان حتى أن ملا صدرا في كتابه شواهد الربوبية ذكر أن إثبات المعاد الجسماني لا طريق إلى إثباته من جهة العقل وإنما الطريق إلى إثباته هو الشرع ، وبالثاني قال قليل من العلماء والحكماء لصعوبة المسلك وسعة المأخذ ودقته وهو الحق لأن العلة الموجبة لإعادة الأرواح هي العلة الموجبة لإعادة الأجساد بعينها لا لمباشرة الأجسام للأعمال ، وأن الأرواح لا يمكن مجازاتها إلا بكونها في الأجساد ، بل لأن الأرواح والأجساد من هيولى واحدة بسيطة ففيها من الإدراك والشعور والإحساس والفهم وغير ذلك من الأمور الموجبة للتكليف الموجب للجزاء الموجب للإعادة كما في الأرواح ، بل هو من شيء واحد إلا أن ما في الأرواح أقوى مما في الأجساد بنسبة ما فيها من اللطافة والكثافة على حسب قوة الوجود وضعفه ، فهو فيهما مشكك وبالجملة فالعقل يشهد بالمعاد الجسماني ، وإن دق مأخذه وبيان ذلك لمن أراده مذكور في علم الصناعة ، فمن أراده طلبه هناك من عند أهله وأما من منع المعاد الجسماني فإنما منعه من جهة العقل لا من جهة الشرع فلا يؤول أحد من علماء المسلمين فيما اعلم ما ورد في الأخبار والآيات من المعاد الجسماني يوم القيامة الكبرى .

نعم كان الجمهور ينكرون المعاد الجسماني في الرجعة وتابعهم قليل من هذه الفرقة وقولي قليل استضعاف لقوله وقد قال الله تعالى في كتابه : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى

﴿يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ، وهذه الآية في التأويل في الجمهور الذين أنكروا البعث الأول والقرآن مشحون به والأخبار ناطقة به وأولوا ما ورد منهما على البعث الأخير ، فقال تعالى رداً عليهم : ﴿بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ والوعد الحق هو الحجة عليه السلام : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾ ، والذي يختلفون فيه هو الصاحب عليه السلام ورجعة السفاح عليه السلام بعده إلى آخر الرجعات ، ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ وهم الذين كفروا ببعض الكتاب وإن آمنوا ببعض فهؤلاء يؤولون ما ورد من القرآن والأخبار ويحملون ذلك على البعث الأخير .

ولهذا رد الصادق عليه السلام على ما [من] قال بذلك وأول قوله تعالى : ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا﴾ ببعث القيامة الكبرى حيث قال عليه السلام : (**يحشر من كل أمة فوجاً ويدع الباقين**) وبالجملة فالرجعة في الدنيا بعد الموت سر الله أوعزه إلى نبيه وآله صلّى الله عليه وآله فبشروا به أولياءهم فآمنوا بالغيب وفيهم أفراد شاهدوا آياتها بعقولهم الطاهرة فشهدوا بالحق وهم يعلمون والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

تمت بقلم منشئها في الثاني عشر من شهر ربيع الثاني سنة ١٢١٤ ، أربع عشرة بعد المائتين والألف من الهجرة صلّى الله على مهاجرها وآله الطاهرين حامداً مستغفراً مصلياً مسلماً .

رسالة في جواب الآخوند
الملا حسين الواعظ الكرماني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العَالمين وصلّى الله على محمد وآله الطّاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد أرسل إليّ المخلص الصافي عن الرّين العاري عن الشّين الآخوند الملا حسين الكرماني المعروف بالواعظ ، بعض المسائل المتصعّبة على الأفهام لأن في بعضها ما لم تذكر في كلام ولم تجر على لسانِ أحد من الأعلام فيما وصل إليّ على حالِ تشتّت من البال لا يكاد يحضره المقال ، فاجبت أمره مع كثرة الاشتغال بما يحضرني على سبيل الاستعجال فأقول :

قال سلمه الله وأيّده برضاه وأصلح له آخرته ودنياه : بيّنوا لنا هذه الفقرات الشريفة المذكورة في السورة المباركة المسمّاة بهل أتى على طريقتكم مرّة يقول عزّ من قائل يشربون بصيغة المعروف ومرة يقول ويُسقون ومرة يقول سبحانه : و (**سقاهم ربّهم**) .

أقول : على سبيل الإشارة والاختصار اعتماداً على فهمه سلمه الله وجودة قابليته اعلم أنّ أهل الجنّة لهم أحوال مختلفة لأنهم دائماً يترقّون وينتقلون من درجة إلى أعلى منها بلا نهاية إلّا أنّهم أوّلَ ما يدخلون يمكثون في أدنى مراتب الجنّة كما قيل ، ثم ينتقلون منه إلى أعلى منها وهكذا فأوّل مراتبهم ما يسمّى عند بعض

العارفين بالرفرف الأخضر وذلك عندما دخلوا الجنّة وأكلوا من كبد الثور ثم من كبد الحوت ثم شربوا من الكوثر وبعد ذلك لهم فيها ما يشاؤون ، إلّا أنّ مشيئتَهُمْ لما يشتهون تنبعثُ من نفوسهم على حسب استعدادِها وقابليّتها وهم إنّما دخلوا الجنّة بعدَ ما طُهِّروا لو كان عليهم ذنوب فتبقى أجسادهم وأجسامهم وطبائعهم ونفوسهم وأرواحهم وعقولهم وأفئدتهم صافية من الأكدار متهيّئةً لقبول الأنوار [والأنوار] التي بها يترقّون في المراتبِ العاليات تجري فيهم بعد ما تشرق في أكمامها على قابليّاتهم وإنّما تجري فيهم فيما يتنعّمون به من أنواع النعيم ممّا تشتهيه أنفسهم وتلذّ أعينهم من المآكِلِ والمشارب والنّكاح وما يتفكّهون فيه من مساءلة الأصحاب ومنادمة الأحباب ومناجاة رب الأرباب سبحانه وتعالى ، وذكره واستماع كلامه وغير ذلك من أنواع النعيم التي يترقّون بها في الدرجات الرفيعات التي لا غاية لها ولا نهاية ، وذلك بما استقر فيها من الأنوار وكمن فيها من الأسرار لأن أنواع النّعيم جميعهَا أكْمام تلك الأنوار والأسرار ومراكبها الحاملة لها إلى أن توصلها إلى قوابلها المشاكلة لها من أهل الجنّة ، فإذا أكلوا من كبد الثور وكبد الحوت وشربوا من الكوثر دخلوا الجنّة في مقام الرفرف الأخضر وجميع أجسامهم وأرواحهم يعني أجسادهم وأجسامهم وطبائعهم ونفوسهم وأرواحهم وقلوبهم وأفئدتهم جميعاً صافية خالية من الأنوار والأسرار إلّا القليل وكلّما تنعّموا بما يشتهون استنارت قوابلهم وقويت على تناول المقامات العالية التي لم ترها عين ولم تسمعها أُذن ، ولم تخطر على قلب بشرٍ فهم يشربون بأنفسهم وعلى أيدي الحور والولدان وذلك لقلّة نوريّتهم في أوّل

دخولهم الجنّة بالنسبة إلى ما يستقبل من أحوالهم وما يتجدد لهم من أنواع النعيم فعلى ما قيل يكون هذا حالهم في الرفرف الأخضر ، إلّا أنّ آخره أشرف وأكمل من أوّله لأنّهم دائماً يترقّون فقال تعالى في حالهم هذا الذي هو أوّل دخولهم : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ ، فإذا انتقلوا منه إلى الكثيب الأحمر وأرض الزعفران قويت قوابلهم واستنارت بواطنهم فيتجلّى لهم المُتفَضّل بالفضل فهُنَاك يُسْقَوْنَ فيها كأساً ، ففي مقام الرفرف الأخضر يشهدون أنفسهم أنهم يباشرون النعيم فعبّر عن ذلك بنسبته إليهم وفي مقام الكثيب الأحمر وأرض ازعفران وهو مقام التجلّي لهم بما لم يمهّدوا في دار الدّنيا صُورَهُ وَأسْبَابِهُ فتفضّل عليهم بما شاء تعالى من حيث لم يشعروا به أي بأسبابه في الدنيا ، بل ما حصل في ظنّهم ذلك قال تعالى : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ .

وفي هذا المقام حيث لم يستأهلوا لشرابهم لعدم إتيانهم بصورته وسببه في الدنيا لم يشعروا بسَاقيهم فعبّر عن ذلك بنسبته إلى المَجْهُول ولو علموا بإتيانهم بالسبب يعني أنّ إتيانهم بالسبب هو علمهم بالساقي يعني يكشف لهم عن السَّاقي ، مَا هو وهو عَملهُمْ وأَمرُه تعالى وَقَدرُهُ في عملِهِمْ وصُنْعُهُ ، لذلك لَعبّر عنه بالمَعْلُوم ثم ينتقِلون منه إلى الأعراف وهو مقامُ يَتعارفُوَن بينهم ، فما يصلُونَ إلى هذا المقام إلاّ وقد قويت قواهم من شهادَتِهِمْ وغَيبِهِمْ فتدرك أجسادهم وأجسامُهِمْ ما تدركه النّفوس والأرواح وَالعقول بدونها من المعاني والصور والأشباح وتُدرك عقولهم وأرواحهم ونفوسهم

ما تدركه الأجسام والأجساد بدونها من الألوان والأصوات والمقادير وتدرك في هيئةِ الاجتماع كهيئة الافتراق وبالعكسِ ، ولهم في أوّل انتقالِهِمْ غَيْبَةٌ عَنْ نُفوسِهِمْ حتَّى لا يكادوا يشعرون بها وبعد ذلك إلى أن يصلوا إلى مقام الرّضوان الذي لا يظعَنُ قاطِنُه ولا يَرْحَلُ ساكنه فيغيبُون عن جميع وجُوداتِهم ومَشَاعِرهم ولا يشهدون في كلّ شيء إلّا ربّهم فهو سبحانه يطعمهم ويسقيهم كما قال تعالى في أهل المقام : ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ وليس لهذا المقام غاية ولا نهاية ولا يخرجون منه أبداً وربّهم سبحانه في هذا المقام يسقيهم شراباً مِنْ رِضَاهُ طَهُوراً مِن وَحْدَانيّتِه يعني لا يجدون في ذلك الشراب ولا شيءٍ ممّا يترتّب عليه شيئاً من كل ما سواه ولا أنفسهم إلّا وجهه وآيتَهُ وهذا أعلى ما يمكن للممكن من النعيم من عطاء الجواد الكريم .

قال سلمه الله : وفي الفقرة الأولى يقول من كأسٍ وفي الثانية كأساً وفي الثالثة سقاهم ربهم بدون التحديد .

أقول : قد تقدّم أنّهم في أوّل دخولهم الجنّة وإن كانوا صافين من الكدورات إلاّ أنّهم ليس فيهم من الأنوار والأسرار ، إلّا ما كان لأصل عملهم أوْ لازِماً لأصل التّصفية ، وأمّا ثمرات الأعمال المتجدّدة على تجدّد الأنات والأحوال فلم تصل إليهم لأنّها أمور تدريجيّة وإن كانت أنواع نعيم الجنّة فعليّة الكون في أرض الكمون إلّا أنّها تَدْريجيّة الظهور والوُصول إلى أرْبابِها سواء قلنا : إنّ التأخير من مقتضى قوابل الكائنات أم بتأخيرِ أرْبابها لمقتضَى الاستقامةِ في التّقدير الصَّواب ، ووصول الثمرات المتجدّدة غير المقطوعة على حسب قوّة قابلها ، فكلّما قَبِلَتْ كثيراً قويت عَلى

أكثر من الأوّلِ لتزايد القوّة بتزايد الواصلِ إليها ففي أوّل الدخول يقول : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا ﴾ فأتى بصورة التَّبْعيض إشعاراً بضعفهم عن الكلّ دفعة بل بالتدريج ﴿وَلمّا﴾ قويَتْ قُوَاهُمْ على استعمال الكل دفعةً قال : ﴿ كَأْسًا ﴾ لأنّهم يشربونه فلا يبقى منه شيء ولا من شهوتهم شيء بعده ، فهو بقدر ما يشتهون لا يزيد ولا ينقص وهو قوله تعالى : ﴿ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ أي أنّها مقدّرة بقدر شهواتهم لا تزيد ولا تنقص وَلمّا كان استعدادُهُمْ قوياً لكثرة ما استمدّوا في أثناء المقامين المذكورَيْن لم يحتاجوا في شرابهِمْ إلى الآلة ، بَلْ في الحقيقة نَفْسُ شَرابهِمْ آلةُ شَرابهِمْ فهو آلةُ نَفْسِه فَلم يُثْبت له آلةً لعدم حاجة الشراب والشّارب والساقي إليها فلذا لم يذكرها .

قال سلمه الله تعالى : وأيضاً في الأولى الكافور وفي الثانية الزنجبيل وفي الثالثة لفظ شراباً طهوراً فإن كان المراد بالكافور لبرودتِه هو اليقين والزنجبيل لحرارته هو الخوف يُرَى في الظاهر أن العكس أنسب .

أقول : المراد بالكافور في الأولى ماء في الجنّة اسمه الكافور لبرده وحلاوته وطيب رائحته يعني أنهم يشربون من كأس مزاج ما فيه من ماءٍ أو خمر أو عسل أو لبنٍ من ماء تلك العين المسماة بالكافور ولهذا قال تعالى بعده : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ أوْ أنّ المراد أنّ الكأسَ المملوءة من ماء كان الماء بُرودته برودة الكافور ورائحته كذلك وإنّما قدّم الكافور لأجلِ ما فيه من البرودة لأنّهم لمّا كانوا في أرض المحشر في شدّة عظيمة وحرارة شديدة لو جاز الموت في يوم القيامة لمات أهْلُ الجمع من شدّة

الحرارة ، فلمّا كان الأمر كذلك ولحق أهل الجنّة ما لحق غيرهم من الحرارة والعطش غالباً وإن كان حالهم أحسن بالنسبة إلى غيرهم ناسب لهم في أوّل دخولهم الجنّة الماء البارد الذي يمحو تلك الحرارة بالكليّة ولأنّ البرودة بعد الحرارة ممّا ينعش الروح يقوّي الحرارة الغريزيّة وتمسك القوى عن الاختلال وَالتهافت ليكون ذلك سبباً للخلود أبد الآبدين .

وهذه العين المسماة بالكافور في المقام الأول من الجنّة وفي المقام الثاني عين الزنجبيل وتسمى تلك العين بالسّلسبيل وأهل الجنّة إذا وصلوا إلى ذلك المقام أعني مقام الكثيب الأحمر وأرض الزعفران ، كان مزاج كأس شرابهم زنجبيلاً وهي العين السلسبيل لأجل طيب رائحته وتقويته للقوى وتحليله وهضمه للطعام لأنهم في هذا المقام أكثر أكلاً وشراباً لقوة قواهم ونوريّتهم ونورية طعامهم وشرابهم ولطافته وكثرة كَيْمُوسه ، والزنجبيل معين على الهضم ليعظم نعيمهم بكل ما يشتهون ولحرارته فإن الحرارة من علة الكون ولا ينافي البقاء والثبات لأنّ أجسادهم وأجسامهم قد صُفّيت عن جميع الأكدار والأعراض والغرائب وقد أكلوا قبل هذا كبد الثور لقوّة الثباتِ لأن التراب البارد اليابس طبعه الإمساك والثبات أشدّ التراب في هاتين الصفتين أسفل التخوم من الأرض السابعة وهو نقطة مركز العالم ونسبته في هاتين الصفتين إلى كبد الثور نسبة الجزء الواحد إلى ثلاثمائة ألف وسبعة وأربعين ألفاً وتسعمائة جزء .

وبعد أن بلغوا بذلك في رتبة الاستمساك والثبات مبلغ البقاء والدوام أكلوا كبد الحوت ، الذي هو معين على بقاء الحياة ،

فببرودته الشديدة أعان ذلك الاستمساك والثبات ، وبرطوبته أعان على الحياة مع البرودة ، ثم شربوا من الكأس التي كان مزاجها كافوراً المعين على البقاء والثبات ، فإذا شربوا من طبع الزنجبيل لم يضرّ بحرارته في الاستمساك لشدة الاستمساك مع ما لحِقَهُ من مُقَوّياته التي أشرنا إليها وكان بقوة هضمه معيناً للبقاء وناعشاً للقوّة الغريزيّة بحرارته وبرائحتِه وكانت رائحته مع ما فيها من الفوائد من التحليل والتّفتيح والهضم وإصلاح الهواء وغير ذلك مستحسنةً في الأطعمة والأشربة ومشهّيةً لهما ، وتسمّى تلك العين التي هي الزنجبيل سَلْسَبيلاً والسلسبيل من أسماء الخمر ، وسُميت تلك العين باسم الخمر ، لأن فيها منافع الخمر من القوّة وتحسين اللّون والتشجيع والتفريح وإذهاب الوحشة وإذهاب الغمّ بالتسلية والهمّ بتقريب حصول المطلوب في النفس وغير ذلك ولو قدّم الزنجبيل على الكافور لما حصلت من كلّ منهما فوائده لأنّ الزنجبيل بطبعه مناقض لكبد الثور والحوت ، وإذا توَسّط الكافور المناسب للكبَدينِ كان وقايةً لهما عن المناقض وكاسراً لسَوْرته ، فلهذا تقدّم بحكم قضية الترتيب الطبيعي فافهم .

وهذان المذكوران المسميان باسمَي عَقّارَيْنِ من العقاقير التي منفعتهما في الطبّ البدني إنّما سمّيا بذلك لمعالجة الأبدان للخلود ولا مدخل لليقين في الكافور وإن أُوّلَ به ، وأمّا الزنجبيل فلا مناسبة بينه وبين الخوف وإنّما يناسبه الكافور لأن برودة الخوف اشدّ من برودة اليقين .

قال سلمه الله : وهل المراد بالشراب الطهور هو الطهور من الصور التي كانت في العلم والمعنى الذي في العقل أم شيء آخر ؟

أقول : المراد بالطهور هو العصمة من كل نقص ووصمة فأمّا في المرتبة الأولى ، فإن أهل الجنّة تنفجر عليهم وَلهم ينابيع العلوم فهم علماء طاهرون من الجهل والموجب لِطهارتهم من الجهل هو الشراب الطهور الذي في المرتبة الثالثة لأنّهم وإن كانوا في الأولى ، يعلمون ولكنهم تجري عليهم بعض الغفلات وكذا في الثانية وإن كانت أقلّ ولذلك قال بعضهم ولا اعلم هل هو من حديث خاص أم مستنبط من الأخبار ، أمّا الخاص فلم أقف عليه وأما الاستنباط فحق قال : الناس في هذه الدنيا نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، والأموات نيام فإذا بُعِثوا انتبهوا ، وأهل الحشر نيام فإذا دخلوا الجنة انتبهوا يعني إذا وصلوا إلى مقام الرفرف الأخضر انتبهوا وهم نيام ، فإذا وصلوا الكثيبَ الأحمر وأرض الزعفران انتبَهُوا وأهل الكثيب الأحمر وأرض الزعفران نيام فإذا وصلوا الأعراف انتبهوا وأهل الأعراف تعرض لهم السِّنَة لا النّوم فإذا وصلوا الرضوان انتبهوا ولا يزالون في يقظة أبداً وإن تفاوتت في الشدّة والضعف» .

وأمّا في الثانية ، فإن أهل الجنّة تشرق عليهم الأنوار اليقينيّة وتنكشف لهم الخبايا العقليّة مع ما لهم من حكم الأولى من العلوم ، فهم في هذه الرتبة طاهرون من كدورات الشّكّ والرّيب وطهارتهم هنا من كدورات الاحتمالات لأجل الشراب الطهور الذي في الثالثة وما يجري عليهم هنا من الاحتمالات ، فإنما هو بالنسبة إلى المرتبة الثالثة ، وكذلك ما كان في الأولى لأن المؤمن في هاتين المرتبتين لا جهل معه ولا ريبَ فيه ولكن بالنسبة إلى المرتبة الثالثة ، يتبيّن له نقص ما تقدّم عليها إذا وصل إليها وقد قال علي عليه السلام ، في حق أهل الجنّة في وصف طعامهم قال عليه

السلام : (**أسفله طعام وأعلاهُ علمٌ**) ، فلا يكون معه في مطلق منازل الجنّة جهلٌ ولا ريبٌ إلّا على نحو ما قال صلى الله عليه وآله : (**اللهمّ زدني فيك تحيّراً**) ، فإنّه صلى الله عليه وآله قد بلغ في معرفة الله سبحانه ما لا يحوم حوله أحدٌ من الخلق ووجد من التحيّر في الله سبحانه ما لا يحتمله سواه ، ثم طلب الزيادة من التحير في الله تعالى بسبب شدّة التّجلّي في مراتب ما يظهر به من العظمة والعزّة ، فإذا زاده الله تعالى تحيّراً في عظمته سبحانه لم يزده ما وصل إليه وإنما يزيده ما لم يصل إليه ، فإذا زاده تحيّراً لم يجده قبل هذه الزيادة ، بل يكون بالنسبة إلى الثاني انبعاثاً وانبساطاً فكذلك حال المؤمن في المرتبة الأولى ، وفي المرتبة الثانية إنما نسب إليه في الأولى النوم والجهل والغفلة بالنسبة إلى إلى ما بعدَها وإنّ ما ينسب [ننسب] إليه الشك والريب والنوم والغفلة على جهة الاحتمال إنّما هو بالنسبة إلى الثالثة ، فإن قلتَ : أنت نسبتَ الطهارة في المرتبتين إلى الشراب الطهور الذي لا يكون إلّا في الثالثة فكيف يعقل هذا .

قلتُ : إنّ هذه المراتب الثلاث للمؤمن في الجنة كالمراتب الثلاث له في الدنيا والبرزخ وفي الآخرة ، فكما أنّه لا يميل إلى الطاعة في الدّنيا ولا يحسن جواب منكر ونكير ولا يتأهل للرَّوْحِ والريحان في قبره إلّا بما فيه من الطينة الطيّبة التي نزل بها من الجنّة إلى الدنيا ، وهي التي خلقها الله سبحانه من إجابته في عالم الذرّ وإنّما تجري في الدنيا المعاصي وما يعرض في القبر من المكاره مع أنّها معه لأنّها قد تلوّثت ببعض اللطخ الذي أصابها ، فباللطخ فعل ما فعل وجرى عليه ما جرى إلى أن يردّ اللطخ الذي أصابه إلى

صاحبه ويؤمر إلى الجنّة فكذلك الشراب الطهور الّذي سقاهم ربهم إيّاه قد سقاهم إيّاه عبيطاً في نوره الذي خلقهم منه وبه يتطهرون في كلّ رتبةٍ من مراتب وجودهم في عقولهم وأرواحهم وفي نفوسهم وطبائِعهم وفي الدنيا والبرزخ وفي الآخرة في هذين المقامَيْن ، ولمّا وصلوا إلى المقام الثّالث وهو مقام الأعراف عرفوا حين سقاهم الشراب الطهور أنّه هو الذي سقاهم إيّاه عند خلقه إيّاهم .

والمراد بالشّراب الطهور هو الماء الطاهر المطهّر لأن الطهور من صيغ المبالغة بمعنى المطهِّر بكسر الهاء ، فيكون طاهراً في نفسه وهو في الحقيقة نور الله المذكور في كلام أمير المؤمنين عليه السلام : (**اتّقوا فراسة المؤمن فإنه ينظرُ بنور الله**) ، وهو أوّلُ نازلٍ من سحاب المشيّة ، وهو النور الذي خُلق المؤمن منه ، وهو بلسان العلماء والحكماء الوجود فإنه الماء الذي خلق الله سبحانه مِنه ما شاء أن يخلق فافهم .

قال سلمه الله : ولمّا كانت هذه السورة مخصوصةً بأهل العصمة صلوات الله عليهم ولم يكن الغير داخلاً فيهم ، ولم يذكر اسم الحوريّات ولا اسم المؤمنات ، هل يجوز لنا في التأويل أن نقول إنّ المراد بلفظ الْفضَّة في قوله تعالى : ﴿ بِئَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ ﴾ و﴿ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ ﴾ و﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ أي خادمتهم رضي الله عنها أم لا .

أقول : اعلم أنّ التّأويل في القرآن لا يجوز إلّا ما أُخِذ عن أهله المخاطبين به محمد وآله الطاهرين صلّى الله عليه وعليهم أجمعين ، لأنّ القرآن على خلاف ما تعرفه الناس ، فإن له ظاهراً وظاهرٍ ، وهكذا وباطناً وباطن باطنٍ كذلك وليس لأحدٍ أن يقول في القرآن إلّا بدليل عنهم عليهم السلام وهو قسمان :

أحدهما : ما وصل إليه من النّص من كتاب أو سنّة أو ما علم من اللّغة ويقتصر فيما وصل إليه على ما علم تناوله من معاني الكتاب غير حاصرٍ لمعاني القرآن ، فيما علم فإنه إذا دلّ دليل عنده على معنى من معاني القرآن ، وقال : هذا المعنى يدلّ عليه كذا وهو عنده أنه دليل ذلك غير متكلّفٍ له لغرضٍ له في ذلك ولا غير عالم بأنه دليل ذلك المعنى ، فقد جاز له ذلك بشرط ألاّ يحصره فيما على فيقول ليس للآية معنى غير هذا ، وأمّا إذا حصر فهو ممّن يفسّر القرآن برأيه وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**قال الله جلّ جلاله : ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي وما عرفني من شبّهني بخلقي وما على ديني مَن استعمل القياس في ديني**) ، وروي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال : (**مَن فسّر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد اخطأ**) ، وعنه صلى الله عليه وآله (**من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**) ، وأمثال هذه كثير .

وثانيهما : أن يكون الرجل المؤول للقرآن أن يعرف نوع الاعتقاد في توحيد الله تعالى وصفاته وما يصح ويمتنع عليه ، ونوع ما يصحّ به الاعتقاد في أفعاله وفي أوامره ونواهيه وفي مراداته من عباده ونوع الحكمة والصنع والتكاليف ، ونوع حكمة الإيجاد والقدر والبداء والمنزلة بين المنزلتين وما أشبه ذلك ، ويعرف النبوّة لمحمد والإمامة لأهل بيته صلى الله عليه وآله ونبوّة الأنبياء ووصاية الأوصياء عليهم السلام وأحوال التكاليف والموت والبرزخ وأحوال الآخرة ولو بالاطّلاع على نوع علم المسألة ، فإذا وصل الشخص إلى هذه الرتبة بالعلم العياني القطعي الضروري جاز له ذلك أيضاً

لأنه إذا لم يعلم نوع علم هذه المسألة التي أوّل الكتاب عليها بالعلم القطعي العياني لا البرهاني ، جاز أن يقول بما لا يريده الله سبحانه ، وإن عَلِم علم نوع هذه المسألة بالعمل البرهاني القطعيّ ، لأنه يجوز أن تكون هذه المسألة خارجة بمخصّص من مانع أو مقتضٍ أقوى بخلاف العلم العياني ، فإنّ صاحبه يشاهد كلّ فردٍ من أفرادَ هذا النوع في محله على ما هو عليه أوْ إنّه لم يره فإن رآه رآه كما هو ، مثال ذلك فيما نحن فيه في كون المراد من فضّة في الآية الشريفة هل هو المعدن أم فضّة أمة فاطمة عليها السلام .

فعلى الوجه الأول : وهو أن المؤول إذا كان عنده دليل عنهم عليهم السلام أو من الكتاب أو من اللغة وسلمنا وجوده هنا ، فإن قلتَ إن المراد به المعدن فهو حق لوجود الأدلّة بذلك ، وإن قلتَ إن المراد به أمة فاطمة عليها السلام ، فإن كان عندك دليل خاص في ذلك جاز في أصل المسألة ولكن قلنا بشرط عدم الحصر ، فإذا قلت إن المراد به أمة فاطمة عليها السلام حصرتَ مراد الله فيها وهو خطأ فإن الله سبحانه أراد المعدن الخاص ولو قلتَ على فرض دليل خاص على ما أوّلْتَ هذا من مراد الله تعالى صحّ التأويل لأن ظاهر القرآن حجّة لمن لا يحصر الفهم فيه ، فقد روى العياشي بإسناده عن جابر قال : سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن ، فأجابني ، ثم سألته ثانيةً ، فأجابني بجواب آخر ، فقلتُ : جعلت فداك كنتَ أجبتَ في هذه المسألة بجوابٍ غير هذا قبل اليوم فقال لي : (**يا جابر إن للقرآن بطناً وللبطن بطنٌ وظهراً وللظهر ظهر يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ، إن الآية ليكون أوّلها في شَيءٍ وآخرها في شيء وهو كلام**

متّصل ينصرف على وجوه) ، وغير ذلك مما هو صريح في عدم جواز حصر القرآن في شيء واحد حتّى أن المفهوم من أخبارهم عليهم السلام أن الإمام عليه السلام قد يحصر الآية في معنى واحدٍ وليس بمحصور فيه ، ولكن مَن حصر هو الإمام عليه السلام وجب عليه القول بالحصر ، لأنه إنما حصر له لأن المقام اقتضى من السائل أو من السامع أو ممن علم الإمام عليه السلام وصول ذلك إليه بمعنى أنّ مَن حصر الأمام عليه السلام لأجله في شيء مخصوص يزعم بأنه غير مرادٍ ، فبيّن عليه السلام أنّ المراد هذا لا غيره يعني بالنسبة إليك من جهة الحكم أو الاعتقاد أو غير ذلك مثال هذا ما روى في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (**روي فيها أنهم يسألون عن خمس ، عن شبع البطون وبارد الشراب ولذّة النوم وظِلال المساكن واعتدال الخَلق**) .

وفي المجمع عنهما عليهما السلام (**هو الأمن والصحة**)وفي العيون عن أمير المؤمنين عليه السلام ، (**الرطب والماء البارد**) وفي أمالي الطبرسي عنه صلى الله عليه وآله كذلك ، وفي الفقيه عنه صلى الله عليه وآله (**كل نعيم مسؤول عنه صاحبه إلّا ما كان في غزو أو حج**) وفي (كذا) عن الصادق عليه السلام : (**من ذكر اسم الله على الطعام لم يسأل عن نعيم ذلك الطعام**) وروي في العيون عن الرضا عليه السلام ، (**قال ليس في الدنيا نعيم حقيقي**) فقال له بعض الفقهاء ممن حضره فيقول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أما هذا النعيم في الدنيا وهو الماء البارد فقال له الرضا عليه السلام وعَلّى صوته : (**كذا فسّرتموه أنتم وجعلتموه على ضروبٍ فقالت طائفةٌ هو الماء البارد ، وقال غيرهم هو الطعام**

الطيّب وقال آخرون هو طيّب النوم ، ولقد حدّثني أبي عن أبي عبد الله عليه السلام أن أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله عزّ وجل : ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ فغضب وقال : إنّ الله عزّ وجلّ لا يسأل عباده عما تفضّل عليهم به ولا يمنّ بذلك عليهم والامتنان بالأنعام مُستقبَحٌ من المخلوقين فكيف يضاف إلى الخالق عزّ وجلّ ما لا يرضي المخلوقون ، ولكن النعيم حبّنا أهل البيت وموالاتنا ، يسأل الله عنه بعد التوحيد والنبوّة لأن العبدَ إذا وفى بذلك أدّاه إلى نعيم الجنّة الذي لا يزول) ، وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال : **(إن الله عزّ وجلّ أكرم وأجلّ أن يطعمكم طعاماً فسوّغكموه ثم يسألكم عنه ولكن يسألكم عما أنعم عليكم بمحمد وآل محمد صلّى الله عليه وآله)** انتهى .

فانظر كيف حصر الصادق عليه السلام النعيم في الآية فيهم وفي موالاتهم مع ورود غير ذلك عنهم وعنه عليهم السلام كما سمعتَ بعضه وذلك لما قلنا فإن هؤلاء ينكرون تناول النعيم لهم وفي الواقع هم المرادون بالآية في الحقيقة وغيرهم مما سمعتَ مراد بها أيضاً بالتبعيّة والفرعيّة ، فحصر لأجل تأصّلهم في النعيم وفرعيّة ما سواهم في مقابلة دعوى الأعداء عدم كونهم عليهم السلام مرادين من الآية وكون ما سواهم مما سمعتَ متأصّلاً في الآية ، ولانّ ما يدّعونه من السؤال عن النعيم ليس بصحيح ، كما قاله عليه السلام : وأمّا الصحيح المسؤول عنه هو شكر هذه النعم ومن أين اكتُسبت ؟ ولم فُعِلَتْ ؟ وفي أيّ شيء صُرِفتْ ؟ لا أنه تعالى يسألهم عن نفس هذه الأشياء وكونها طيّبة كما توهمه الأعداء .

فإذا حصر الإمام عليه السلام الآية في معنى واحد فهو من هذا

النوع ، فشرط مَن يؤول إذا وجد له دليلاً على خصوص معنى ما يؤوّله عليه ألاّ يحصر الآية في ذلك المعنى لأنه ما من آية إلّا ولها ظاهر وباطن ، وقد روى الحسن بن سليمان الحلّي رحمه الله في كتابه المختصر لبصائر سعد الأشعري عن الصادق عليه السلام أنه قال : (**إنّ قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم يك ينفعهم إيمانهم ذلك شيئاً ولا إيمان ظاهر إلّا بباطن ولا باطن إلّا بظاهرٍ**) انتهى ، فكيف يجوز الحصر .

وعلى الوجه الثاني : وهو أنّ المؤول يكون عالماً بعلم نوع المسألة علم عيان لا علم برهان ، فإنا نقول مثلاً هذا العالم عرف بأن جميع العوالم كشيء واحد يشبه بعضها بعضاً وإنّ كل ما في هذا العالم فإنه نازل من العالم العلوي من قليل وكثير ودقيق وجليل وذات وصفة وحال وطبع ، وإن كل ما هناك فهنا دليله كما قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ وكذا قوله عليه السلام : (**الدنيا مزرعة الآخرة**) ، وقول الرضا عليه السلام : (**قد علم أولو الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يعلم إلّا بما ها هنا**) .

وغير ذلك مع أنه تعالى أخبر في كتابه الحق : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ ودلّ دليل الحكمة المستند إلى القرآن الصحيح على أنّ فضّة أمة فاطمة عليها السلام وأنّها تخدمهم وتسقيهم وأمثال ذلك شيء كان في خزائن الله نزل منها ظاهره وصورته إلى هذه الدنيا ، فإذا عادوا إلى الآخرة ومرّوا على تلك الخزائن التي نزل منها هذا الشيء بصورته في حال صعودهم في عَوْدِهم ورجوعهم إلى معبودهم وجدوه بحقيقته ، وجرى لهم

بكنه طريقته حتى يجدَ قوله تعالى الخاص ينطق له باللسان العام ، ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ وكذلك قوله : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ إنه كما تعودون بدأكم ويقول الصادق عليه السلام : (**ما كل ما يعلم يقال ولا كلّ ما يقال حان وقته ولا كلّ ما حان وقته حضر أهله**) انتهى .

فإذا وجد العالم بنوع علم المسألة بالعلم العياني لا البرهاني علم هذا ومثله وكتمه ، وإذا وَجد أهله أدّى الأمانة التي أمره الله تعالى بأدائها إلى أهلها فافهم ، ولا يجوز تأويل القرآن إلّا بالدليل القطعي ومن قال بغير ذلك فقد ضلّ سواء السبيل ، فإنّ القرآن أمره عظيم وخطره جسيم ، روى محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني في تفسيره بإسناده عن إسماعيل بن جابر قال : سمعتُ أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يقول : (**إنّ الله تبارك وتعالى بعثَ محمّداً صلى الله عليه وآله فختم به الأنبياء عليهم السلام ، فلا نبيّ بعده وأنزلَ عليه كتاباً فختم به الكتب فلا كتاب بعده أحلّ فيه حَلالاً وحرّم حراماً ، فحلالُه حلال إلى يوم القيامة وحرامُه حرام إلى يوم القيامة ، فيه شرعُكم وخبرُ مَن قبلكم وبعدكم وجعله النبيُّ صلى الله عليه وآله علَماً باقياً في أوصيائه فتركهم الناس وهم الشُّهداء على كل زمانٍ ، وعدلوا عنهم ثم قتلوهم واتّبعوا غيرهم وأخلصوا لهم الطاعة حتى عاندوا من أظهر ولاية ولاة الأمر وطلب علومهم . قال الله تعالى : ﴿ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ وذلك أنهم ضربوا بعضَ القرآن ببعض واحتجّوا بالمنسوخ وهم يظنّون أنه الناسخ ، واحتجّوا بالمتشابه وهم يرون أنه المحكم ، واحتجّوا بالخاصّ وهم يقدّرون**

أنه العامّ ، واحتجّوا بأوّل الآية وتركوا السّبب في تأويلها ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام وإلى ما يختمه ولم يعرفوا مَوارِدَهُ ومصادرَهُ إذ لم يأخذوهُ عن أهله فضلّوا وأضلّوا ، واعلموا رحمكم الله أنّه مَن لم يعرف من كتاب الله عزّ وجلّ الناسخ من المنسوخ والخاص من العام والمحكم من المتشابه والرخص من العزائم والمكي والمَدني وأسباب التنزيل والمبهم من القرآنِ في ألفاظه المنقطعة والمؤلّفة ، وما فيه من علم القضاء والقدر والتقدّم والتّأخر والمبيّن والعميق والظاهر والباطن والابتداء من الانتهاء والسؤال والجواب والقطع والوصل والمستثنى منه والجار فيه والصّفة لما قبل مما يدلّ على ما بعد والمؤكد منه والمفصّل وعزائمه ورخصه ومواضع فرائضه وأحكامه ومعنى حلاله وحرامه الذي هلك فيه الملحدون والموصول من الألفاظ والمحمول على ما قبله وعلى ما بعده ، فليس بعالمٍ في القرآن ولا هو من أهْله ومتى ادَّعى معرفة هذه الأقسام مدّعٍ بغير دليل فهو كاذب مرتاب مفترٍ على الله الكذبَ ورسوله ومأواه جهنم وبئس المصير) انتهى .

فتأمّل رحمك الله ما في هذا الحديث لتعرف أنّ القول فيه عظيم لأن هذه الأمور التي ذكرها أكثرها ما تُعرف إلا بمعرفة مدلولها أو بتعريف من المُريد من المخاطبين به ما أراد .

قال سلمه الله : وهل يجوز لنا أن نقول : إن النبيّ صلى الله عليه وآله في مرتبة قوسي النزول والصعود تكوّن من العقل الأول أم لا ؟ وهل يجوز لنا أن نقول إنّ من ذات العقل الأول تكوّنَ هو وأهل بيته صلوات الله عليهم ومن صفته وشعاعه الأنبياء والمرسلون عليهم السلام ومن شعاع المؤمنون ومن ذلك الشعاع الملائكة ؟ .

أقول : اعلم أن محمّداً صلى الله عليه وآله خلقه الله قبل كل شيء من سائر المخلوقات لأن الحقيقة المحمديّة هي محلّ المشيّة ومتعلّقها الذي لا يتحقق المِشيَّة إلّا بها ، فهي كالانكسار الّذي لا يتحقّق ظهور الكسر إلّا به وذلك هو الوجود وهو الماء الّذي به حياة كلّ شيء ، وهو الماء المنزَل من السحاب الثقال المساق إلى البلدِ الميتِ يعني أرض القابليات وأرض الجرز ، فلما ساق الله سبحانه تلك السحاب الثقال الّتي هي مشيّته يعني وجّهَها نحو الأرض الميّتة أي القابليات وهي جنانُ الصاقورة التي غرسوها عليهم السلام بأيدي الجود كان أوّل من أكل من ثمرة تلك الشجرة أي شجرة الخلد العقل الكلّي المسمّى عند قوم بالعقل الأول وهم أصحاب القول بالعقول العشرة ، وعند قومٍ بأوّل الملائكة العالين الذين لم يجسدوا لآدمَ لأنّهم أفضل منه ، وعند قوم بالركن الأعلى الأيمن عن يمين العرش .

وفي رواية هو العقل وهو ملك له رؤوس بعدد الخلائق مَن ولد ومن لم يولد إلى يوم القيامة ، وفي أخرى هو الروح أي الروح من أمر الله وهو الذي يكون مع الأنبياء والرسل يسدّدهم وهو عقل محمد صلى الله عليه وآله ، ولم ينزل قبل محمد صلى الله عليه وآله وإنّما ينزل على الأنبياء المتقدمين عليهم السلام بوجهٍ من وجوهِه ، فلمّا ظهر صلى الله عليه وآله في هذه النشأة نزل له ولم يصعد منذ نزل وهو الآن مع القائم عليه السلام .

وهو أي هذا العقل الأعظم والملك المكرم الذي قال الله تعالى له ، (**أدبر فأدبر**) يعني اصنع ما شاء تعالى من خلقه ثم قال له : (**أقبل فأقبل فقال لهُ وعزّتي وجلالي ما خلقتُ خلقاً هو أحبَّ إليّ**

منك ، بك أثيبُ وبكَ أُعَاقب ولا أكملتُكَ إلّا فيمن أُحِبُّ) ، هو من الحقيقة المحمديّة كالوجه من الذّات وكالجنب من الكلّ ، فمحمّد وأهل بيته صلى الله عليه وآله هم تلك الحقيقة المحمديّة وهذ العقل الأعظم هو عقلهم وهو وجه تلك الحقيقة وهو منها كالوزير من السلطان إنّما يفعل في الرعية بأمر السلطان في خدمته وهو الذي أشار إليه أبو محمد العسكري عليه السلام في تاريخه يقول : (**والكليم أُلْبِسَ حلّةَ الاصطفاء لما عَهِدْنا منه الوفاء ورُوح القدس في جنان الصاقورة ذاق مِنْ حَدائِقنَا البَاكورة**) ، يعني أنه أوّل من ذاق من حَدائِقَنا أوّل ثمرة الوجود فلا يقال : إن محمّداً عليه السلام تكَوّنَ من العقل الأول ، بل يقال : الحق الواقع إنّ العقل الأوّل تكوّن من حقيقة محمد وآل محمد يعني من نورهم صلى الله عليه وآله .

وأما قولكم : أحسن الله مآلكم من ذات العقل تكوّنَ هو وأهل بيته صلوات الله عليهم ، فبيانه أنّ الأصل في كلّ شيء نور محمد صلى الله عليه وآله ونور علي وآله عليهم السلام من نور محمد صلى الله عليه وآله كالضوء من الضوءِ ، يعني مثل سراج عندك وأشعلتَ منه سراجاً آخر ، فالسراج الآخر بعد أن أشعلتَهُ منه كان مثله فافهم المَثَل الحقَّ ، ثم بعد أن مضى ما شاء من السرمد أو من البرزخ الذي بين السرمد والدّهر خلق سبحانه من نورهم حقيقة هذا العقل والذي فهمت من بعض الأخبار أن نورهم كان قبل حقيقة هذا العقل دهِراً أو ثمانين ألف سنة ، والذي يجول في خاطري أنّ السنة في هذا المقام ثمانون ألف شهر كلّ شهر ثمانون ألف جمعةً أي أسبوع ، كلّ جمعةٍ ثمانون ألف يوم كلّ يوم ثمانون ألف ساعة

كل ساعة كألف سنةٍ مما تعدّون وهذا هو الذي فهمته من بعض الأخبار .

ثم بعد أن مضى ما شاء وهو القدر المذكور خلق الله هذا العقل المشار إليه ، وبعد أن مضى منذُ خُلقت أنوارهم عليهم السلام ألفُ دهر خلق الله سبحانه أنوار الأنبياء على محمد وآله و عليهم السلام ، وبعد أنْ مضى منذُ خُلِقت أنوارهم عليهم السلام ألفُ ألفِ دهرٍ خلق الله أنوار شيعتهم المؤمنين وذلك من فاضل أنوار الأنبياء وأنوار الأنبياء عليهم السلام من فاضل أنوارهم عليهم السلام .

وذكر الأحاديث الدالة على ما ذكرنا لا يمكن حصرها ولكن أذكر حديثاً واحداً يدلّ على سبقهم عليهم السلام على كل شيء وهو من كتاب رياض الجنان لفضل الله بن محمود الفارسي بإسناده إلى جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قلتُ لرسول الله صلى الله عليه وآله : أوّل شيء خلقَ الله تعالى ما هو ؟ فقال : (**نورُ نبِيّك يا جابر خلقه الله ، ثم خلق منه كل خيرٍ ، ثم أقامه بين يديه في مقام القربِ ما شاء الله ، ثم جعله أقساماً فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم ، وأقام القسم الرابع في مقام الحبّ ما شاء الله ، ثم جعلَهُ أقساماً فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنّةَ من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله ، ثم جعله أجزاء فخلق الملائكة من جزء والشمس من جزء والقمر والكواكب من جزء وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله ، ثم جعله أجزاء فخلق العقل من جزء والعلم والحلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء وأقام**

القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله ، ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرَتْ منه مئة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله من كلّ قطرة روح نبيّ ورسول ، ثم تنفّسَت أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين) ، انتهى الحديث الشريف .

واعلم أن محمداً وأهل بيته صلّى الله عليه وعليهم خلقهم الله قبل ما ذكر من العرش والكرسي وغيرهما بما شاء الله ، وفي العرش هذا حقيقة العقل وهو الرتبة الثانية لهم ، ثم تنزّل نورهم فخلق العقل في الرتبة الثالثة وخلق الله سبحانه محمداً ، فمكثَ نوره يطوف حول القدرة ثمانين ألف سنة ، ثم نزل وطاف حول العظمة ، ثم خلق الله نور عليّ عليه السلام من نوره فكان نور عليّ يطوف حول القدرة ونور محمّد صلى الله عليه وآله يطوف حول العظمة ، فنور محمد صلى الله عليه وآله قبل نور عليّ بثمانين ألف سنة هكذا في أحاديثهم عليهم السلام ، فبقي يطوف نوره حول القدرة والظاهر إنها الولاية ثمانين ألف سنة ، ثم نزل إلى العظمة والظاهر إنّها النبوّة ، ثم خلق نور علي عليه السلام بعد ذلك فطاف نور علي بالقدرة ، أي الولاية بعد محمد صلى الله عليه وآله ونور محمد صلى الله عليه وآله يطوف بالعظمة أي النبوّة بعد ما كان يطوف بالولاية فافهم .

والحاصل خلق الله نور محمد صلى الله عليه وآله وخلق من عين نوره أنوار أهل بيته الثلاثة عشر معصوماً عليه و عليهم السلام وخلق من جانب أنوارهم الأيمن بعد تنزل نورهم العقل المشار إليه ، وخلق من فاضل أنوارهم أي شعاعها أنوار الأنبياء وَخلق من فاضل أنوار الأنبياء عليهم السلام أنوار المؤمنين .

وأمّا الملائكة فعلى أقسام : أمّا الأربعة العالون فخلقوا من جانبهم فالعقل المذكور من الجانب الأيمن الأعلى لأنه الغصن الأعظم من تلك الشجرة المباركة الكلية والروح من الجانب الأيمن الأسفل والروح الذي على ملائكة الحُجبِ من الجانب الأيسر الأعلى وهو الحجاب ، الزبرْجد والأسفلِ وهُوَ الحجاب الياقوت .

وأمّا الملائكة الكروبيّون فخلقوا من شعاعهم وهؤلاء الكروبيّون من شيعتهم من الخلق الأول وراء العرش ، وقد أمر الله سبحانه واحداً منهم حين سأل موسى عليه السلام ربّه أرني أنظر إليك ، فتجلّى ذلك الواحد للجبل فجعله دكًّا ، وأمّا مَن دونهم فمن شعاع الشعاع ، ومن شعاع شعاع الشعاع وهكذا .

قال سلمه الله : ومن ذلك الجهل الأول الثلاثة لَعنهم الله ومن صفته المنافقون ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ ﴾ ، ومن شعاع الشعاع إبليس ومن شعاع إبليس الكافرون فكيف تقابل المؤمنين مع إبليس وتقابل الملائكة مع الكافرين .

أقول : الذي ينبغي أوَّلاً تحقيق حَقائق المذكورين ، ثم التّقابل فأقول : إنَّ الجَهْلَ الأوّل مقابل لِلعَقْلِ الكلّي كما دلّت عليه أحاديث العقل والجهل من الكافي وهو ضدّه ، ولم يكن ضدّ منافٍ لضدّه قبل الجهل الأوّل ، إذ لم يكن قبل العقل الأوّل خلق من الوجودات المقيّدة لأن العقل أوّل ما خلق الله يعني من الوجود المقيّد ، فليس قبله خلق إلّا الوجود المطلق .

وأمّا الماء الأول المسمّى بنور الأنوار وهو نور محمّد صلى الله عليه وآله وهو الوُجود يعني المنزل على الأرض الميت وَالأرْض الميت الّتي هي الأرض الجُرز فهِي خارجة عن الوجود المقيّد بقوله

تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ فهي ملحقة بالوجود المطلق لتوقّف ظهوره عليها كالانكسار في توقّف ظهور الكسر عليه ، أوْ إنّها بَرْزخ بين الوجودين إلّا أن الآية المذكورة تدل على كونِها من الوجود الراجح وهو الوجود المطلق لأنه سبحانه يقول : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ ولو قلنا : إنها من الوجود المقيّد لم يكن بَعيداً على إرادة كونها من المخلوق لا من الخلقِ إلّا أنّ جعلَها من الراجح ارجح لما هو معلوم أنّ أوّلَ ما خلَقَ الله العقل يعني من المخلوقات ، لأن الفعل خلقٌ خلقه الله سبحانه بنفسه وأوّل مخلوق بالفعل هو العقل وهذا مخصوص بالوجود المقيد فيكون الضدّ فيما قبل العقل نفسه وهي أخته وانفعاله الموافق للفعل ، فلا تكون هنالك الماهيّة ظلمةً وكيف تكون ظلمةً بعد انتسابها إلى وجودِها وقد وصفها الله تعالى قبلِ هذا الانتساب بقوله تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ ، فلم تكن ماهيةٌ هي ظلمة قبل العقل بل هي نور بوجودها .

وأمّا في رتبة العقل الذي هو أوّل الدّهر فالماهيّة هي الجهل ، وقد قلنا : إن العقل متأخر عن الحقيقة المحمديّة والجهل خَلقهُ الله بعد العقل فهو ضدّ له فلا يكون ضدّاً لما قبله فلا يكون أحد من المنافقين الكبار ولا من المشركين والكفّار ضدًّا مقابلاً لمحمد وآله الأطهار صلى الله عليه وآله لأنّ الضد والمقابلة إنّما يكونان في مقامٍ واحدٍ ، وأمّا الجهل الأول فإبليس لعنه الله والملائكة عليهم السلام تقابلهم الشياطين لعنهم الله ، وأمّا الأنبياء عليهم السلام فيقابلهم المنافقون الكبار الّذين عناهم الله في كتابه فقال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ، وهي الطبقة السفلى الثالثة

من نار جهنم المسمّاة بالفلق وفي أسفلها الجب والتوابيت والحيّة لكلّ واحد منهم تابوت ولكلّ واحدٍ مع أخيه تابوت وهم في جوف الحيّة وإبليس فوق الجميع وتحتهم والمخصوصون ثمرةُ شجرة الجهل ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ أي هو رؤوس الشياطين شياطين الإنس وشياطين الجن (**والمغضوب**) عليهم من شيعتهم يقابلون مَن خلقهم الله سبحانه لرحمته من لهم الشفاعة من محبي محمد صلى الله عليه وآله .

وأهل الأعراف من الفريقين مُتَقابلان فالذين من أصحاب اليمين ، ﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ والذين من أصحاب الشمال ﴿ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ فالجهل الذي هو إبليس أي ظلمته فيه القوي غير المتناهي قوّته في الظلم والفسق والفساد وهذا الأصل الخبيث حقائق أهل التوابيت كلّ بذنبه ومن فاضل طينتهم المغضوب عليهم ، ومن دون ذلك الضالّون والعقل الذي هو الجانب الأيمن من الحقيقة المحمديّة فاضله في الحقيقة نور الأنبياء على محمد وآله وعليهم السلام ، وفَواضل أنوار الأنبياء حقائق خواصّ الشيعة ومن دونهم المحبّون وهذا ما فهمتُ من المقابلة من آثارهم عليهم السلام .

قال أيده الله تعالى : وهل يجوز لنَا أن نقول : إن سجّين هو شعاع الجهل الأول ؟

أقول : كما يجوز لك أن تقول : إنّ علّيين هو تَنَزُّلُ العقل الأول الكلي وهو محل صور الطاعات والأعمال الصالحات ، ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ ، كذلك يجوز أن تقول : إنّ سجّين هو ترقّي الجهل

الأول في مراتب الإدبار وهو محلّ صور المعاصي والأعمال السيّئات ، ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ، والأصل في ذلك أنّ الله تعالى خلق العقل في أعلى علّيين وخلق الجهل في أسفل سافلين بحكم اقتضاء المقابلة والمُضادّة ، فلما أمر العقل بأن أدْبِرْ فادبَر متنزّلاً حتّى وصل إلى التراب العذب ، وأمره بأن أقبل فأقبَلَ صاعداً حتى وصل إلى قاب قوسَيْن ، وأمر الجهل بأن أدبر فأدبر صاعداً في نزوله حتى وصل إلى التراب المالح والأرض السّبخة ، وأمره بأن أقبل فأدبَر هابطاً في صعوده حتّى وصل إلى ظلمة مَبْدَئِه فامتزج طرفَا الإدبارَيْن فحصَل اللّطخ في مستضعَفي الفريقين فتَشابَها وتَشاكل الأمرُ .

والحاصلُ أنّ سجّين في سلطنة الجهل ورتبتِه منه كعلّيّين في سلطنَةِ العقل وَرُتْبَتِه منه ، وهي الرتبة الثامنة في نزل الجهل الّذي هو صعود حِسّيّ وكذلك العقل علّيّون في الرتبة الثامنة في نزول العقل الذي هو نزول حسي ومعنوي وعلّيّون لوحٌ من نورٍ أخضر فيه كتب القلم صور أعمال المؤمنين والأنبياء وسائر المطيعين وصُوَر نفوسهم فأعطى الله تلك الصور ما لَها من الهيئات غير المتناهية فيما لا يزال . وسجّين لوح أسود مظلم متلاشي الحقيقة جعله أرضاً لمطارح غضبه ونقماته كتب الجهل فيه صُوَر أعمال العاصين وصور نفوسهم بالله الّذي ألْبَسَ الأشياء ملابسَ دَواعيها فأعطاها سبحانه بما اكتسبت من هيّئاتِ أعْمالِهَا ما لَها من الهَيْئات غير المتناهية فيما لا يزال ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

قال أيّده الله تعالى : وفي بعض الأخبار يومىء أن المنافقين

والشّياطين لعنهم الله لم يبكوا على الحسين عليه السلام . وأمّا الكافرون فقد بكوا عليه كما ورد (**إنّ النار وأهل النار بكوا على الحسين عليه السلام**) فكيف يكون كذلك إلّا إذا قلنا : إنّ طينة المنافقين والشياطين من الجهل الأول وطينة الكافرين من سجّين والحال أنّ أهل سجّين لم يبكوا على الحسين عليه السلام والسجّين الصخرة وهو فوق النار .

أقول : الّذي يدل عليه العقل والنّقل أنّ جميع ما في الوجود المقيّد من كلّ ذي هيئةٍ وصورة ممّا في السماوات والأرضين وسكّان العناصر والبحار بكوا على الحسين عليه السلام إلّا أنّ بكاءهم على نوعَيْنِ : **أحدهما** بمقتضى إمكان ذي الهيئة والصورة وبهذا النوع بكى على الحسين عليه السلام كلّ شيءٍ حتّى المنافقين وَالشّياطين وَأهْل علّيّين وأهل سجّين ، وهذا بكاء معنوي وهو على أصنافٍ : منه أنّ كلَّ واحدٍ منهم يجد في نفسِه ضعفاً عن شَيءٍ من الأشياء ، ومنه أنّ كل واحدٍ منهم يجد في نفسه رِقّةً لشَيءٍ من الأشياء ، ومنه أن كلّ واحدٍ منهم يجد في نفسه خُضوعاً لشيءٍ من الأشياء ، ومنه أنّ كل شيء منهم يَجدُ في نفسِه ميلاً لشيء من الأشياء ، ومنه أنّ كل شيء منهم يجد في نفسه حاجةً لشيء من الأشيَاءِ ، ومنه أنّ كلّ شيء يجد في نفسه خوفاً من شيءٍ من الأشياء ، ومنه أنّ كلّ شيء منهم يجد في نفسه رجاءً لشيء من الأشياء ، ومنه أن كل شيء منهم يجد في نفسه غمّاً لعدم إدْرَاكِ شيءٍ من الأشياء أوْ لِفَوْتِ شيء من الأشياء ، ومنه أنّ كلّ شيء منهم يجد هَمّاً عنده لأمرٍ مستقبلٍ محبوبٍ يخاف عدم إدراكه أو بطء إدراكه أو محذورٍ يخاف وقوعه وما أشبه هذه .

وكلّ هذه وما أشبهها بُكاءٌ أوْ تباكٍ لجمود عين طبيعته ويجري على كل من أشرنا إليه من كل ذي هيئةٍ وصورةٍ من الخلق .

ومرادي بذي الهيئة والصورة ذو الإنيّةِ حال وجدانه إنّيّتَهُ وإلى هذا المعنى أشرتُ بقولي في قصيدتي المقصورة في مرثية أبي عبد الله الحسين عليه السلام قلتُ :

ما في الوجودِ معجَمٌ لم يكن
إلاّ اعترتْهُ حَيرةٌ في استِوَا
كل انكسارٍ وخضوعٍ به
وكلُّ صوتٍ فهو نَوحُ الهَوا
أما ترَى النّخلةَ في قُبَّةٍ
ذاتِ انفطارٍ وانفراجٍ فَشا
ما سَعْفةٌ فيها انتهَتْ أُخْبِرَتْ
إلّا لها حُزْنُ إمامي شَوَى
أما ترَى الأثْل وأهدابَهُ
عند الرياحِ ذا حَنينٍ عَلاَ
أما سمعتَ النخْلَ ذا رِنّةٍ
في طيرانه شديدَ البُكَا
والسيفَ يَفري نحرَهُ باكياً
والرمح ينعَى قائماً وانْثِنا
تبكيه جُردٌ جارياتٌ على
جُثمانه وإنْ تَدُقُّ القَرَا

والله مـــا رأيـــتُ شـــيـــئـــاً بـــدَا
فـــي الـــكـــون إلّا ذَا بُـــكـــاءٍ عَـــلاً

فتأمّل هذه الأبيات تعرف ما أشرنا لكَ إليه .

وثانيهما : بالبكاء المعروف وجريان الدُّموع ويكون ذلك من محبّيه عليه السلام ومن مبغضيه في حالة عدم التفاتهم إلى جهة بَغْضِه وعداوته ، فإنّهم في حالة التفاتهم إلى عداوته وبغضه وما يرد منهم من الحَنق والغيظ عليه وعلى أتباعه ومحبّيه لا يبكون عليه لشدّة بُعْدِ قلوبهم عن الرحمة وقسوتها عن قبول الخير وهو تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ ، والبكاء على الحسين عليه السلام من خشية الله .

وأمّا في حال غفلتهم عن شقاقهم البَعيد من رحمة الله إذا ذكروا ما جرى عليه وعلى أهل بيته وأنصاره بَكوا كما جرى من كثير منهم مثل خَوْلَى الأصبحي لعنه الله هو يسلب زينب عليه السلام والأطفال ويأخذ النطع سحباً من تحت سيد العابدين صلوات الله عليه وهو يبكي ولمّا سألته قال لعنه الله : أبكي لما جرى عليكم أهل البيت وهو من المنافقين .

والحاصل كلّ شيء يبكي على الحسين صلوات الله عليه تبكيه الرياح بهفيفها ، والنّار بتَلهُّبِها والماء بجريانه وأمواجه وجموده والشمس ، والقمر والنجوم بتغيّراتها من حمرة وصفرة وكسوف وخسوف والجبال بارتفاعها وانْهِدادِها ، والجدران بتَفطُّرِها وانهِدامها ، وَالنباتِ بتغيّره واصفراره ويُبْسِه ، والآفاق بتكدّرها

واغبِرارها وحمرتها وصفرتها آه ثم آه ما أدري ما أقول وتبكيه التّجارة بخسارتِها وكسَادِها والعيون بتكدُّرِها والمعادن بفسادها والأسعار بغَلاَئِها والأشجار بموتها وبقلّةِ ثمرها وبسقوط ورقها وبيُبْسِ أغصانها واصفرار وَرِقها ، أما سمعتَ بكاء الأواني حين تنكسر من الچيني والخزف ومن المعادن تبكيه بانكسارِها وبِصوتها حين الكسر ، أما سمعتَ هديرَ الأطيار في الأوكار وهفيف الأشجار وأمواج البحار وبكاء الأطفال الصغار ، أما سمعتَ بكاء الأسفار بعدم أمْنيّة القفار ، أما سمعتَ الليل يبكيه بظلمته والنهار بالإِسْفار .

أما رأيتَ تفتُّتَ الأحجار وغَوْر الآبار وقلّة الأمطار وغلاء الأسْعار وفساد الأفكار واختلاف الأنظار وقصر الأعمار آه ثم آه ثم آه أُجْمِل لك الأمر بما أجملَه العزيز الجبّار في كتابه قال في هذا الشّأن مصرّحاً بالبيان لمن كان لقلبه عينان : ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ فقال عليه السلام في بيان : إن المراد بهذه الآية ما ذكرنا في الزيارة الجامعة الصغيرة المذكورة في آخر المصباح للشيخ رحمَهُ الله قال عليه السلام : (**يسبّح الله بأسمائه جميع خلقه**) يعني أن كل شيء يسبّح الله بالبكاء على سيّد الشهداء عليه أفضل الصلاة والسّلام والثّناء وبذكر مصابه الجليل وبنشر فضائله وممادحه في مصائبه وقد قلتُ في هذا المعنى في قصيدة رثيتُه عليه السلام بها :

أمّـــا ثـــنـــاؤكَ فـــي بـــلائِـــك

فـــهـــو لا يُـــحـــصـــيـــه كـــاتِـــبْ

وأَرَى جـــمـــيـــعَ الـــخـــلـــق كـــلاً
بـــالـــذي أُوتـــي مُـــخَـــاطِـــبْ
يَـــبْـــدُو بـــنَـــغْـــبِـــك حـــيـــن يَـــبـــدو
وهـــو حـــالٌ غـــيـــر كـــاذِبْ
فـــلِـــذاكَ قـــيـــلَ لـــكَ الـــمَـــحـــامـــدُ
والـــمَـــمـــادحُ فـــي الـــمـــصَـــائِـــبْ

إلى آخر الأبيات ، والحاصل هذا مجمل الجواب والبيان أنّ كلّ شيء يبكي عليه إلّا حال التفاتِه إلى عَداوته وبغضه ، فإنه في تلك الحال مطرود من رحمة الله التي وسعَت كلّ شيء لانّه حين العداوة لا وجود لأصل عداوته له عليه السلام ، فلأجل ذلك قلنا : هو حينئذٍ في ظلمةٍ موهومةٍ لا تشملُها رحمة الله التي وسعت كلّ شيء صلّى الله عليك يا أبا عبد الله بعدد ما في علم الله ، اللهمّ العن أوّل ظالم ظلم حق محمّد وآل محمّد وآخر تابع له على ذلك ، اللّهمّ العن العصابة التي جاهدت الحسين وشايعت وتابعت على قتله ، اللّهمّ العنهم جميعاً ، اللهمّ العن يزيد بن معاوية ، تلعنه أربع مرات بعدد أركان العرش وأركان الوجود ، فالأولى بعدد النور الأحمر وهو الخلق وما يرتبط به ، والثانية بعدد النور الأخضر وهو الممات وما يرتبط به ، والثالثة بعدد النور الأصفر وهو الحياة وما يرتبط به ، والرابعة بعدد النور الأبيض وهو الرزق وما يرتبط به لعنه الله بعدد ما في علم الله انتهى ، وقولكم سجّين الصخرة وهو فوق النار جوابه فيما ذكرنا ، إذ لا فرق بين الأعلى والأسفل وإنما الفرق هو حال الالتفات إلى العداوة كما مر فافهم .

قال وفّقه الله لخير الدارين وأصلح له أحوال النشأتين : وبيّنوا رضى الله عنكم وعن والديكم ما معنى هذا الشعر في قولكم :

أمـا تـرى الـنّـخـلـةَ فـي قـبّـةٍ

ذات انـفـطـارٍ وانـفـراجٍ فَـشَـا

أقول : مرادي أنّ النخلة والشجرة وغيرهما مقتضى الصنع المحكم واستقامة الإيجاد بمقتضى استقامة طبيعة المصنوع أن يكون على هيئة التساوي والاستدارة الصحيحة ، لأن الاستدارة الصحيحة أكمل الأشكال لتساوي الخطوط المخرجة من قطبها إلى محيطها ، فكانت النخلة لها سعَفٌ مستديرٌ على رأسها قُبّةً وكان مقتضى الصنع المحكم والإيجاد المتقن أن يجريا على حسب قابليّة المصنوع ، والأمر الواقع في كل مصنوع كذلك ، وإذا اختلفت طبيعة المصنوع جرى الصنع والإيجاد على حسب اختلافها والنخلة أكمل الأشجار وأقربها من الحيوانات ، ولهذا تستأنس وتستوحش وتخاف وتعشق وغير ذلك من صفات الحيوانات ، ولأجل ذلك أمر الشارع عليه السلام بوضع جريدتَيْن من النخل مع الميت تؤنِسه ويستأنس بهما ويرتفع بهما عنه عذاب الوحشة ما دامتا خضراوتين ، لأنّ رطوبتهما هي النفس النباتيّة فيأنس بهما ولأنها أي النخلة إنّما سمّيت نخلة لأنها من فاضل نخالة طينة أبينا آدم عليه السلام ، فلذا قال صلى الله عليه وآله : (**أكرموا عمّاتكم النخل**) .

يعني أنها أختُ أبينا لأنها خلقت من فاضل طينتِه فكانت النخلة أكمل الأشجار وأقربها من الحيوانات في الرتبة ، فيلزم من ذلك استقامة طبيعتها ويلزم من استقامة طبيعتها اعتدال خلقتِها ، فيكون السعف المحيط برأسها متساوياً بحيث يحصل من تَساويه أن يكون

عليها قبّة صحيحة الاستدارة ، وقد قال بعض الشعراء في وصف النخل وحسن خلقته وحسن طلعه وثمرته قال :

كأنّ النخيلَ الباسِقَاتِ وقد بَدتْ
لناظِرهَا يوماً قُبَابُ زَبْرجَدِ
وقد قُلّدِتْ في عُنقِها زينةٌ لها
قناديلُ ياقوتٍ بامراسِ عَسْجَدِ

فقال قُبابُ زبرجد يعني كأنها قبّة زبرجد أخضر وهذا ينبغي أن تكون كذا لأجل استقامة قابليّتها ، لكنّا نَراها قبّة غير معتدلةِ الاستدارة بل فيها انفطار أي انشقاق وانفراج أي فرجة ، فهي غير صحيحة الاستدارة والسبب في ذلك الاختلاف الذي جرى عليها وأصابها بسببه عدم الاستقامة وعدم الاستدارة الصحيحة حتى كانت القبّة التي على رأسها من سعفِها منفَطِرة منفرجة هو ما وصل إليها من مصاب سبط الرسول وفرخ عليّ والبتول صلّى الله عليهم وآلهم الطيبين وقلتُ بعد هذا البيت :

ما سعفة فيها انتهت أخبرت
إلّا لها حزن إمامي شوى

يعني ما فيها سعفة ، انتهت أي تم نموُّها ، أخبرت أي وأخبرت بمصاب الحسين عليه السلام لأنها قبل أن ينتهي نموّها لم تخبرها الملائكة الموكّلون بنموّها وإلّا لانقطع تسبيحهم لله تعالى لأنهم يسبّحون الله تعالى بتنمِيَةِ هذه السعفة إلى أن يتمّ نموّها ، فإذا تَمّ نموّها أخبروها بمصاب الحسين عليه السلام فتنشوي وتَيْبَسُ لأنّها تبكي على الحسين عليه السلام بذبولها ويُبْسها وتخرج دموعها عليه

عليه السلام بالرطوبات التي تتحلّل منها ، ولو أن الملائكة الموكّلين بنموّها أخبروها قبل تمام نموّها بمصاب الحسين عليه السلام يبسَت ولم تجر فيها المادّة ، فإذا يبست قبل التمام انقطع تسبيحهم لله تعالى لأنه تعالى وكّلهم بأن يسبّحوه بتنمِيَتها إلى أن يتمّ نموّها ، فإذا تمّ نموها أمرهم بالصعود إلى مراكزهم من الوجود فكانوا في مراكزهم يسبّحونه إلى يوم القيامة ، فلذا قلتُ : ما سعفةٌ فيها أي في النخلة انتهت أي في نموّها أُخْبرت أي أخبرتها الملائكة بعد تمام نموّها بمصاب الحسين عليه السلام وما جرى عليه يوم كربلاء نفسي له الفداء إلّا وحزنُ إمامي شَوى لها أي شواها وأحرقها حتى يبِسَتْ .

قال سلمه الله : وما هذه الياء في كلامكم الشريف في المرثية والزاعبي غرَضاً هل هي الياء الحاصلة من إشباع الكسرة أم شيء آخر ؟

أقول : الزاعبي هو الرمح الطويل والياء ياء النّسبة منسوب إلى زاعبٍ اسم بلدٍ والغرض بالغين المعجمة هو الهدف الذي يُرْمَى بالسهام وهو المسمّى بالنَّيشان ، وإنّما خُفّفت الياءُ لضرورة الشعر وهذا ظاهر .

قال سلمه الله ووفّقه لرضاه : وبيّنوا أعلى الله درجاتِكم لأيّ شَيءٍ كانت الزوجتان المخلوقتان من مكان واحد وهو الضلع اليسرى من الزوج ، كان كلّ واحدٍ منهما للآخِرَ كذلك والحال إن المناسب كان بالعكس من الألفة والمحبّة ؟

أقول : عبارتكم مشتبهةٌ عليَّ ما عرفتُ مرادكم مِنْها (**فإنْ أردتم**) أنّ الزوجتين المخلوقتين من رجلٍ واحدٍ كيف يكونان لرجلين ،

فالجواب أنّهما لم يخلقا من واحد ، بل كل واحدة من زوجها نعم قد تكونان من زيدٍ مثلاً ، فالتي كانت له خاصة لم تختلط طينتها بطينة غيره والَّتي كانَتْ قَدْ أخذَها عَمْروٌ وَطينَتُهَا مِنْ زَيْدٍ فهي قد أصابها لطخٌ من طينةِ عمروٍ ، فلذلك أخذها ، فإذا كان يوم القيامة ورجع كل شيء إلى أصله رجعَتْ إلى زيدٍ.

وبيان هذا اللطخ أنّ طينتها من طينَةِ زيد من نفسه وأصابها لَطخ عارض من عمروٍ وذلك علاقة ظاهرة . فلمّا خرجا إلى هذه الدنيا تزوّجها عمرو للعلاقة الظاهرة ومعنى ذلك أنّه تزوّجها لمالها أو لجمالها أوْ لأجل كون أهلها أهل عزّة بين الناسِ ورغبةً في القرب إليهم وأمثال ذلك مِن أنواع اللّطخ ، فإذا كان يوم القيامة زالت العوارض ورجعت على أحْكامِ الذاتيّات فتكون لزيد ومن اجل هذا السبب . قد تتزوّج المرأة عشرة رجالٍ في الدنيا ويوم القيامة إنّما هي زوجةُ واحد منهم ، بل قد تكون من غيرهم إذا كانَتْ عَلاقاتهم عارضةً (**وإن أردتم**) معنى غير هذا فلم يحضرني فلو عرفتُه إن كان غير هذا أَجَبْتُه والله سبحانه أعلم بالصواب .

قال أصلح الله أحواله : وبيّنوا رحمكم الله أن أمثال هذه المسائل تفضّل من الله عزّ وجلّ ، أم لأجل العسر والحرج ، أم هو ظاهر في الواقع مثل النجاسة الممزوجة بالرماد المطروحة في الطريق المسحوقة ، وصار كله غباراً ومثل بول الأطفال في تراب الحجرة الواقعة فيه الغبار التي وقعت في الهواء المكيّفة بذلك ، وصارت مكتنسةً وكانت كناسةً طاهرة .

أقول : اعلم أنّ الله سبحانه خلق الأشياء طاهرةً وما حكم به عليها فهو مطابق للواقع والواقع عند الله سبحانه هو ما دَلّ عليه من

الواقعي الوجودي أو الواقعيّ التشريعي . أما سمعتَ الله سبحانه يقول في شأن مَن يقذف المحصنة قال تعالى : ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ فقوله : ﴿ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ ، أي في الواقعي التشريعي وإن كان صادقاً في الواقعي الوجودي إذا خالف الواقعي التّشريعي فتكون الطهارة على الظّاهر لأجل عدم إرادة العسر بالمكلّفين.

وأمّا في نفس الأمر فاعلم أنّ الله سبحانه إذا حكم عليك بحكم مثلاً كما في هذه المسألة فحكم الله إن طابق امتثالُ أمرِه الواقع فلاَ كلام وإن خالفَ الواقع وأنت قد امتثلتَ أمرَهُ ، فالّذي أفهم وإن كان لا يقول به الناس أو لا يعرفونه إنّ الله تعالى إذا حكم عليك وأمرَك باستعمال هذا الشيء على ظاهر الطهارة ولم يعلّمك بشيء خلافَ ما أمرك به كما لو استمرْ الاشتباه أنه يأمرُ إلّا ما هو طاهرٌ عنده لأنه عليم بكل شيء وقادر على كل شيء ولا يخفى عليه شيء ، فإذا كان إنّما يأمرك باستعمال الطّاهر على ما تفهم أنت بحسب ما امركَ به ، فإذا فهمتَ من أمرِه شيئاً طاهراً وقد أمرك باستعماله وهو لا يأمر إلّا باستعمالِ الطّاهر فاستعملته امتثالاً لأمره وكان في الواقع فيه نجاسة ، فإنه يعلمها فيأمر ملائكة ينقلون ما في ذلك من النجاسة لأنّه يعلمها ولا يكون عنده ذلك طاهراً حتى تنقل الملائكة النجاسة أو يغيّرها ويحيلها بقدرته إلى الطهارة كما يحيل نجاسة العذرة إلى الطهارة بإحالتها تراباً لأنه تعالى يقول : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ وكيف يكونون كاذبين وهم صادقون في الواقع فإذا كان عالماً بهم كانوا عنده صادقين وكيف يكونون عنده كاذبين وصادقين فيحصل التناقض عنده وهو على كل

شيء قدير ، وعدم المنع من التناقض باعتبارِ حيثيتَيْن لا مُوْجِبَ له ، فإن رفع التناقض أصلاً أولى من رفعه بالحيثيتين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكتب أحمد بن زين الدين في العاشر من ذي القعدة سنة تسعٍ وعشرين ومائتين وألف من الهجرة حامداً مصليّاً مستغفراً تائباً .

شرح أحوال الشيخ الأوحد
الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي

أعلى الله مقامه

كتبه بالتماس ابنه الشيخ محمد تقي رحمه الله

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين بن إبراهيم ابن صقر بن إبراهيم بن داغر غفر الله لهم أجمعين ابن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ آل صقر وهو كبير الطائفة المشهورة بالمهاشير وشيخهم وبه يفتخرون وإليه ينتسبون قعد داغر في بلدنا المعروفة بالمطيرفي من الأحساء وترك البادية ومنّ الله عليه بالإيمان وله الحمد والمنّة ليستنقِذنا من الضّلالة وكانت أولاده كلهم من الشيعة الاثني عشرية إلى أن أخرجني وخلّصني من الأرحام والأصلاب حتى أخرجني إلى الدنيا وله الفضل والحمد والشكر فخرجتُ في وقتٍ قد انتشر الجهل ، وعمّ الناس خصوصاً في بلدتنا لأنها نائية عن المدن ، وليس فيها أحد ممّن يدعو إلى الله وعبادته ، ولا يعرف أهلها شيئاً من الأحكام ، ولا يفرقون بين الحلال والحرام وكان مما تفضّل عليَّ عزّ وجلّ أن رزقني ذرّيّة كرّمهم الله بالعلم وكان كبيرهم سنّاً وعلماً وهو الابن الأعز محمد تقي أعزّه الله وهداه وجعلني من المنيّة فداه التمس مني أنْ اذكر بعض أحوالي في حالة الصغر وفي حال التعلم لتكون كالتَّاريخ ، فأجبته إلى ما التمس مني وكانَتْ ولادَتي في السنة السادسة والستّين بعد المئة

والألف من الهجرة في شهر رجب المرجّب وعلى رأس السنتين من ولادتي جاء مطر شديد وأتت بلادنا سيول من الجبال حتى كان عمق الماء في المكان المرتفع من بلدنا ذراعين ونصفاً تقريباً وفي ذلك اليوم تولّد المرحوم المبرور أخي الشيخ صالح تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنّته .

وفي اليوم الثالث وقعت بيوت بلدنا كلها لم يبق فيها إلّا مسجدها وبيتٌ لعمّتي فاطمة الملقّبة بحبّابة رحمة الله عليها ، وكان حينئذٍ عمري سنتين وأنا أذكر هذه الواقعة وعلى مختصر القصّة قرأت القرآن وعمري خمس سنين ، وكنتُ كثير التفكر في حالة طفوليّتي حتى أنّي إذا كنتُ مع الصبيان ألعب معهم كما يلعبون ولكن كل شيء يتوقّف على النظر أكون فيه مقدّمهم وسابقهم ، وإذا لم يكن معي أحد من الصبيان أخذتُ في النظر والتدبّر وأنظر في الأماكن الخربة والجدران المنهدمة اتفكّر فيها وأقول في نفسي هذه كانت عامرة ثم خُربت ، وأبكي إذا تذكرْتُ أهلها وعمرانها بوجودهم وأبكي بكاءً كثيراً حتى أنه لمّا كان حسين بن سياب الباشه حاكم الأحساء وتألّبوا عليه العرب وأتى محمد آل غُرَيْر وحاصروا الباشه وقتلوا الروم وأخذوا الأحساء وحكم فيها محمد آل غُرَير وبعد أن مات حكم في الأحساء ابنه علي آل محمد وقتله أخوه دُجَيْن أبو عرعر ، وكان مقتله قريب عين الحَوار بالحاء المهملة ودفن هناك .

فإذا مررتُ وأنا عمري خمس سنين تقريباً بقبره أقول في نفسي أين ملكُك ؟ أين قوّتك ؟ أين شجاعتك ؟ وكان في حياته على ما يذكرون أشجع أهل زمانه وأشدّهم قوّة في بدنه ، وأتذكّر أحواله

وأبكي بكاء شديداً على تغيّر أحوال الدنيا وتقلُّبها وتبدّلها ، وكان هذه حالي إن كنتُ مع الصبيان في لعبهم فأنا مشتغل باللعب معهم ، وإن كنتُ وحدي فأنا أتفكّر وأتدبّر وكان أهل بلدنا في غفلةٍ وجهل لا يعرفون شيئاً من أحكام الدين ، بل كل أهل البلد صغيرهم وكبيرهم لهم مجامع يجتمعون فيها بالطبول والزمور والملاهي والغنا والعود والطنبور وكنتُ مع صغري لا أقدر أصبر عن الحضور معهم ساعة وعندي من الميل إلى طرقهم ما لا أكاد أصفه وأبكي وحدي شوقاً إلى ما أتخيّله من أفعالهم حتّى أكاد أقتل نفسي .

وإذا خلوتُ وحدي أخذتُ في الفكر والتّدبّر وبقيتُ على هذه الحال فلمّا أراد الله سبحانه إنقاذي من تلك الحالات اجتمعتُ مع رجل من أقاربنا من المقدّمين في طرق الضّلالة المتوغّلين في أفعال الغواية والجهالة وقال : أنا أريد انظم بعض أبيات الشعر ، وأريدك تعينُني هذا وأنا صغير ما بلغتُ الحلم فقلتُ له : أفعل فقعدنا في خلوة فأخذ أوراقاً صغاراً عنده يُقَلّب فيها وإذا فيها أبيات شعر منسوبة للشيخ علي بن حمّاد البحراني الأوالي تغمده الله برحمته ورضوانه في مدح الأئمة عليهم السلام وهي :

لِلَّهِ قومٌ إذا ما الليلُ جَنَّهُمُ
قامُوا من الفُرْشِ للرحمٰن عُبَّادَا

ويركبونَ مَطايا لاتَمُلّهُمُ
إذا هُمُ بمنادي الصبح قدْ نَادَا

الأرضُ تبكي عليهِمْ حينَ تفقدهُمْ
لأنّهُمْ جُعِلوا للأرض أوْتَادَا

هم المُطيعون في الدنيا لخَالِقِهِمْ
وفي القِيامةِ سادُوا كلَّ مَنْ سادَا
مُحَمّدٌ وعَلِيٌّ خَيْرُ مَن خُلِقُوا
وخيْرُ مَن مَسَكَتْ كَفّاهُ اعوادَا

فلمّا قرأ هذه الأبيات ألقاها وقال الحاصل إنّ الذي ما يعرف النحو ما يعرف الشعر ، فلمّا سمعتُ هذا الكلام منه وكان صبيٌّ أمّه بنت عم أمّي تغمدها الله برحمته اسمه الشيخ أحمد بن محمد آل ابن حسن يقرأ في النحو في بلدٍ قريبةٍ من بلدنا بينهما قدر فرسخ عند المرحوم الشيخ محمد ابن الشيخ محسن قدّس الله روحه قلت للشيخ أحمد : ما أوّل شيء يقرأ فيه من النحو ؟ فقال : عوامل الجرجاني فقلتُ له : أعطني أكتبها فأخذتُها وكتبتُها ولكني أستحيي أن أذكر لوالدي قدّس الله روحه ونوّر ضريحه لأنه كان عندي من الحياء شيء ما يتصوّر حتى إن ذلك الحال الذي أشرتُ إليه من الاشتياق إلى أفعال أولئك الفسّاق ما اطّلع عليه أحد إلّا الله سبحانه فمضيتُ إلى موضعٍ من بيتنا يقعد فيه والدي هو والدتي ونمتُ فيه وبيّنتُ بعض الأوراق التي فيها العوامل وأتت والدتي وأنا مغمضٌ عَيْنَيَّ كأني نائم ثم أتى والدي وقال لوالدتي : ما هذه الأوراق التي عند أحمد ؟ قالت : ما اعلم فقال ناولينيها فأخذَتْها وأنا أرخيتُ أصابعي من حيث لا يشعر حتى تأخذ القرطاس فأخذَتْها وأعطتها والدي رحمه الله فنظر فيها وقال هذه رسالة نحوٍ مِنْ أين له هذه ؟ قالت : ما أدري فقال : ردّيها مكانها فردّتها وألنتُ أصابعي من حيث لا تشعر فوضعتها في يدي وبقيتُ قليلاً ثم تمطّيتُ وانتبهتُ وأخفيتُ القرطاس ، كأني أحِبُّ ألاّ يطّلِعَا عليها ،

فقال لي والدي : من أين لك رسالة النحو هذه ؟ قلتُ كتبتُهَا . فقال لي : تحبّ أن تقرأ في النحو هذه ؟ فقلتُ : نعم . وجرَتْ نعم على لساني من غير اختياري وأنا في غاية الحياء كأن قولي نعم أقبح الأشياء ولكن الله وله الحمد والشكر أجرياها على لساني من غير اختياري ، فلمّا كان من الغد أرسلني مع شيء من النفقةِ إلى البلد التي فيها الرجل العالم أعني الشيخ محمد ابن الشيخ محسن واسمها القُرَيْن ووضعني مع ذلك الصبي الذي تقدم ذكره وهو الشيخ أحمد رحمه الله فكان شريكي في الدرس عند الشيخ محمد وقرأت العوامل والآجرّوميّة عنده ، ورأيتُ في المنام رجلاً كأنه من أبناء الخمس والعشرين سنة أتى إليّ وعنده كتاب فأخذ يعرّف لي قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ مثل خلق أصل الشيء يعني هيولاه فسوّى صورته النوعيّة وقدّر أسبابه فهداه إلى طريق الخير والشر ، يعني من هذا النوع وإن لم يكن خصوص ما ذكرته .

فانتبهتُ وأنا منصرف الخاطر عن الدنيا عن القراءة التي يعلمناها الشيخ لأنه إنما يعلّمنا زيد قائم زيد مبتدأ وقائم خبره وبقيت أحضر المشايخ ولا أسمع لنوع ما سمعتُ في المنام من ذلك الرجل شيئاً وبقيتُ مع الناس بجسدي ورأيتُ أشياء كثيرة لا أقدر احصيها منها إنّي رأيتُ في المنام كأنّي أرى جميع الناس صاعدين على السطوح يتطلّعون لشيء فصعِدتُ أنا سطح بيتنا وإذا أنا أرى شيئاً أتى ممّا بين المغرب والجنوب وهو معلّق بالسماء بطرفٍ منه وطرف آخر مُتَدلّ كالسرادق وهو مقبل إلينا أنا والناس كلهم وكلّما قَرُب منا انحطّ إلى جهة السفل حتى وصل إلينا وكان أسفل ما مِنه ما كان عندي وقبضته بيدي وإذا هو شيء لطيف لا تدركه حاسّة اللّمس

بالجسم إلّا بالبصر وهو أبيض بلّوري يكاد يخفى من شدّة لطافته وهو حَلَقٌ منسوجة على هيئة نسج الدرع ولم يصل إليه أحد من تلك الخلائق المتطلّعين إليه غيري ، ورأيتُ ليلة أخرى كأن الناس كلّهم يتطلعون على السطوح كالرؤيا الأولى إلى شيء نزل من السماء وقد سدّ جهة السماء إلا أنّ جميع أطرافه متّصلة بالسماء ووسطه منخفضٌ ولم يصل من تلك الخلائق أحد غيري لأن أخفض ما في وسطه المتدلّي هو الذي وصل إلَيّ فقبضتُه بيدي فإذا هو غليظ ثخين ورُئي لي أيضاً كأن جبلاً عالياً إلى عنان السماء وحوله من جميع جوانبه رمالٌ منهالة وكلّ الخلائق يعالجون في صعوده ولم يقدر أحد منهم أن يصعَد منه قليلاً وأتيتُ أنا وصعِدته كلمح البصر بأسهل حركةٍ إلى أعلاه .

وأمثال هذه من الأمور الغريبة التي ربّما أعجز عن إحصائها ، ثم إني رأيتُ ليلة كأنّي دخلتُ مسجداً فوجدت فيه رجالاً ثلاثة وشخص آخر يقول لكبير الثلاثة : يا سيدي كم أعيش؟ فقلتُ : مَن هؤلاء ومَن هذا الّذي تسأله؟ فقال : هذا الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام . فمضيتُ إليه وسلمت عليه وقبّلتُ يده وتوهّمت إن اللّذَيْنِ معه الحسين وعلي بن الحسين عليهما السلام ، فقال عليه السلام : هذا عليّ بن الحسين والباقر عليهما السلام . فقلتُ : أنا يا سيّدي كم أعيش؟ فقال : خمس سنين أو أربع سنين أو قال خمس سنين وأربع سنين . فقلتُ الحمد لله . فلما علِم منّي الرضا بالقضاء قعَد عند رأسي وذلك كأني حين إظهاري للرضا بما قال نائم على قفائي ورأسي إلى جهة القطب الجنوبي وهم عليهم السلام قيام على جانبي الأيمن كالمصلّين على الميت إلّا أن

الحسن عليه السلام مما يلي رأسي فلمّا أظهرتُ الرضا بالقضاء قعد عند رأسي ووضع فمه على فمي ، فقال له عليّ بن الحسين عليهما السلام : (**أصلح إن كان في فرجه خراب**). فقال الحسن عليه السلام : (**الفرج لا يخاف منه وإن أعقمه الله وإنما يخاف من القلب**) . فتعلّقتُ به فوضع يده على وجهي وأمرّها إلى صدري حتى وجدت برد يده الشريفة في قلبي ، ثم كأني أنا وهم قيام ، فقلتُ له يا سيدي أخبرني بشيء إذا قرأته رأيتكم ، فقال لي :

كن عن أمورك معرِضاً
وكِل الأمورَ إلى القضا
فَلَرُبّما اتّسع المضيق
ورُبَّما ضاق الفضا
ولَرُبّ أمرٍ مُتْعِبٍ
لك في عَواقبه رضا
الله يفعل ما يشاءُ
ولا تكن مُتَعرضا
الله عوّدَك الجميل
فقس على ما قدْ مَضا

ثم قال أيضاً :

رُبَّ أمرٍ ضاقتِ النفسُ به
جاءها من قِبَل الله فرج
لا تكن من وجهِ رَوْحٍ آيِساً
رُبَّما قد فُرّجت تلك الرُّتَج

بينما المرءُ كئيبٌ دَنِفٌ
جاءَهُ الله بروحٍ وفرَجْ

وكان يقرأ من الأول فَقرة ومن الثاني فقرة ، فقلتُ : كيف هذا؟ فقال عليه السلام : قد يستعمل في الشعر هكذا . فقلتُ يا سيدي هل رأيتَ القصيدة التي أوّلها :

ألا انظرنْ يا خليلي بين أحوالي
في أيّها هو أحلَى لي وأحْوىٰ لي

فقال : رأيتها وهي عجيبة إلّا أنها ضائعة . وذلك إنّما قال عليه السلام ذلك لأني نظمتُها في التغزّل . فقلتُ له إن شاء الله تعالى أنظم في مدحكم قصيدة . ثم إني أحببتُ انصرافهم لئلّا أنسى تلك الأبيات وثقة منّي بوعده عليه السلام . ثم إني ذات ليلةٍ قعدتُ آخر الليل لصلاة الليل كان قريب بلدنا بلد اسمها البابه وفيها نخلة طويلة جدّاً ما رأيتُ منذ خلِقتُ نخلةً طولها وعليها حمامة راعبيّة وهي تنوح ، فذكّرتني تلك الرؤيا ومن رأيتُ فنظمتُ القصيدة في مدحهم عليهم السلام التي أوّلْها :

بِيَ العَزا عَزّ وجلّ الوجَلُ
وباحَ مدمعي بما أحْتَمِلُ

وهي موجودة ، والحاصل ثم إنّي بقيتُ أقرأ الأبيات كل ليلةٍ وأكرّرها ولا أراهم عليهم السلام كم شهر ، ثم إنّي استشعرتُ أنه عليه السلام ما يريد مني قراءة الأبيات وإنما يريد منّي التخلّق بمعانيها فتوجّهت إلى الإخلاص في العبادة وكثرة الفكر والنظر في العالم وكثرة قراءة القرآن والاعتبار والاستغفار في الأسحار ،

فرأيتُ مناماتٍ غريبة عجيبة في السماوات وفي الجنات وفي عالم الغيب والبرزخ ونقوشاً وألواناً تبهر العقول ، ثم انفتح لي رؤيتهم عليهم السلام حتى أني أكثر الليالي والأيام أرى مَن شئتُ منهم على ما اختار منهم الذي أراه عليه السلام وإذا رأيتُ أحداً منهم وانتبهتُ وانقطع كلامي قبل تمامه رجعتُ في النوم ورأيتُ ذلك الذي رأيته عند منقطع كلامي حتى أتمّمه ، وإذا ذكر لي أحد من الناس أن إذا رأيتهم تسأل لي الدعاء رأيتُ كذلك .

قد ذكر لي أخي الشيخ صالح أن إذا رأيتَ القائم عليه السلام فاسأله لي الدعاء فرأيتُ القائم عليه السلام عجّل الله فرجه وقلتُ له : يا سيّدي إنّ أخي صالحاً يسأَلُكَ الدعاء فدعا له وقال : في زوجته ولد ، ثم حملت زوجته بزين الدّين ابنه ، وكنتُ في أوّل انفتاح باب الرؤيا رأيتُ الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام فسألته عن مسائل فأجابني ثم وضع فمه الشريف في فمي وبقي يمجّ عليَّ من ريقه وأنا أشرب وهو ساخِنٌ إلّا أنه ألذّ من الشهد قدر نصف ساعة كل ذلك وأنا أشرب من ريقه ، ثم بعد كم سنةٍ رأيتُ النبيّ صلى الله عليه وآله وقلتُ : يا سيدي أريد منك أن أخلع الدنيا أصلاً بحيث لا أُعرف . فقال هذا أصلح . فشدّدتُ عليه في الطلبة فتغافلني ومضى عني من حيث لا أشعر ففتّشتُ عليه ثم وجدته وقلتُ له : أنا أريد منك هذا المطلب . فقال : يمكن بعد حينٍ . فتغيّب عني فطلبته فوجدته وشدّدتُ عليه مراراً فمرة يقول : هذا أصلح ومرّة يقول : بعد حين ، فلمّا آيستُ من مطلبي قلتُ له : إذاً زوّدني . فرفع يمينه الشريفة وأراد أن يمسح بها وجهي وصدري . قلتُ لَه : ما أريدُ هذا . فقال لي : ما تريدُ؟ قلتُ : أريد

تسقيني من ريقك . فوضع فمه على فمي ومجّ عَليَّ من ريقه ماء ألذّ من الشهد وأبرد من الثلج إلّا أنه قليل ، وكنت أنا وهو صلى الله عليه وآله قائمين فضعفتُ لشدّة اللّذة وبرد الماء فقعدتُ ، ثم قمتُ وهو يضحَكُ من قعودي وضعفي وسقاني مرّة أخرى كالأولى ، ثم مضى .

والحاصل أني رأيتُ أكثر الأئمة عليهم السلام وظني كلهم إلّا الجواد عليه السلام فإني متوهم في رؤيته وكل من رأيتُ منهم يجيبني في كل ما طلبتُ إلّا مسألة الانقطاع فإن جوابهم لي فيه كجواب النبيّ صلى الله عليه وآله ، وكنتُ مدّة إقبالي سنين متعددة ما يشتبه عليَّ شيء في اليقظة إلّا وأتاني بيانه في المنام في أشياء ما أقدر أضبطها لكثرتها ، وأعجب من هذا أني ما أرى في المنام شيئاً إلّا على أكمل ما أريده في اليقظة بحيث ينفتح لي جميع ما يؤيّد أدلّته ويمنع ما يعارضه وبقيتُ سنين كثيرة على هذه الحال حتى عَرفني الناس وأُشغلتُ بهم عن ذلك الإقبال وانسد ذلك الباب المفتوح ، فكنتُ الآن ما أراهم عليهم السلام إلّا نادراً من الأحوال .

وكان من جملة هذه الأمور النادرة أني رأيتُ أمير المؤمنين عليه السلام في مجلس مشحون من العلماء والأجلّاء فلمّا أقبلتُ قام عليه الصلاة والسلام فقعدتُ عند النّعل فقال : أقبل ما هذا مكانك ، فقمتُ ثم قعدتُ قريباً فقال : أقبل ولم يزل عليه السلام يقرّبُني حتى أقعدني في جانبه ، فكان ممّا سألته هل يجوز بيع الصبرة؟ فقال لا . ثم ذكرتُ له حاجتي فقال : أنا ما في يدي شيء . فقلتُ له : نعم ولكني أتيتُ إليك من الذي بيني وبينك أريد

ممّا أعرف من مقامك عند الله . فلما قلتُ له ذلك قال : إن شاء الله يكون بعد حين انتهى .

وكنت في تلك الحالِ دائماً أرى مناماتٍ وهي إلهاماتٌ فإنّي إذا خَفِي عَلَيّ شيءٌ رأيتُ بيانه ولو إجمالاً ، ولكني إذا أتاني بيانه في الطيف وانتبهتُ ظهرت لي المسألة بجميع ما تتوقّف عليه من الأدلة بحيث لا يخفى عَلَيَّ من أحوالها حتى أنّه لو اجتمعت الناس ما أمكنهم يُدْخلون عَلَيَّ شبهةً فيها وأطّلِع على جميع أدلّتها ولو أوردوا علَيَّ ألف مُنافٍ وألف اعتراضٍ ظهر لي حامِلها وأجوبتها بغير تكلّفٍ ، ووجدتَ جميع الأحاديث كلها جَارِية على طبق ما رأيتُ في الطيف لأنّ الذي أراهُ في المنَامِ معاينة لا يقع فيه غلط ، وإذا أردتَ أنْ تعرف صدق كلامي فانظر في كتبي الحكميّة فإني في أكثرها في أغلب المسائل خالفتُ جُلّ الحكماء والمتكلّمين .

فإذا تأمّلتَ في كلامي رأيته مطابقاً لأحاديث أئمة الهدى عليهم السلام ولا تجد حديثاً يخالف شيئاً من كلامي وترى كلام أكثر الحكماء والمتكلمين مخالفاً لكلامي ولأحاديث الأئمة عليهم السلام حتى بلغ منهم الحال إلى أن أكثرهم ما يعرفون كلام الإمام عليه السلام ويفسّره بغير مراد المتكلّم عليه السلام ، ولكن إذا أردتَ البيان فانظر بعين الإنصاف لتعرف صحة ما ذكرت فإني ما أتكلّم إلّا بدليل منهم عليهم السلام ولقد كان بيني وبين الشيخ محمد ابن الشيخ حسين بن عصفور البحراني رحمهم الله بحثٌ كثير وأكثر الإنكار عليّ ، ثم انصرفنا فلمّا جاء الليل رأيت مولاي علي ابن محمد الهادي عليه وعلى آبائه الطيبين وأبنائه الطاهرين أفضل الصلاة وأزكى السلام فشكوتُ إليه حال الناس فقال عليه السلام :

اتركهم وامض فيما أنت فيه . ثم أخرج إلَيّ أوراقاً على حجم الثمن وقال : هذه إجازاتنا الاثني عشر . فأخذتها وفتحتُها وإذا كل صفحة مصدّرة ببسم الله الرحمٰن الرحيم وبعد البسملة إجازة واحدٍ منهم عليهم السلام ، وكان ممّا أمروني به ووعدوني به ووصفوني عليهم السلام به ما لا يُصَدّق به كلّ مَن سمع استِعْظَاماً له وإني لستُ أهلاً له حتى أنّي قلتُ للنبيّ صلى الله عليه وآله : مَن القائل بذلك؟ فقال : غير أنا؟ أنا القائل . فقلتُ : يا سيّدي أنتَ تعرفْني وأنا أعرف نفسي أنّي لستُ أهلاً لذلك فَلأيّ سببٍ قلتَ ذلك؟ فقال : بغير سببٍ . فقلتُ : بغير سببٍ؟ فقال : نعم أُمِرْتُ أن أقول كذا فقلتُ : فقلتُ : أُمرتِ أن تقول كذا؟ فقال : نعم وأمرتُ أنْ أقول إن ابن أبي مُدَربسٍ من أهل الجنّة . وكان رجلاً من أهل بلدنا من جهّال الشيعة .

وقال أيضاً : وأُمِرتُ أن أقول إنّ عبد الله الغُوَيْدري من أهل الجنة . فقلتُ : عبد الله الغويدري من أهل الجنّة؟ فقال صلى الله عليه وآله : (**لا تغترّ بأنّ ظاهره خبيث فإنه يرجع إلينا ولو عند خروج رُوحِه**) . وكان عبد الله الغويدري رجُلاً عَشّاراً من أهل السّنّة والجماعة ولم نسمع عنه شيئاً من فعل الخَير ، إلّا أنه كان يحبّ جماعة من السادة من أقاربنا ويخدمهم ويعظّمهم ويكرمهم غاية الإكرام . ثم بعد مدّة تكلمتُ بهذا الكلام بمحضر جماعة من الشيعة فقال شخص منهم اسمه عبد الله ولد ناصر العطار وكان بينه وبين عبد الله الغويدري صداقة ومواخاة فقال : عبد الله الغويدري شيعي . فقلنا : ليس بشيعي . فقال : والله إنه شيعي ولا يطّلع عليه إلّا الله وأنا وهو رفيقي وأنا أعرفه .

والحاصل من الاتفاق أن طوائف من البوادي اعتدوا على طائفة من الشيعة من أهل القطيف ووقع بينهم حرب واستعان الشيعة بأهل الأحساء وخرج من الأحساء عسكر لإعانة أهل القطيف على البوادي وكان من جملة من خرج معهم عبد الله الغُوَيْدِري فَقُتِل في جملة مَن قُتِل فختم له بالشهادة في الدفاعِ عن المؤمنين .

والحاصل أنّ من الأمور الغريبة تعبير ما ذكرتُ من الرؤيا التي تقدم ذكرها فإنه مما لا يحسن بيانه خصوصاً للجهال والحسّاد ، وأمّا أنا فإن افتريته فعَلَيَّ إجرامي .

رسالة مختصرة في مضمون
رؤيا للشيخ الأوحد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين : إن بعض الإخوان في الله طلب مني أن أذكر له مضمون رؤيا رأيتها وأن أكتبها له فاعتذرت إليه لغايات ، فألحّ علي ، فكتبت مما يحضرني منها وهو كأني رأيت أني في مسجد ورأيت أشخاصاً قياماً وسمعت قائلاً يقول : يا سيدي فدنوت منهم فقلت : من هذا ؟ فقال ذلك القائل : هذا الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، فأتيته وقبّلت يده ومعه اثنان فظننت أن احدهما الحسين عليه السلام والآخر علي بن الحسين عليه السلام فقلت له بذلك ، فقال : هذا علي بن الحسين عليه السلام وهذا محمد الباقر عليه السلام فقبّلت يديهما وسمعت ذلك القائل يقول : يا سيدي كم أعيش في الدنيا ؟ فقلت أنا له : يا سيدي كم أعيش في الدنيا ؟ فقال لي : أربع وخمس أو قال : أربع أو خمس فقلت : الحمد لله رضيت وكأني حين هذا القول مضطجع على قفائي ورأسي إلى جهة نقطة الجنوب وكأنهم عليهم السلام واقفون مقابلو جهة المغرب الاعتدالي والحسن عليه السلام عند رأسي قائم ويليه علي بن الحسين عليه السلام ويليه الباقر عليه السلام ، فلما سمع الحسن عليه السلام قولي الحمد لله رضيت قعد وانكب علي ووضع فمه على فمي فقال

أحد القائمين عليهما السلام : أصلح فرجه فقال الحسن عليه السلام : الفرج لا يخاف منه وإن أعقمه الله وإنما يخاف من القلب فتعلقت به فمسح بيده على رأسي وصدري حتى أحسست بالبرودة في قلبي ، ثم كانوا قائمين وذلك الرجل القائل يتكلم معه عليه السلام فقلت للإمام عليه السلام : يا سيدي علمني دعاءً إذا قرأته رأيتكم فقرأ لي هذه الأبيات :

كـــن عـــن أمـــورك مـــعـــرضـــاً
وكـــل الأمـــور إلـــى الـــقـــضـــا
فـــلـــربـــمـــا اتـــســـع الـــمـــضـــيـــق
وربـــمـــا ضـــاق الـــفـــضـــا
ولـــرب أمـــر مـــتـــعـــب
لـــك فـــي عـــواقـــبـــه رضـــا
الله يـــفـــعـــل مـــا يـــشـــاء
ولا تـــكـــن مـــتـــعـــرضـــا
الله عـــودك الـــجـــمـــيـــل
فـــقـــس عـــلـــى مـــا قـــد مـــضـــى

وقرأ أيضاً :

رب أمـــر ضـــاقـــت الـــنـــفـــس بـــه
جـــاءهـــا مـــن قِـــبَـــل الله فـــرج
لا تـــكـــن مـــن وجـــه روح آيـــســـاً
ربـــمـــا قـــد فـــرجـــت تـــلـــك الـــرتـــج

بـيـنـمـا الـمـرء كـئـيـب مـدنـف
جـــاءه الله بـــــروح وفـــــرج

وكان عليه السلام يقرأ من هذا مصراع بيت ومن هذا مصراع بيت على ترتيب لم أحفظه ، ثم إني أحببت أن يسيروا لئلا أشتغل وأنسى الأبيات فانتبهت وبقيت أقرؤها ولا أرى أحداً منهم عليه السلام مدة من الزمان فتذكرت وتنبهت أنه يريد مني التخلق بمعانيها والاتصاف بما تدل عليه وتشير إليه ، ثم توجهت إلى إخلاص العمل ، وأن لا أكون من الغافلين ، فلما كنت كذلك انفتح لي قفل الباب واتصلت بي عرى الأسباب فكنت أكثر الليالي أراهم عليهم السلام ، فرأيت الحسن عليه السلام مرة ثانية فوضع فمه في فمي فصب لي من ريقه ماء ساخناً وأنا أرشفه قدر ساعة وهو ألذ من الشهد المصفى ورأيت بعد ذلك ما لم يره غيري من جميع الأئمة عليهم السلام والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

رسالة مختصرة
في شرح أحوال المصنف
في جواب الملا علي الرشتي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سلام الله عليكم [سلام عليك] ورحمة الله وبركاته .

اعلم أني كنت في أول عمري كثير التدبر والنظر في العالم وكان قلبي متعلقاً بأشياء لا أعرف حقيقتها [حقائقها] فرأيت [ذات] ليلة في الطيف الحسن بن علي بن أبي طالب [عليهما السلام] وعلي ابن الحسين ومحمد بن علي الباقر عليهم السلام ، وكان بيننا أحوال ومخاطبات عجيبة طويلة فقلت له : يا سيدي أخبرني بشيء إذا قرأته رأيتكم ؟ فقال لي عليه السلام : قل هذه الأبيات وواظبها فقال عليه السلام شعراً :

كن عن أمورك معرضاً
وكل الأمور إلى القضا
فلربما اتسع المضيق
وربما ضاق الفضا
ولرب أمر متعب
لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء
ولا تكن متعرضا

الله عـــودك الـــجـــمـــيـــل
فـــقـــس عـــلـــى مـــا قـــد مـــضـــى

ثم قرأ :

رب [كـل] أمـر ضـاقـت الـنـفـس بـه
جـــاءهـــا مـــن قِـــبَـــل الله فـــرج
لا تـــكـــن مـــن وجـــه روح آيـــســـاً
ربـــمـــا قـــد فـــرجـــت تـــلـــك الـــرتـــج
بـــيـــنـــمـــا الـــمـــرء كـــئـــيـــب مـــدنـــف
جـــــاءه الله بــــــروح وفــــــرج

فانتبهت فبقيت أقرأ ذلك ولا أرى [من ذلك] شيئاً حتى تنبهت [انتبهت] بأنه لا يريد مني مجرد [لا يريد مجرد] قراءته وإنما يريد أن أتخلق بمعنى ذلك فتوجهت إلى إصلاح النيّة والعمل والانقطاع [النيّة والانقطاع] بالقلب إلى الله [تعالى] وإلى ما يرضيه لا غير ولم يكن لي مقصود غير رضا الله ، فلمّا استمر لي [بي] الحال على هذه [هذا] الطريق انفتح لي باب المنام بأنواع العجائب فلا تمر بي مسألة في اليقظة إلا ورأيت بيانها في المنام وكل حين ذكرت الأئمة عليهم السلام في الطيف رأيتهم فإن رأيت [فإن ذكرت] واحداً معيناً رأيته وإن ذكرتهم مطلقاً كان لي الخيار فيمن أريد [لأن أراه] وهكذا حتى وقفت على باب مأخذ أدعية أهل البيت عليهم السلام من القرآن وسمعت الخطاب من بعض الجمادات ولقد [فقد] ورد عن الباقر عليه السلام أنه قال : **(ما من عبد أحبنا وزاد في حبنا وأخلص في معرفتنا وسأل عن مسألة**

[سأل مسألة] إلا ونفثنا في روعه جواباً لتلك المسألة) ، ولقد فتح لي أشياء ما أعرف أصفها للناس وكل [فكل] ذلك من التخلق بمعنى تلك الأبيات المتقدمة ، فأنت وفقك الله إذا أردت شيئاً فاقبل على الله على النحو الذي أمر به الشارع عليه السلام وتفهّم قول الله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكتب أحمد بن زين الدين في بلدة الحسين على ساكنها آلاف التحية .

الرسالة الصالحية في جواب الشيخ
أحمد ابن الشيخ صالح بن طوق
عن عشرين مسألة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمدُ لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أمّا بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدّين الأحسائي قد بعث إلي الأكرم المسدّد والشيخ الأسعد الشيخ أحمد ابن المقدّس المرحوم الصّالح الشيخ صالح بن طوق أصلح الله أحواله وبلّغه آماله في مبدئه ومآله بحرمة محمّد وآله مسائل طلب من محبّه جوابها وكشف نقابها مَعَ ما أنا فيه من اشتغال الانتقال من دار الزّوال إلى دار القرار والمآل بكثرة الأمراض وتوالي الضّعف بسبب اختلاف الأعراض ، ولكن لما لم يمكنّي ردّه أسعد الله جدّه أتيت بالمقدور إذ لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور .

قال سلمه الله : مسألة ـ رجل ادّعى على ميّت ديناً وأقام بيّنةً وأراد الحاكم يستحلفه يمين الاستظهار فقال : إنّ هذا الدَّين الذي أقمتُ عليه البيّنة نصفه لي ونصفه لزيد ويَدي على النّصف يد وكالة وموكّلي لا يعلم به عند الميت ، فبماذا يثبت حكم النّصف الذي اعترف به الوكيل وكيف الحكم فيه .

أقول : يحلف المدّعي يمين الاستظهار على إثبات نصفه ولا يحلف عن موكّله ، فإن استقرّ أمر حال النّصف الآخر على هذه

الحال بقي الحكم به لزيد موقوفاً على يمينه ، فإن حَصَلَ له العلم بتذكّرٍ أو غيره حَلَفَ وحكم له به ، وإلّا فلا لأنّ الشارع عليه السلام نزّل يمين الاستظهار منزلة جزء البيّنة تقريراً لأصل البراءة .

قال سلمه الله : مسألة ـ ما يرى مَولانا في ماء الغسالة وعلى فرض القول بنجاسته هل حكمه في التطهير كأصله أم لا ؟ وكم جريه يكفي في الغسل بالقليل وهل يطهر الثوب بغسله في الطّشت أم لا ؟ وعلى تقدير طهره فيه فهل فرق بين وضعه فيه وصبّ الماء عليه وعكسه (خ) أم لا ؟ .

أقول : الغسالة عندي حكمها كحكم النّجاسة لا فرق بين الغسالة الأولى أو الثانية أو غيرها وكلّها نجسة كالنّجاسة الأُولىٰ في تعدّدها واتّحادها إلّا في التّراب في غسالة ولوغ الكلب فحكم ماء الغسالة كحكم أصله وسواء كان التطهير عن أصل النّجاسة أم عن الملاقي لها ، حتى أن حكم ما نقص عن الدّرهم من المانع الملاقي للدّم حكم الدّم في العفو عنه ، ووجوب غسل ما بلغ الدرهم منه والنّجاسة إن كانت عن ولوغ الكلب فثلاث غسلات أُولاهنّ بالتّراب ويعتبر القطع بين غسلتي الماء والتّراب يغسل به الإناء يابساً أي يدلك بالتراب بدون ماء ، وإن كانت عن موت الفارة وعن الخنزير والخمر فسبع يقطع بين كلّ غسلة ، وإن كانت عن بول فمرّتان بينهما قطع وعصر ما لم يكن في كثير فيسقط القطع والعصر ، وإن كانت من غير ذلك فإلى أن تزول عين النّجاسة ولا قطع ، والأحسن في كلّ مَغسُولٍ القطع والعصر والتعدّد ، وإن كان ثلاث مرّات في غير الفارة والخنزير والخمر وولوغ الكلب فأفضل ، وإذا وضع الثوب في الطشت وصبّ عليه الماء أو صبّ

الماء قبل وضع الثوب فإنه يطهر ولا اعتبار باعتبار الورود لعدم الورود عن أهل اليقين والشّهود صلّى الله عليهم أجمعين .

قال أيده الله : مسألة ـ ما معنى ما وَرَدَ في تأويل أنّ السّمع والبصر والفؤاد بأن أبا فلان سمعي والثاني بصري والثالث فؤادي ، فقد أشكل عَلَيَّ مأخذ التّأويل وطريق العلاقة فيه .

أقول : إنّ قوله صلى الله عليه وآله : (**سمعي**) من معناه أنّه يكذب عَلىٰ السّماع منّي ويقول : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول : كذا وكذا ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يسمع منه شيئاً .

والثاني يكذب عَلىٰ بصره صلى الله عليه وآله ويقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل كذا وكذا ولم يفعل صلى الله عليه وآله شيئاً ولم ير منه شيئاً .

والثالث يكذب على فؤاده صلى الله عليه وآله ويقول : أراد رسول الله صلى الله عليه وآله كذا وكذا ولم يرد من ذلك الذي زعمه الثالث شيئاً ، ومن معناه أن أولياءهم يزعمون لهم تلك الرّتب ومن معناه أنّ كلّ شيء خلقه الله سُبحانه فله ضدّ وكان سمعه صلى الله عليه وآله سمع الهداية وخلق الله سُبحانه ضدّه في الثرى وما تحته وهو سمع الضلالة ليعلم ألاّ ضدّ له تعالى ولأن المصنوع لا يمكن أن يكون بسيطاً لأنّه لا بدّ أن يكون له اعتبار من نفسه وهو الظّلمة واعتبارٌ من ربّه وهو النّور وكذلك البصر والفؤاد وإلى هذا النوع الإشارة بقوله عزّ وجلّ : ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ .

قال أيّده الله تعالى : مسألة ـ رجل مات وترك ابناً وزوجة حُبْلىٰ وألقت جنينها في البحر ولم يدر ميّت هو أم حيّ ، ثم إن علم حياته وجهل أنّه ذكر أم أنثى ما حُكمُ ميراثه ؟

أقول : إذا لم تعلم حياته فهو ميّت والميّت لا يرث ، ولو علم حياته وجهل أنه ذكر أو أنثى قسم له ثلاثة أرباع ميراث الذكر بأن يؤخذ له نصف ميراث الذكر ونصف ميراث الأنثى ، وقيل : يستخرج حكم ميراثه بالقرعة ولا بأس به والكل مرويّ .

قال سلمه الله : مسألة ـ ما يرى مولانا في الحَبْوة وما يُحبى [به .] ومن يُحبىٰ ولو أوصى الميّت بعين ما يحبى به ما حكمه ؟ ولو أوصى رجل بثلث ماله هل يدخل فيه ثلث الحبوة أم لا ؟

أقول : الحبوة ثابتة في أربعة أشياء **الأوّل**: الثياب ويدخل فيها كلّ ما كان مخيطاً أو مفصّلاً عليه والظاهر عدم دخول مايتحزّم به وتدخل العمامة ، **والثاني** : السْيف **والثالث** : المصحف ، **والرابع** : الخاتم ، فإن تعدّد شيء من هذه الثلاثة فللمحبُوّ واحِدٌ والخيار للورثة والذي يحبى أكبر الأولاد الذكور وإذا أوصى الميّت بها مضت الوصيّة ولو في كلّها وإذا أوصى بثلث ماله دخلت في ثلث ما يحبى به .

قال سلمه الله : مسألة ـ هل كفن المتمتّع بها وباقي مؤونة تجهيزها على الزوج أم لا وكذا من ماتت وهي ناشزة ،

أقول : المتمتّع بها إذا اشترطت عليه النفقة كالدّائم كانت كالدّائم كفنها عليه وإلّا فلا ، وإن لم تشترط عليه كانت كالدّائم الناشز ليس عليه كفنها لأنّ وجوب الكفن تابع لوجوب النفقة ،

ولهذا لا يجب كفن الّتي ماتت وهي ناشز [ناشزة .] لسقوط نفقتها بالنّشوز .

قال : ما السرّ في حبّ النّبيّ صلى الله عليه وآله للنّساء وما وَرَدَ أن ما ازداد امرؤ في الإيمان إلا ازداد حبّاً للنّساء ، هذا معناه لا لفظه ؟

أقول : روى العامّة عن النّبي صلى الله عليه وآله ما ازداد امرؤ حبّاً في الإيمان إلّا ازداد حبّاً في النّساء وروى الخاصّة (**ما ازداد أحدٌ حبّاً في ولايتنا إلّا ازداد حبّاً للنّساء**) ، عن الصادق عليه السلام والمعنى في الرّوايتين واحِدٌ والسرّ في ذلك منه أنّ الإنسان إذا كان مُؤمناً متوالياً كان مستقيم الإيمان بما جاء عن الله عزّ وجلّ ، ومنه أن كثرة الطّروقة من سنن النبيّين عليهم السلام فيكون قائماً بهذه السنّة ولأنّه يلزم من ذلك كسر النّفس وغضّ البصر اللّذين هما من الإيمان ويكون سبباً لكثرة النّسل الّتي هي من الإيمان ومن سنّة محمد صلى الله عليه وآله كما قال صلى الله عليه وآله : (**تناكحوا تناسلوا فإنّي مُباهٍ بكم الأمم الماضية والقرون السّالفة يوم القيامة ولو بالسّقط**) ، وقال صلى الله عليه وآله : (**من رغب عن سنّتي فليس منّي وإن من سنّتي النّكاح**) ، وأمثال هذا كثير وكل هذا وأمثاله من ولاية عليّ صلوات الله عليه .

قال سلمه الله : **مسألة** ـ هل تثبت الوصيّة بشهادة الرّجل الواحد نصفها أو ربعها أم لا يثبت بشهادة وحدها شيءٌ ؟

أقول : الظّاهر لي أنّه يثبت بشهادته النّصف لفحوى قوله عليه السلام : (**إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بأشياء ونهى عن**

أشياء وسكت عن أشياء ، ولم يكن سكوته عنها غفلة فأبهموا ما أبهمه الله واسكتوا عمّا سكت الله) انتهى .

وقولهم عليهم السلام من قوله صلى الله عليه وآله فيثبت بشهادة الرّجل العدل نصف الموصى به ولا يحتاج إلى يمين استظهار في ثبوت الرّبع لأنّ شهادته موجبة لنصف المدّعي واليمين في غير هذا الموضع وإن كان نزّلها الشارع عليه السلام منزلة جزء البيّنة ، لم تكن موجبة للحقّ لذاتها وإنّما اعتبرت في غير هذا الموضع لاحتمال سقوطه الحق [بعد .] ثبوته فهي شرط لا شطر .

قال أيّده الله : مسألة ـ لو بانت المتمتّع بها فحاضت حيضة فارتفع حيضها فهل يجري فيها حكم المسترابة أم لا ؟ .

أقول : الظّاهر أنّ حكمها حكم من ارتفع حيضها بعد أن حاضت حيضة بعد الطلاق فتكمل عدّتها باثنين وعشرين يوماً ونصف يوم على الأشبه أو بثلاثة وعشرين يوماً على الأحوط .

قال سلمه الله : مسألة ـ من تحيض في كلّ ثلاثة أشهر حيضة هل تبين بالشّهور أم بالحيض ؟

أقول : صريح النصّ حاكم بأنّها تحيض بالأشهر إذا انقضت العدّة بالأشهر قبل أن تحيض ، لأنها إذا طلّقت في طهرٍ لم يواقعها فيه وكانت في كلّ ثلاثة أشهر تحيض مرّة ربّما لا تتمّ الثلاثة الأشهر قبل أن تحيض ، فإن اتفق أنّها بعد الطلاق تمّت لها ثلاثة أشهر قبل أن تحيض بانت كما هو مقتضى ظاهر السؤال ، وإن اتّفق أنّها حاضت قبل تمام الثلاثة الأشهر انتظرت حُصُول الحيضتين ولا تبين هذه بالأشهر إلّا أن تمضي عليها تسعة أشهر ولم تتمّ لها الثلاث

الحيضات فإنها ح تبين بالأشهر فتعتدّ بعد التّسعة بثلاثة أشهر .

قال سلمه الله : لو أفسد المتمتع عمرته بجماعٍ ما حكمه وهل يفسد مَعَها حجّها فيلزم الحجّ والعمرة من قابل أم لَا ؟ .

أقول : لو أفسد العمرة المفردة لم يتعلق شيء من حكمها بالحجّ ويعيدها خاصّة بعد شهر أو بعد عشرة أيّام أو من غير تقدير على الاحتمالات الثلاثة ، ولو أفسد العمرة المتمتّع بها وجب عليه إكمالها وقضاؤها على الأقرب الأحوط ، وعلى هذا فالأحوط إكمال الحجّ ثم قضاؤهما ، إذ الذي يظهر لي من عدم شرعيّة طواف النّساء بعد عمرة التمتع أنّها مَعَ حجّها بحكم النّسك الواحد ، فإذا لحقها فسادٌ لحق الحجّ وإنّما أجاز الشارع عليه السلام مقاربة النّساء والادّهان وغيرهما بعدها لاختبار المطيع والعاصي من قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله : (**دخلت العمرة في الحجّ هكذا إلى يوم القيامة**) ، وشبّك بين أصابع إحدى يديه على الأخرى .

قال سلمه الله : **مسألة** ـ هل أدنى الحل محرم اختياريّ أم لا ؟ .

أقول : الأقرب أنّه محرم اختياري وفي النفس شيء من ذلك .

قال سلمه الله : هل ينعقد نذر الإحرام قبل الميقات أم لا ؟ .

أقول : الظاهر ذلك .

قال أيّده الله : **مسألة** ـ إذا صعّد الماء المطلق كما يصعّد الورد فهل ما يؤخذ منه من الماء مطلق أم مضاف ؟

أقول : الماء الصّاعد من الماء المصعّد المطلق بالآلة أو بكرة شمع العسل أو بغيرهما مطلق بلا إشكال .

قال سلمه الله تعالى : مسألة ـ إذا صُعّد الورد النجس فماؤه نجس أم طاهر ؟

أقول : إذا صعِّد ماء الورد النجس فقيل : إنّ الماء الصاعد لم يقطع بكونه صاعداً من الماء النجس ، بل لعلّه ماء متحلّلٌ من الهواء لأنّ الهواء إذ أُوقِد تحت القرع بنارٍ ليّنةٍ مثل شمس الشتاء قطر من الأنبيق ماء وهو هواء تحلّل ، فلو كان في القرع شيء له رائحة ظهرت تلك الرّائحة في الماء القاطر لمجاورته لتلك الرائحة ، فلعَلّ القاطر من ماء الورد النجس من هذا القبيل ، فإذا جاز أن يكون هواء تحّلل والرائحة التي فيه لعلّها لمجاورته لذي الرائحة لم يُحكم بكونه نجساً ، فيكون طاهراً وعندي فيه إشكال لأنّ الماء النجس انتقل من القرع إلى القابلة حتى لا يبقى منه شيء ، ولا يقال : لعلّه جفّ والقاطر غيره لأنه إذا فرض أنّه جَفّ فإنّما جَفّ لقوة النار وإذا قويت النار لم يقطر من الهواء ، بل يجفّ هو بالطريق الأولى والطبخ غير مطهّر وكون التصعيد مطهّراً إنما هو باعتبار تجويز تحلّل الهواء ، ومع هذا فالاحتياط لا يخفى انتهى .

قال سلمه الله : مسألة ـ هل لجد الأب لأمّه ولاية على ابن ابن بنته أم لا ؟ .

أقول : الذي يظهر لي عدم ولايته على ابن ابن بنته إلّا أنّي الآن ربّما أحتاج إلى المراجعة في المسألة وأنا بدني ساقط القوّة لا أقدر على المراجعة لكثرة الأوجاع وتوالي أدوار الضّعف والله سُبحانه ولي الأمور .

قال سلمه الله : هل للحاكم تزويج الصّغير مع المصلحة أم لا؟ ظاهر أكثر المتأخرين المنع ويفسّرون الحاكم بالإمام أو نائبه وهذا بظاهره مشكل .

أقول : ليس لحاكم الشّرع تزويج الصّغير مع المصلحة إلّا من باب الفضولي ، وأمّا الإمام عليه السلام فكلامهم في حقّه غلط لأنّه عليه السلام إذا كان أولى بالمرء من نفسه فكيف يمنع عمّا يريد أن يفعل بمملوكه ، ولكنّهم لا يعرفون الإمام عليه السلام وإنّما المراد بالحاكم الحاكم الشرعي الّذي هو الفقيه وذلك لا يجوز له ذلك .

قال سلمه الله : **مسألة** ـ لو وطِىء الرجل زوجته الحامل فوضعت من يومها ولم تَرَ دَماً فهل يصحّ طلاقها في ذلك اليوم أم لا ؟ .

أقول : مقتضى الأدلّة صحّة الطّلاق إذ لا مانع منه لأنّ طلاقها وقع في طهرٍ لم يواقعها فيه والمواقعة وقعت في طهرٍ تفضّى [تقضّى ،] ومضى والذي وقع فيه الطلاق طهرٌ آخر حدث بعد الوضع .

قال أيّده الله تعالى : **مسألة** ـ وَرَدَ أنّ لكلّ زَمانٍ إمامَيْن صامتٌ وناطقٌ فمن الصّامت ومن الناطق زمن الغيبة ؟ .

أقول : هذا الحكم مختصّ بما عدا الطّرفين إذْ لا يمكن أن يكون آدمُ على محمّد وآله وعليه السلام أوّل ما خُلِقَ وخلقت حواء عليها السلام منه [ليس] معه إمام صامِت لأنّ شيث ابنه عليه السلام أول الأئمة الصّامتين وهو من آخر أولاد آدم عليه السلام ، ولأنّ الصّامت إنّما يكون من أولادِ آدم عليه السلام وهم متأخرون عنه ، فقد مضى على آدم عليه السلام زمان وهو إمام ناطق لأنّه

حجّة على حوّاء عليها السلام قَبْل أن تَلِدَ شيئاً ومما يدل على أن شيث عليه السلام أوّل الأوصياء وهو آخر أولادِ آدم ما روي عن الصادق عليه السلام ، (**إن حواء أتت بسبعين بطناً في كل بطنٍ ذكر وأنثى إلى أن قُتِلَ هابيل ، فلما قُتِل هابيل جزع آدم عليه السلام جزعاً قطعه عن إتيان النساء فبقي لا يستطيع أن يغشى حواء خمسمائة عامٍ ثم تجلّى ما به من الجزع فغشِي حوّاء فوهب الله له شيئاً وحده وليس معه ثانٍ واسم شيث هبة الله وهو أول وصيّ أُوصي إليه من الآدميين في الأرض ، ثم وُلد له من بعد شيث يافث فلما أدركا وأراد الله عزّ وجلّ أن يبلغ النسل ما ترون وأن يكون ما جرى به القلم من تحريم ما حرّم الله عزّ وجلّ من الأخوات على الإخوة أنزل الله بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنّة اسمها نَزلة فأمر الله عزّ وجلّ آدم أن يزوجها من شيث ، فزوّجها منه ثم أنزل الله بعد العصر من الغد حوراء من الجنّة اسمها منزلة ، فأمر الله عزّ وجلّ آدم أن يزوجها من يافث**) الحديث .

فانظر كم بقي آدم عليه السلام في الأرض ناطقاً ولا صامِتَ معه ، هذا حكم الافتتاح فيلزم أن يكون حكم الاختتام كذلك .

فالحديث المشار إليه ليس عامّاً ولا مطلق الحكم فافهم السرّ في افتتاح التكليف والحجج عليهم السلام ونظيره في الاختتام .

قال سلمه الله : مسألة ـ هل الصّقيع الذي ينزل آخر الليل مطلق أم لا وعلى تقدير أنّه مطلق فهل حكمه حكم القليل أم حكم المطر ، إلى آخر كلامه أعلى الله مقامه ؟

أقول : إنّ الصّقيع حقيقته البخار المتصاعد في النّهار بحرارة

الشمس إن وصل إلى الطبقة الزّمهريريّة انعقد سحاباً مع قدر ربعه تقريباً من الهباء الذي في طريق صعوده بعد انحلاله ماءً مع أربعة أمثاله من الأبخرة المائيّة تقريباً ، فينعقد سحاباً كما قلنا ، ثم ينحلّ من السّحاب بحرارة إشراق الشمس عليه فيقطع مطراً والمطر مطلق وما لم يصل منه إلى الطبقة الزّمهريريّة إذا جاءه الليل وبرد الهواء الذي في كرة البخار بعد أن ذَهَبَتْ عنه حرارة الشمس ، فإذا قويت البُرودة آخر الليل نزل لعدم ما يُصَعده من أجزاء حرارة أشعة الشّمس وقع طلّاً فهو عاجزُ ما يكون مطراً فهو مطلق كالمطر إلّا أنّ المطر لقوّته وكبر أجزائه النازلة يقع قطراً متحاذية في نزوله بحيث يكون كالمنبسط في الأرض لتواتر قطره ، فيكون بحكم الجاري لأنّه إذا وقع اتّصلت كلّ قطرة مع ما يليها فيكون ماءً منبسطاً بخلاف قطر الصّقيع ، فإنّها لا تكاد تتمايز قطراته لضعفها فيكون بحكم النّداوة التي لا يعين جزء منه جزءاً آخر على الرّطوبة ولا على موجب الاتّصال المقتضي للجريان أو ما يكون بحكم الجاري فحكمه حكم الجامد الذي يقبل انفعال الجزء الملاقي منه للنجاسة خاصّة دون ما سواه ، ولا يكون حكمه حكم القليل الّذي ينفعل كلّه بملاقاة بعضه للنّجاسة فاعتبر .

والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين وكتب أحمد بن زين الدين الأحسائي الهجري في السابع والعشرين من المحرم سنة الأربعين بعدالمائتين والألف من الهجرة النبويّة على مهاجرها وآله وصحبه المهاجرين معه أفضل الصلاة وأزكى السلام حامداً مصلّياً مستغفراً .

رسالة في جواب
السيد عبد اللَّه ابن السيد
أبي تراب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي إن السيد السند السيد المعتمد السيد عبد الله ابن السيد أبي تراب ، أورد على ثمانية مسائل في حال كنت أنا فيها في غاية الضعف ومشغولاً في بدني في غالب الأيام بالمرض يريد مني الجواب عنها على طريق البسط ولم يمكنّي في تلك الحال الجواب عنها على ما يريد ولكن الميسور لا يسقط بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور .

قال سلمه الله تعالى قبل مسألة المسائل : بسم الله خير الأسماء والحمد له على جميل العطاء وجزيل النعماء والصلاة والسلام على غاية خلقه الكاشف عن الغطاء والمبيد لجلابيب العماء محمد صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرين القائدين الكرماء بما يملأ أقطار الأرض وأوثار السماء وعلى أصحابه ونوابه الكاملين العلماء المقتبسين من مشكاة أنوارهم الأجلّة العظماء المزهقين عن أرجاء مفازة عقول الضعفاء غياهب الشبهات وطوارق الظلماء لا سيما مَن مَنّ الله علينا بدرك لقائه الشريف إلينا وأتم الحجة بوجوده اللطيف علينا العالم الرباني والعارف الروحاني اللاحق على فرسان الحق والحائز لقبسات السبق :

لا يـــدرك الــعـــقـــل كـــنـــه رتـــبـــتـــه
إلا لـــمـــن عـــنـــد خـــلـــقـــه شـــهـــدا
الـــحـــجـــة الـــمـــســـؤول عـــن رعـــايـــتـــه
فـــجـــاحـــده جـــدًّا لـــقـــادتـــه عـــنـــدا
لا يـــطـــمـــح الـــطـــامـــعـــون فـــي حـــظـــيـــرتـــه
ولا يـــفـــوز بـــهـــذا كـــل مـــن جـــهـــدا

إذ لا يظفر لهذا بمجرد الجهد والعناء بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وبعد فالعبد المفتاق في الغاية الحرى للمسألة في النهاية سائل عن مسائل يريد معرفتها حق العرفان ، ويرجوه من لطفه التام أن يمن عليه بالبيان ويكشف عن وجوه حقائقها اللثام بكل الإعلان والتبيان فإن السائل ولو جاء على الفرس ، وكيف بالفلس حقيق بالإحسان وحفي بالامتنان ، إذا كان السؤال لمحض خير على يد الكريم فلا يرد والمتوقع من كرمه العام ألا يعتذر بنوع من المعاذير فإن هذا لدينا كثير وهو عليه سهل يسير هو بالتحرز عن النهر جدير .

قال سلمه الله تعالى بعد الأخذ في مسألة المسائل : المسألة الأولى ـ لما دلّ العقل وعوضد بالنقل على وجوب المعرفة وأن تعلقها بذات الواجب محال مستحيل ، ولم يجعل للممكن عليه دليل ولا إليه سبيل ، فالواجب معرفة الآثار والدلائل من الصفات والأسماء والأفاعيل ، فيرد الإشكال بأن صفات الجمال والكمال عين الذات ، فما معنى معرفتها كالذات وأيضاً ما معنى معرفة الأسماء إذ لا دخل لمعرفة أوضاعها في المعرفة وإرادة مدلولاتها

راجعة إلى معرفة الفعل والصفة لما تقرر من مجهولية الذات ، فلا يكون مصداقاً لشيء من النفي والإثبات ، وأيضاً ما وجه حمل الأسماء والصفات والأفعال عليه سبحانه مع أنه غير مدرك الذات والحمل على الشيء فرع الإخطار بالبال واجتازه [اجتيازه] في الخيال ولو بنحو من الإجمال ، وما قيل في دفع الشبهة في مثل المقام من حمل الامتناع على شريك الباري من أن للعقل أن تجرده عن المشخصات الذهنية ، فلو سلم هناك دليل إقناعي لا يثمر في المجال وما معنى حقيقة التوحيد نفي الصفات ، وما حقيقة الأسماء والصفات والأفعال وإلى كم مرجع كل منها ؟ وأيضاً فما المعبود في الحقيقة إذا لم يدرك الذات بالحقيقة ؟ وما معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام في جواب ذعلب اليماني حين سأله عليه السلام عن رؤية ربه (**أنا عبد من لا أراه**) ، فقال : وكيف تراه ؟ قال عليه السلام : (**لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان**) الحديث ، وقد يفهم من الشهيد طاب ثراه في قواعده أن مفهوم لفظ الجلالة وهو الذات الموصوفة بالصفات الخاصة وهي صفات الكمال ونعوت الجمال هو الذي يعبد ويوحد وينزه عن الشريك والنظير والمثل والضد ، وأيضاً ما حقيقة العبودية التي هي جوهرة كنهها الربوبية .

أقول : واعلم أن الواجب على العبد في التكليف أن يعرف ذات الله تعالى بما ينزه عن كل ما يعرفه لأن معلومية حقيقة مجهولية ودلالة الآثار إنما هي لاستلزام ذلك ثبوت المؤثر ، وهذا في الظاهر أعم من التوحيد ومن عدم التشبيه وصفات الجمال والكمال التي يصح طلب معرفتها بالآثار في الآفاق ، وفي الأنفس هي

صفات الأفعال لأن صفات الذات هي الله سبحانه فلا تعقل المغايرة ، لا في نفس الأمر ولا في الخارج ولا في الذهن ولا في الفرض والاحتمال ، ومعنى معرفة الأسماء هي معرفة صفات الأفعال في نسبة صدورها عنها به تعالى ، وأما حمل الأسماء والصفات عليه سبحانه فإن أريد بالمحمول عليه الذات فالحمل سقط ، وإن أريد به العنوان وهو الوجه وهو المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ، فهو صحيح لأن هذه غير الذات المقدسة بل هي خلقه وهي وصفه نفسه لعباده فيعرفه بها من عرفه ، ومثل هذا إذا أريد به الحمل على الذات في الفساد حمل الامتناع على شريك الباري ، والعقل لا يجرد الممتنع إذ ما ليس بشيء كيف يجرد عن المشخصات الذهنية لأن الموجود في الذهن مما يتوهمونه أنه شريك الباري موجود .

فقولهم : ممتنع باطل لأن ما في الذهن إذا كان ذاتاً فالشريك موجود بذاته فلا معنى لقولهم لا شريك له مطلقاً ، بل يقال : إلا في الأذهان وإن كان ما في الذهن صفة وظلاً وجب أن يكون الموصوف وذو الظل موجوداً في الخارج فيلزمهم أن الشريك موجود فعلى كل تقدير فحملهم باطل لأن القضايا لا يعرف بها رب البرايا ولا توحيده ولا صفاته وليس ما ذكرناه لك ونحوه دليلاً إقناعياً ، بل هو دليل تحقيقي ومعنى حقيقة التوحيد نفي الصفات عنه ، ما قلنا قبل فإنه تعالى هو سمعه وهو بصره وعلمه وهو قدرته وهو حياته وهو أزله وأبده وليس هو مشيته ولا إرادته ولا كلامه والمعبود في الحقيقة على تقدير أنه لم يدرك كما هو الواقع في نفس الأمر ، والخارج والذهن هو الذات البحت عزّ وجلّ ولكن

يكون توجهك إليه وخطابك إياه على حد توجهك إلى النار التي هي الحرارة واليبوسة في السراج ، فإنك إنما تتوجه إلى الشعلة الظاهرة المرئية وهي في الحقيقة دخان أحالته النار من الدهن فعلها فانفعل بالضوء عن فعل النار وليس هو النار ، بل النار غيب لا يدرك ، ولكنك تتوصل إلى إدراكها والإشارة إليها بإدارك الشعلة والإشارة إليها والشعلة أثر فعلها فافهم ، وما ذكره الشهيد رحمه الله في قواعده مبني على قواعد المتكلمين وكلامنا هذا هو مذهب أئمة الهدى عليه السلام ومعنى (**العبودية جوهرة كنهها الربوبية**) ، أن كل أثر يشابه صفة مؤثره الذي صدر منه من تلك الجهة فظل الشجرة كالشجرة ، وظل الرجل كالرجل فصورتك في المرآة مثل صورتك التي أنت عليها .

قال سلمه الله تعالى : **الثانية** ـ إن علمه سبحانه بمخلوقاته من المكنونات والمبدعات والمحدثات علة لها ، فمقدم عليها ولما ثبت أن علمه بالحضور لتعاليه عن الحصول والقبول مع كون الأول أقوى في الانكشاف ، فما معنى حضورها قبل وجودها والقول بالإيجاب مما تنفيه العقول وإن قال به الفلاسفة ، وقول الفارابي إن علمه بذاته علمه بمعلوماته مناف للأخبار الدالة على أنه تعالى خلق الأشياء فعلم وما معنى مثل هذه الأخبار مع لزوم العلم قبل الخلق ، والقول بالإجمال والتفصيل وتقدم الأول وتأخر الثاني غير معقول ، وأيضاً هل حدوث العالم بكلية مفارقاته ومقارناته زماني أو ذاتي أو دهري والأول كما عليه المتكلمون لا سبيل إليه لعدم الزمان قبل محله ، والقول بالموهوم كما عليه جمال الملة والدين وربط الحادث والقديم به موهوم لا أصل له ، والثاني مستلزم للقدم

ومنافٍ لظواهر الأخبار والأحاديث منها القدسي (**كنت كنزاً مخفياً**) الحديث ، والثالث كما عليه السيد الداماد رحمه الله غير معقول أو راجع إلى الثاني وأيضاً القول بالحدوث مستلزم للتعطيل .

أقول : وأما علم الله سبحانه بخلقه فاعلم أنه سبحانه هو قبل الخلق هو عالم ولا معلوم ويسمع [سميع] ولا مسموع إلى آخر الصفات ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم وكذا سائر الصفات ، وهذا الوقوع والتعلق معنى حادث يحدث عند وجود المتعلق وما ذكره الصوفية والحكماء وغيرهم مثل الفارابي ، ومحيي الدين بن عربي وأتباعهم من الفريقين فباطل ما أنزل الله بها من سلطان والله سبحانه فاعل مختار بمعنى إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل لا بمعنى الرضا بالفعل ، وأقصد وليس له في الأشياء إلا وجه واحد كما يقول به الملا صدرا والملا محسن في الوافي كما ذكره في باب السعادة والشقاوة ، وأما حدوث ما سوى الله فمعناه أنه تعالى أحدثها ولم يكن معه غيره في أزله لما ذكر ولا صورة ولا تعلق ولا عين ولا أصل ولا كمون ، ثم ظهور ولا استعداد فأحدثها بفعله في الإمكان لا من شيء ولا لشيء غيرها ، والإمكان محدث أيضاً وكل ما سوى الله مخلوق لم يكن له قبل خلقه عين ولا أثر ، وأما قولهم : إنه زماني أو زماني وذاتي فكلا القولين خارج عن الصواب وربط الحادث بالقديم مطلقاً باطل ، (**انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله**) ، قال علي عليه السلام وما يقال في هذا المقام من لزوم التعطيل أو عدمه باطل .

قال سلمه الله تعالى : الثالثة ـ ما معنى إشهاد النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام خلق أنفسهم وإشهادهم خلق الخلق ؟

أقول : ومعنى إشهاد النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام خلق أنفسهم أنهم رأوا بدءها وعلموه علم عيان لا علم إخبار ، وهذا المعنى يوافق قوله عليه السلام : (**من عرف نفسه فقد عرف ربه**) ، وكذلك إشهادهم خلق الخلق وخلق السماوات والأرض ومرادي من ذلك أنهم علموا بدء أنفسهم علم عيان في وقت تكوينهم لا بعده إذ لا يمكن ذلك .

قال سلمه الله تعالى : الرابعة ـ ما معنى كون النبيّ صلى الله عليه وآله والولي من نور واحد كما عنه صلى الله عليه وآله مع قوله صلى الله عليه وآله : (**أول ما خلق الله نوري**) على أن الأول مستلزم في جعل أحدهما نبياً رأساً على الآخر ترجيحاً بلا مرجح ؟ وما معنى قول الولي عليه السلام : (**محمد صلى الله عليه وآله صاحب التنزيل ، وأنا صاحب التأويل فعلمني علمه وعلمته علمي**) ؟

أقول : ومعنى كون النبيّ والولي عليه السلام من نور واحد أن الله سبحانه خلق نور محمد صلى الله عليه وآله وخلق نور علي عليه السلام من نور محمد صلى الله عليه وآله كإيجاد السراج من السراج قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**أنا من محمد كالضوء من الضوء**) ، كما لو أشعلت سراجاً من سراج قبله لا أنه كالنور من المنير لأن ذلك هو حكم شيعهم [شيعتهم] والمرجح لمحمد صلى الله عليه وآله على عليّ حتى اختص بالنبوة سبقه على عليّ عليه السلام في الوجود بثمانين ألف سنة ، ثم خلق علياً ومعنى قول علي

عليه السلام : (**محمد صاحب التنزيل وأنا صاحب التأويل**) انتهى .

إن الناطق بالنبوّة والظاهر بها وضيفته (كذا) التنزيل والناطق بالولاية والظاهر بها وضيفته (كذا) التأويل والنبيّ صلى الله عليه وآله في الظاهر نبّي وفي الباطن ولي ، فنطقه من نفسه بالتأويل ينسب إلى الولي لأنه من أحكام الولاية التي ظهر بها الولي والولي عليه السلام [عليه السلام] تجري عليه أحكام النبوّة .

قال سلمه الله تعالى : الخامسة ـ ما المراد بالعصمة فهل هي عدم صدور الذنب مع إمكانه أو امتناع صدوره بالنسبة إلى نفس المعصوم وذاته أو بالنسبة إلى إرادة الله عدم الصدور لحكم خارجة عن نفسه وذاته لا يليق الأول بقادتنا هم أنوار الله وأسراره بهياكل البشر وقال عليه السلام مخاطباً لسلمان وجندب : (**نزلونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا**) والأخيران ينافيان التكليف الثابت بالآيات والأخبار لظاهر توجه الأوامر والنواهي إليهم ، بل وصريح بعضها وبعض الأدعية وكفى في ذلك مثل قوله تعالى : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ ﴾ من الخصائص وذلك لضرورة أشراطه بالقدرة المنافية لوجوب أحد طرفي متعلقها مع أن الأخير منهما كالأول أيضاً .

أقول : ومعنى العصمة عدم صدور الذنب مع إمكان وقوعه عند عدم العصمة بمعنى أن المعصوم يقدر على الذنب إلا أن بين العصمة في نفسها ووقوع الذنب تنافياً فلا يقع الذنب إلا حال عدم العصمة ، إذ لا يمكن أن يقع الذنب في حال العصمة من وقوع الذنب فافهم .

قال سلمه الله تعالى : السادسة ـ ما معنى الاختيار المنوط به التكليف مع أن الفعل ما لم يجب لم يوجد ، والممكن بالذات غير واجب في ذاته حتى يستند إلى الواجب لذاته فينتفي الاختيار مع أن نفس الاختيار أيضاً ممكن ، فلا بدّ له في تحققه من علة موجبة ، وكونها ممكناً للسؤال يدير فإما يتسلسل أو يدور أو ينتهي إلى الواجب وهو المحذور .

أقول : ومعنى الاختيار تساوي انبعاث الداعي إلى فعل الشيء وعدمه لأن المكلف مركب من العلتين ، النور وهو الوجود الحادث المقتضي لطلب تكميله من نوعه بميله إليه ، والظلمة وهي الماهية الحادثة المقتضية لطلب تكميلها من نوعها بميلها إليه ، وأما ما ذكرتم تبعاً لذكرهم لذلك في غير العلم بالاختيار فإن هذه العبارات تؤدي إلى الخروج عن المطلوب مع فسادها .

قال سلمه الله تعالى : السابعة ـ لا ريب في مثل هذا الزمان في جواز العمل للظان بظنه مع انسداد الطريق إلى القطع والبرهان بالبديهة والعيان في الجملة فهل هو بطريق الإطلاق والكلية بحيث يسري الحجية إلى مثل الشهرة والاستقراء الناقص والأدلة الاعتبارية والإشارات اللفظية أو الدلالات الإيمائية ونحوها ، الأصل الأصيل أو الطارىء الثانوي حجية الظن مطلقاً أو في مثل هذا الزمان ، فيكون مثل المذكورات حجة أو الأصل عدمها فيكتفي على قدر الضرورة أو الظنون المخصوصة وأيّاً ما كان هل الموضوعات الصرفة والمستنبطة متساويات في الأحكام أم لا أو بالتفصيل ؟ .

أقول : وأما جواز العمل بالظن مع انسداد طريق العلم ، إنما يصح بالظن الخاص الذي له مستند من الكتاب أو السنّة يعلم

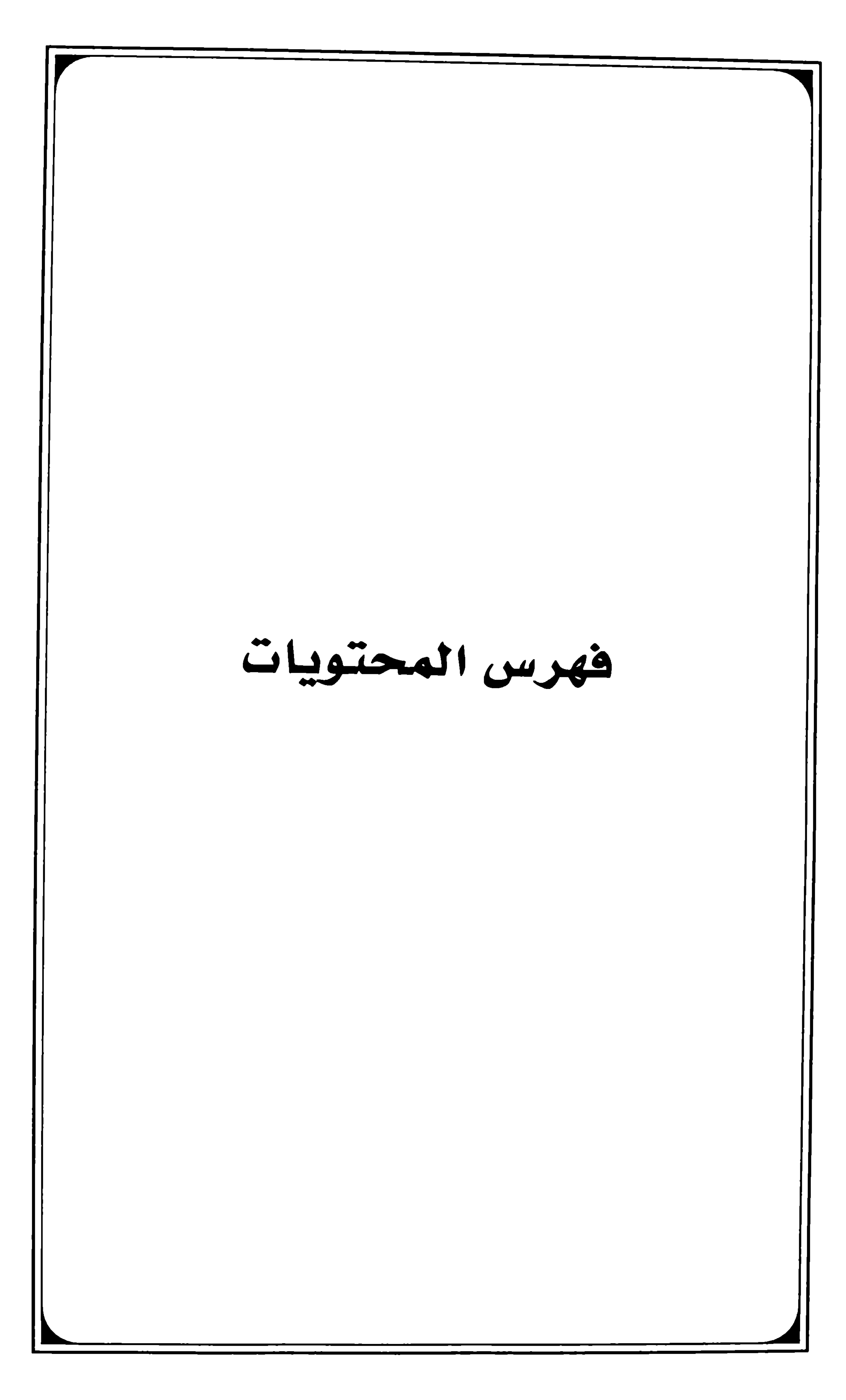
تناولهما له بوجه من وجوه التناول كما قرره أهل الشرع عليهم السلام تصريحاً أو تلويحاً سواء كان شهرة أم استقرار ناقصاً أم غيرهما ، لأن الدين دين الله وعليه أن يدل من طلبه على طريق معرفته يقول تعالى : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ ويقول تعالى : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ وكل ظن لا يؤول إلى الكتاب أو السنّة ولو بوسائط من ايماءاتهما فليس بحجة ولا يجوز العمل به ، إذ لست صاحبة [صاحب] شريعة تثبت فيها ما تظنه من نفسك والله سبحانه يقول : ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ .

قال سلمه الله تعالى : الثامنة ـ لا إشكال في وجوب الفحص واستفراغ الوسع عند الشك في نفس حكم من أحكام الشرع وموضوعة الاستنباطي ، فهل الموضوعات الصرفة أيضاً من هذا القبيل بناء على استلزامه الشك فيها الشك في نفس الحكم ولو في خصوص الموارد أم لا ؟ بناءً على المروي من أفعالهم عليهم السلام في بعض الموارد من بلّ الثوب بالريق ونحوه ، بل وأقوالهم عليهم السلام أيضاً ، وعملاً بأدلة الاستحباب وغير ذلك من الأدلة في الطرفين ، وما أدلة المختار مستوفًى ظاهراً أو حقيقة وغاية الأماني ، من حميد الخصال ومجيد الفعال أن لا يقتصر بما عندنا من ظاهر الاستدلال .

أقول : والموضوعات المستنبطة وغيرها حكمها حكم ما ذكر في الظن ، إذ ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنّة ، والموضوعات الصرفة إذا أردت الوقوف عليها لتبني عليها الأحكام فاطلبها من مظانها من الحكمة النظرية ، فإذا وقفت عليها من طريق الحكمة

فانظر إلى الحكم المبني عليها ، فإن كان مما تعم به البلوى فأعرض ما حصل عندك من الحكمة على ما تعرفه العامة أي عامة المكلفين ، فإن توافقوا فحسن ، وإلا فارجع إلى ما يعرفه أهل العرف وإن لم يكن مما يعم به البلوى فاطلب بحكمك ما يعرفه أهله والسلام .

وكتب أحمد بن زين الدين في سنة الثالثة والثلاثين بعد المائتين والألف بعد الهجرة النبويّة على مهاجرها أفضل الصلاة وأزكى السلام حامداً وشاكراً مصلياً .



فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

رسالة في جواب السيد عبد الله ابن السيد أبي تراب ٤٢٥